٨٢
السنة الحادية والعشرون
شتاء ٢٠١٤م/ ١٤٣٥هـ

الكلمة

تصدر عن
منتدى الكلمة
للدراسات
والأبحاث

مجلة فصلية تعنى بشؤون الفكر الإسلامي وقضايا العصر والتجدد الحضاري

الكلمة عشرون عاماً

من العطاء الفكري: قراءات وشهادات

◆ المشاركون:

زكي الميلاد
محمد محفوظ
إدريس هاني
علي بن مبارك
حسان حسان
عبد القادر بوعرفة
ذاكر آل حبيل
حسن آل حمادة
محمد ذكير
عبداللّه اليوسف
محمد علي آذرشب
عمارة الناصر
فيصل العوامي
ليث العتابي
عبدالعالي العبدوني
عبدالرزاق بلعقروز
بن دنيا سعدية سعاد
محمد الناصري
صايم عبدالحكيم
أحمد شهاب
أحمد الهلال
علي سعيد
عبد الهادي الصالح

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلمة

مجلة فصلية تعنى بشؤون الفكر الإسلامي وقضايا العصر والتجدد الحضاري

تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث

رئيس التحرير: زكي الميلاد

مدير التحرير: محمد محفوظ

هيئة التحرير

أحمد شهاب
إدريس هاني
حسن آل حمادة
ذاكر آل حبيل
محمد دكير

الهيئة الاستشارية

ش. حسن الصفار
أ. حسن العوامي
د. رضوان السيد
د. طه جابر العلواني
د. طه عبدالرحمن
د. عبدالحميد أبو سليمان
ش. محمد علي التسخيري

الراحلون

د. محمد فتحي عثمان
(١٣٤٩-١٤٣١هـ/ ١٩٢٨-٢٠١٠م)
د. عبدالهادي الفضلي
(١٣٥٤-١٤٣٤هـ/ ١٩٣٥-٢٠١٣م)

المراسلات

لبنان - ص. ب ١١٣/٥٧٨٩
الحمراء - بيروت ٢٠٧٠ ١١٠٣
الكويت - ص. ب ٩٤١ - دسمان ١٥٤٦٠
موقع المجلة على الإنترنت
البريد الإلكتروني

LEBANON – P.O. Box: 113/5789
Hamra – Beirut 2070 1103
KUWIT – P.O Box: 941 – Dasman 15460
http: //www. kalema.net
Email: kalema@kalema.net

التوزيع

مؤسسة الفلاح للنشر والتوزيع - لبنان

ص. ب 6590/ 113 – بيروت 2140 1103
هاتف وفاكس: 856677 – 1 – 961

الاشتراك السنوي

لبنان والدول العربية 40 دولاراً. أوروبا وأمريكا وسائر الدول 50 دولاراً. المؤسسات الرسمية والخاصة 100 دولار.

مسجلة في شركة (الكلمة) للإعلام والنشر المحدودة - نيقوسيا - قبرص بتاريخ 23/1/1998 بموجب قرار رقم 113

قواعد النشر في المجلة

ترحب مجلة الكلمة بإسهامات الكتاب والباحثين في مجالات الفكر الإسلامي، والمعارف الإسلامية، والعلوم الإنسانية والاجتماعية. مع الاهتمام بقضايا الثقافة ومشكلاتها في العالم العربي والإسلامي، والتجدد والبناء الحضاري، وكذلك قضايا الإنماء التربوي والتعليمي، ومستقبليات المشروع الثقافي - الحضاري - الإسلامي المعاصر، مع الإيمان بقيم الحرية والحوار والانفتاح والتسامح.

يشترط في المادة المرسلة الشروط التالية:

- ألَّا تكون قد نشرت أو أرسلت للنشر في مجلات أخرى.
- أن تلتزم قواعد البحث العلمي والأعراف الأكاديمية بتوثيق المصادر والمراجع بذكر البيانات كاملة. مع تحقق الموضوعية والمنهجية والمعالجة العلمية.
- تخضع المادة المرسلة للنشر لمراجعة إدارة التحرير.
- لا تعاد المواد التي ترسل إلى المجلة ولا تسترد، نشرت أم لم تنشر. ولا تلتزم المجلة إبداء أسباب عدم النشر.
- للمجلة حق إعادة نشر المواد المنشورة منفصلة أو ضمن كتاب، بلغته الأصلية أو مترجماً إلى لغة أخرى، من غير الحاجة إلى استئذان صاحبها.
- تعتذر المجلة عن نشر المواد التي فيها مساس بالقيم الإسلامية أو إثارة النعرات الطائفية أو العصبية أو الفئوية وكل ما يمس الوحدة والتضامن الإسلامي.
- ما تنشره المجلة يُعبِّر عن وجهة نظر صاحبه ولا يُعبِّر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.
- تستقبل المجلة المواد في مختلف أبوابها، الدراسات ومراجعات الكتب وتغطية الندوات ومناقشات الأفكار المنشورة.

نلفت أنظار السادة الكتّاب والباحثين إلى أفضلية إرسال إسهاماتهم على بريد مجلة الكلمة الإلكتروني، وهو kalema@kalema.net

محتويات العدد

العدد (٨٢) السنة الحادية والعشرون - شتاء ٢٠١٤م/ ١٤٣٥هـ No. 82 - 21th year - Winter 2014 AD/1435 HG

الكلمة عشرون عاماً من العطاء الفكري

قراءات وشهادات

- مجلة الكلمة.. الفكرة والتجربة والتطور/ **زكي الميلاد** ٥
- مجلة الكلمة.. أفق فكري جديد/ **محمد محفوظ** ٢٠
- بعد عشرين عاماً من الصدور.. كل عام وأنتم كلمة/ **إدريس هاني**..... ٣٧
- البعد التقريبيّ من خلال مقالات مجلّة الكلمة.. التقريب من خلال الثقافة/ **الدكتور علي بن مبارك** .. ٤١
- منهجية مجلة «الكلمة» في تناول قضايا الفكر الإسلامي../ **الدكتور حسان عبداللّـه حسان** ... ٥٤
- في البدء كانت الكلمة.. ملامح الخطاب الحضاري والإنساني في الكلمة/ **الدكتور عبدالقادر بوعرفة** .. ٧٦
- مجلة الكلمة.. التجديد والحداثة الفكرية في ثوبها الأصيل/ **ذاكر آل حبيل**..... ٨٣
- مجلة الكلمة.. هموم وتطلعات/ **حسن آل حمادة**..... ٨٧
- مجلة الكلمة عقدان من التجديد والإبداع والدعوة للحوار والوحدة/ **محمد تهامي ذكير**.... ٩١
- مجلة الكلمة وصناعة الأفكار/ **الشيخ عبدالله أحمد اليوسف**..... ٩٥
- وقفة عند «الكلمة»/ **الدكتور محمد علي آذرشب** ١٠٠
- خطاب الحداثة والتجديد في الكلمة/ **الدكتور عمارة الناصر** ١٠٣
- من التجديد إلى التجديد/ **الشيخ فيصل العوامي** ١١٠
- عندما تكون الثقافة كلمة/ **الشيخ ليث عبد الحسين العتابي** ١٢٠
- في البدء كانت «الكلمة» من الصدفة إلى الترصد/ **عبد العالي العبدوني**..... ١٢٣
- مجلة الكلمة وروح التوّاصل الحضاري/ **الدكتور عبد الرزاق بلعقروز** ١٢٦
- البحث في مستقبل العلاقة بين الحضارات في خطاب الكلمة/ **الدكتورة بن دنيا سعدية سعاد**.... ١٣٠
- خطاب التعارف والتواصل الحضاري والإنساني في الكلمة/ **الدكتور: محمد الناصري** ١٣٨
- كلمة في مجلة «الكلمة»/ **الدكتور صايم عبدالحكيم**..... ١٤٣
- الإنتاج الثقافي من التكرار إلى التراكم المعرفي مجلة الكلمة مثالاً/ **أحمد شهاب**..... ١٤٦
- غابت الرؤية الإعلامية..!!/ **أحمد الهلال**..... ١٥٢
- مجلة الكلمة.. رغم تبدل الزمن/ **علي سعيد** ١٥٦
- مجلة الكلمة وآفاق التفاعل الفكري/ **عبد الهادي الصالح**..... ١٥٨

هـذا الـعـدد

لعل من السمات الجوهرية للعمل الثقافي والفكري، هو أن هذا العمل بكل مناشطه وآليات عمله، ذات طبيعة تراكمية، بحيث لا يمكن لكل المناشط الثقافية والفكرية أن تتطوَّر بشكل فجائي. فهي محكومة بقانون التراكم، و بالتالي فهو بحاجة إلى إرادة إنسانية مستديمة لمواصلة العطاء الفكري والثقافي، حتى تتطوَّر البيئة الثقافية وتنتقل إلى أطوار جديدة.

وانطلاقاً من أهمية التراكم المعرفي والثقافي، تعاملنا مع مجلة الكلمة منذ انطلاقتها، وتواصلنا في إصدار الأعداد دون توقف وانقطاع، لإيماننا العميق بأهمية الثقافة والفكر في تقدُّم الأمم والشعوب، ولإدراكنا أيضاً أن الثقافة والفكر لا يؤثران بشكل عميق في الفضاء الاجتماعي دون استمرار وتواصل وتراكم.

ويأتي هذا العدد بمناسبة تجاوز مجلتنا عامها العشرين، وأردنا أن تكون هذه المناسبة فرصة للتعريف بمشروع المجلة الفكري، وتظهير أهم الملامح والسمات التي مررنا بها خلال المدة الزمنية التي تمتد عقدين كاملين.

وبهذه المناسبة الفكرية والإنسانية العزيزة علينا، نود تأكيد أهمية استمرار مشروع المجلة في عطائها الفكري وجهدها التجديدي، وأن هذه المشروع بكل آفاقه الفكرية يتطلب منا جميعاً مواصلة هذا الطريق وتزخيمه فكريًّا ومعرفيًّا، والعمل على إيصال رسالة المجلة ومشروعها إلى مساحات عربية وإسلامية عديدة.

وكما وفي ظل هذه الظروف الحساسة التي تواجهها الأمة في كل مناطق وبلدان العالم الإسلامي، نود التأكيد مجدداً على مسار الوحدة والتفاهم بين المسلمين. فمهما كانت الصعوبات والاصطفافات المقيتة، فنحن متمسكون بخيار الوحدة والتآلف بين المسلمين، وندعو كل النخب الثقافية والفكرية في الأمة للتمسك بهذا الخيار والنهج، والدعوة إليه، والاشتغال الفكري والمعرفي العميق حول مفرداته وجوانبه المتعدِّدة.

ودراسات ومقالات هذا العدد خصصناها جميعاً لهذه المناسبة، لإبراز جوانب المشروع من الناحيتين الفكرية والمعرفية. ولتذكير قُرَّاء المجلة الأعزاء في كل البلدان العربية والإسلامية باللحظات الأولى لانطلاقتنا، وطبيعة الصعوبات التي واجهتنا، والآفاق والطموحات التي حملناها وعقدنا العزم على تحقيقها من خلال هذا المشروع الثقافي والفكري.

وبهذه المناسبة نُجدِّد عزمنا على مواصلة المشوار راجين من العلي القدير أن يُوفِّقنا للمزيد من العطاء والتميز.

ومن الباري عز وجل نستمد العون وهو ولي التوفيق.

مجلة الكلمة..

الفكرة والتجربة والتطور

زكي الميلاد

– ١ –

مرحلة ما قبل الكلمة

كنا نعلم سلفاً، أن قبل الإقدام على النهوض بعمل فكري من نمط ووزن مجلة فكرية دورية مثل الكلمة، لا بد أن نُعرِّف عن حالنا إلى الوسط الثقافي العربي الذي نروم التواصل معه لاحقاً، نُعرِّف عن حالنا بوصفنا كُتَّاباً لنا كتاباتنا ومشاركاتنا في هذا الشأن، بقصد الانخراط في هذا الوسط الثقافي، والانطلاق منه نحو عمل فكري له قابلية التواصل والتفاعل.

نقول هذا الكلام لأن بدايتنا مع مجلة الكلمة، كانت بداية مبكرة، وتعد من بواكير مناشطنا الفكرية، وحينما صدرت كنت والزملاء معي في مرحلة العشرينات من العمر، وهي مرحلة مبكرة كما يعلم الجميع، بالنسبة إلى إدارة وتوجيه مجلة فكرية.

وفي ذلك الوقت كنت مقيماً في دمشق، فكانت بيروت الساحة الفكرية الأقرب لنا للتواصل معها، بوصفها واحدة من أهم الساحات الثقافية التي

تستقطب تواصلاً حيويًّا من العالم العربي برُمَّته، فهي -كما توصف- مطبعة العالم العربي على مستوى صناعة الكتاب وطباعته ونشره، ويصدر فيها عدد كبير من المجلات والدوريات الفكرية والثقافية، ويوجد فيها عدد من مراكز الدراسات التي تُعنى بهذا الشأن، كما أن فيها من الحريات ما لا يوجد في أي بلد عربي آخر.

وتحقيقاً لهذا الغرض، رتَّبت لنفسي برنامج زيارات عمل إلى بيروت بصورة دورية، كان ذلك في مطلع سنة ١٩٩٢م، وقبل الذهاب كنت أحضِّر بعض المقالات لتكون من جهة مدخلاً للتعارف مع المجالات والمراكز هناك، ولبقاء التواصل مع هذه المجلات والمراكز من جهة أخرى، ومن جهة ثالثة لخلق حالة من التثاقف مع الوسط الفكري الذي يتواصل مع هذه المجلات والمراكز في العالم العربي.

وفي أول زيارة إلى بيروت قمت بزيارة بعض المراكز والمجلات هناك، منها مركز دراسات الوحدة العربية، والتقيت بالدكتور خير الدين حسيب مدير المركز ورئيس تحرير مجلة المستقبل العربي، ووجدت منه ترحيباً واستقبالاً طيبين، وفتحت معه نقاشاً فكريًّا حول قضايا عدة، وسلَّمته مقالة للنشر في المستقبل العربي، التي تعد من المجلات الجادة والمتابعة، وتستقطب شريحة مهمة من الكُتَّاب المعروفين في العالم العربي.

وتكرَّرت هذه اللقاءات مع الدكتور حسيب في زيارات أخرى، فكنت أزور المركز في كل مرة أصل إلى بيروت، وأحمل معي في العادة مقالات للنشر في مجلة المركز المستقبل العربي.

وجميع هذه المقالات قد نشرت في المجلة، وهي ثلاثة مقالات، المقالة الأولى بعنوان: (النظام العالمي الجديد في تصوُّر الإسلاميين العرب) نشرت في العدد ١٥٧، مارس ١٩٩٢م، والمقالة الثانية بعنوان: (الديمقراطية في الخطاب الإسلامي الحديث والمعاصر) نشرت في العدد ١٦٤، أكتوبر ١٩٩٢م، والمقالة الثالثة بعنوان (تحوُّلات ومُتغيِّرات الحركة الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي في العقد الأخير) نشرت في العدد ١٨٨، أكتوبر ١٩٩٤م.

وفي أول زيارة إلى بيروت أيضاً، التقيت بالدكتور وجيه كوثراني أستاذ التاريخ الحديث بالجامعة اللبنانية، ورئيس تحرير مجلة منبر الحوار، واستقبلني بترحاب في منزله، وبعد نقاش فكري عام، سلمته مقالة للنشر في مجلة منبر الحوار، وهي كما تُعرِّف عن نفسها: مجلة فصلية لحوار الأفكار والثقافات، وقد نشرت هذه المقالة في العدد ٢٨، ربيع ١٩٩٣، وكانت بعنوان: (مقاربات في الفكر والمنهج بين محمد إقبال ومالك بن نبي)، وتكرَّرت هذه

اللقاءات أيضاً وتواصلت مع الدكتور كوثراني، وكنت أزوره في مكتبة الواقع بمنطقة مار لياس.

كما تواصلت في بيروت آنذاك، مع الدكتور رضوان السيد أستاذ الدراسات الإسلامية بالجامعة اللبنانية، ورئيس التحرير المشارك لمجلة الاجتهاد، والتقيت به مرات كثيرة في مكتب المجلة، وفي المعهد العالي للدراسات الإسلامية التابع لجمعية المقاصد الإسلامية في بيروت، حينما كان مديراً له، ونشرت عنده مقالتين في مجلة الاجتهاد، المجلة التي اكتسبت شهرة كبيرة في ساحة الكُتَّاب والباحثين العرب.

إلى جانب هؤلاء تواصلت مع آخرين أيضاً، ومع عدد من دور النشر المعنية بطباعة الكتاب ونشره.

وحينما عزمنا على إصدار مجلة الكلمة، وقبل الصدور أخبرت هؤلاء الذين كنت على تواصل معهم بهذا المشروع، وطلبت منهم المشورة الثقافية، وبقينا على تواصل، وكانت الكلمة تصلهم بانتظام عن طريق شركة التوزيع، وسعيت باستمرار إلى الاستماع لوجهات نظرهم، والتعرُّف إلى انطباعاتهم عن المجلة.

ويتَّصل بهذه المرحلة أيضاً، مرحلة ما قبل الكلمة، العمل على استئناف صدور مجلة البصائر، وهي مجلة فكرية إسلامية فصلية، صدر منها في أول الأمر ستة أعداد وتوقفت، وكُلِّفت بمهام رئيس التحرير لهذه المجلة، التي استأنفت الصدور في ربيع ١٩٩٢م، وتوليت هذه المهمة لمدة سنة، وأصدرت منها أربعة أعداد بالتعاون مع ثلاثة من الزملاء هم: الشيخ عبد اللطيف الشبيب رَحِمَهُ اللَّهُ، والشيخ محمد العليوات، والأستاذ محمد محفوظ.

هذه التجربة القصيرة مع مجلة البصائر كانت بمثابة اختبار، وجدنا فيها قدرتنا على إمكانية إنجاز عمل فكري من نوع مجلة فكرية فصلية، هذا الشعور شجَّعنا بقوة، وبقي معنا، وأصبح شعوراً صادقاً مع صدور مجلة الكلمة.

- ٢ -

الكلمة.. الفكرة والخلفيات

الفلسفة والرؤية التي كانت في إدراكنا، عند الإقدام على خطوة النهوض بمجلة الكلمة، تحدَّدت في العناصر والخلفيات الآتية:

أولاً: الإحساس بالثقة والشعور بالقدرة على إنجاز هذا النمط من الفعل الثقافي،

وبالمستوى الذي يكون لائقاً ومقبولاً في الوسط الثقافي العام، هذا الإحساس وهذا الشعور هما اللذان ألهمانا القدرة على الانتقال من مرحلة القوة إلى مرحلة الفعل خلال فترة وجيزة، تحدَّدت في أشهر قليلة، ونحن في تلك المرحلة العمرية الشبابية التي كُنَّا عليها آنذاك، إذ ما زلنا في مرحلة العشرينات، وقد وجدنا أن هذه الثقة جاءت في مكانها، وحقَّقت الغرض المأمول منها.

وتعزَّز هذا الإحساس وترسَّخ هذا الشعور مع خروج المجلة إلى النور، وبقي هذا الإحساس وهذا الشعور يتنامى ويتراكم مع صدور كل عدد، ومن ثم أصبح يلازمنا على طول الخط.

ويتأكد الاهتمام بهذا العنصر عند معرفة أننا ننتمي إلى بيئة اجتماعية وثقافية لم يكن معروفاً فيها وليس معهوداً عنها الاهتمام والاشتغال بهذا النمط من الفعل الثقافي، وأعني به إصدار مجلات ودوريات لها طابع العمل الفكري النخبوي.

ثانياً: العمل على أن نُمثِّل طرفاً حاضراً ومشاركاً في ساحة الفعل الثقافي العربي والإسلامي، فبعد فترة من التواصل والتشارك مع الآخرين في منابرهم ومشروعاتهم الفكرية والثقافية، وجدنا من الضرورة التحوُّل والانتقال من الوضعية التي كُنَّا عليها من قبلُ، إلى أن نكون طرفاً نُمثِّل ذاتنا، ونُعبِّر عن ذاتيتنا التي نعرف ونعرف بها.

وهذا الخطوة كان لا بد من الإقدام عليها، وهي تتصل بسياق البحث عن التطور، والسعي إلى التقدم، والحاجة إلى الشعور بالاستقلال، وضرورة تحول العلاقة من نمط التماهي مع الآخرين، إلى نمط حفظ الذات، وتحقيق التوازن الذاتي، لأجل أن تكون لنا خريطة طريق نستقل ونتميز ونتحكم بها.

ثالثاً: التحوُّل والانتقال إلى حالة العطاء الثقافي، وذلك شعوراً منَّا بهذه القدرة، وبهذه الإرادة، والتقدم بهذه الحالة مع توالي الأيام قدر الإمكان، بالشكل الذي نجعل مسيرتنا الثقافية تحافظ على طريق الصعود المستمر، الصعود التدريجي المتوازن، وليس الصعود السريع، أو الصعود بطريقة الطفرات أو القفزات السريعة والبعيدة.

وكنت أقول للزملاء في المجلة آنذاك: إننا نريد أن نتقدم خطوة فخطوة، على طريقة صعود السُّلم عتبة عتبة، لا أن نتقدم خطوة ونتراجع خطوة، نريد مسيرة هادئة ومتوازنة ومتدرجة في الصعود، وأن نتخذ من التقدم وجهة لنا، ومن إرادة التقدم دافعاً ومحركاً.

كما كنت أقول أيضاً: إننا حينما بدأنا لم نقدم أفضل ما لدينا، وما كنا نريد أن نقدم أفضل ما لدينا في بواكير تجربتنا، لكن علينا أن نستمر حتى نُقدِّم أفضل ما لدينا لاحقاً

ومستقبلاً، وعلينا أن نُطوِّر من قدراتنا الفكرية بصورة مستمرة، وهذا هو الشرط الأساس حتى نجعل مسيرتنا وتجربتنا تحافظ على صعودها وتقدمها المستمر.

ولإعطاء الصدقية لهذا الموقف، عملنا على أن نعتمد على أنفسنا وعلى أسمائنا بدرجة أساسية، لا على أسماء الآخرين، وأردنا من الكلمة أن تُعرِّف وتُعْرف بهذه الأسماء أولاً وابتداءً، وهذا ما حصل وتحقّق وثبت عند الآخرين، الذين تابعوا هذا العمل، وتعرَّفوا إليه.

رابعاً: أردنا لفت الانتباه إلى حالة ثقافية جديدة، آخذة في التبلور والانبعاث، قادمة هذه المرة وعلى غير العادة من الجزيرة العربية، ومن شرق الجزيرة تحديداً، على غير العادة بحكم أن هذه المنطقة وأعني بها منطقة الخليج والجزيرة العربية، لم يكن معروفاً عنها اشتغالها الواسع والكبير بالهم والاهتمام الفكري والثقافي، على وزن ما هو حاصل في مصر والعراق وبلاد الشام ومنطقة المغرب العربي.

فالمنطقة التي ننتسب إليها، عرفت بشكل أساس باهتمامها بالأدب والشعر تحديداً، إلى جانب الاهتمام بالتراث الديني، ولم يُعرف عنها الاهتمام الواسع والكبير بالثقافة والفكر، ومن هذه الجهة فإن البيئة التي نرتبط بها لم تُمثِّل لنا سنداً قويًّا في هذا الجانب، ولم تُزودنا بتراكمات ثقافية وفكرية ننطلق منها، ونبني عليها، ونتواصل معها، وهذا كان بمثابة تحدٍّ أمامنا، وتعاملنا معه بهذه الصفة حتى نُحوِّله إلى حافز ندعم به تجربتنا.

وبقدر ما أسهمت الكلمة في لفت الانتباه إلى هذه الحالة الثقافية الجديدة، وأخذ بعض الكُتَّاب والباحثين في المجال العربي ينظرون إلى الكلمة بهذه الصفة، فحين توقف عندها الكاتب البحريني الأستاذ نادر المتروك، اعتبر أن مجلة الكلمة تُمثِّل إحدى علامات الحالة الإسلامية الجديدة[1].

وحين حاول الباحث الأردني الدكتور محمد أبو رمان رصد السياق الفكري من جهة ظهور نخب من الباحثين والمفكرين الإسلاميين الذين قاموا بمراجعة الخطاب الإسلامي، وتقديم معالم خطاب إسلامي جديد، أشار إلى عدد من الأسماء المعروفة، وحين وصل إلى أسماء زكي الميلاد ومحمد محفوظ وتوفيق السيف، عقَّب عليها بقوله: «وتمثل مجلة الكلمة نموذجاً على هذا الاتجاه»[2].

---

(١) نادر المتروك، في حوار مع الباحث السعودي زكي الميلاد، الوقت، صحيفة يومية تصدر في البحرين، الجمعة ١ ربيع الثاني ١٤٢٧هـ/ ٢٨ أبريل ٢٠٠٦م، العدد ٦٧، ص٨.

(٢) مجموعة كتاب، نحو خطاب إسلامي ديمقراطي مدني، عمان: مركز القدس للدراسات السياسية، ٢٠٠٧م، ص٢٣٦.

كما أسهمت الكلمة أيضاً في تغيير النظرة الثقافية إلى البيئة الاجتماعية التي نتَّصل بها، وأصبح البعض يُميِّز هذه البيئة بسمة النشاط الثقافي، والعطاء الثقافي، مستدلاً على ذلك بمجلة الكلمة.

– ٣ –

الكلمة.. والمجال الحيوي

عند صدور الكلمة، كثيراً ما كنت أتحدث عن فكرة المجال الحيوي، وكثيرون الذين سمعوا مني الحديث عن هذه الفكرة، في نقاشات وحوارات حصلت في أوقات مختلفة ومتتالية، وطالما قلت للزملاء في الكلمة إننا نريد أن نُنجز عملاً بإمكانه أن يُقرأ ويُتابع في دول مثل مصر والمغرب، في مصر باعتبارها الدولة الأكثر تعبيراً عن الروح الثقافية للعالم العربي، وفي المغرب باعتبارها الدولة الصاعدة ثقافيًّا في العالم العربي، بهذا الأفق، وبهذا الطموح كُنَّا نفكر وكُنَّا نعمل ونسعى، حتى ننخرط في المجال الحيوي.

وأعني بالمجال الحيوي، المجال الذي تتهيَّأ فيه عناصر الحركة، ويتَّسم بشبكة من العلاقات التفاعلية، وتتشكَّل فيه فرص الصعود والتقدم، وعلى الضد منه تبرز عناصر السكون، وتتقطع فيه شبكة العلاقات التفاعلية، وتغيب عنه فرص الصعود والتقدم.

والمجال الحيوي يتَّصل بالمجالات كافة، فهناك مجال حيوي في عالم السياسة، ومجال حيوي في عالم الاقتصاد، ومجال حيوي في عالم الاجتماع، ومجال حيوي في عالم الإعلام، وهناك أيضا مجال حيوي في عالم الفكر الثقافة، وهكذا في باقي المجالات الأخرى.

هذا الإدراك المبكر بفكرة المجال الحيوي، حفَّزنا بقوة نحو بذل الجهد طلباً للانخراط في هذا المجال الحيوي، وسعياً لتسجيل الحضور فيه، وكسب التواصل معه، حتى نوفر إلى الكلمة عناصر الحركة، ونربطها بشكبة من العلاقات التفاعلية، ونضمن لها فرص الصعود والتقدم، وما كنا نقبل لأنفسنا أن نكون خارج المجال الحيوي، أو على هامشه، ولا حتى على مسافة بعيدة منه.

وكنا نرى أمامنا الفارق الواضح بين المجلات التي تتَّصل بالمجال الحيوي ثقافيًّا، وما تتَّسم به هذه المجلات من تفاعل وحيوية وصعود وتقدُّم، وبين المجلات التي لا تتَّصل بهذا المجال الحيوي، وكيف أنها تظهر بصورة أخرى مغايرة، يغلب عليها حالة السكون، وتكون معرَّضة لحالة التعب، ومن ثم الإصابة بحالة الجمود والتراجع، وقد ينتهي بها المطاف إلى التوقف.

وما نجزم به في هذا النطاق، أن الكلمة ما إن صدرت حتى أخذت وبسرعة تلفت انتباه الآخرين، وبدأ التفاعل معها والتواصل يتنامى ويتراكم بسرعة ومنذ وقت مبكر، وأخذت الرسائل والمشاركات تترى علينا تباعاً دون توقف، بما في ذلك المشاركات العلمية والأكاديمية المميزة التي وصلتنا من معظم أقطار العالم العربي، ووجدنا فرص التواصل والتعاون مع الآخرين مشرعة أمامنا على مستوى الأفراد، وعلى مستوى المؤسسات، وتطرق أبوابنا.

وخلال فترة وجيزة تمكَّنت الكلمة من أن تُعرِّف عن نفسها في المجال الثقافي العام، وتُوسِّع من دائرة هذه المعرفة بصورة متتالية ومتصاعدة، وهذا ما لمسناه وأحسسنا به عن قرب، خاصة وأننا كُنَّا نراقب أنفسنا من هذه الجهة، واعتبرنا أن هذه أول خطوة لا بد من اجتيازها، وعليها تتوقف جميع الخطوات اللاحقة.

وكنا نرى أن هذه المعرفة هي التي تنقلنا من حالة الخفاء إلى حالة الظهور، ومن العتمة إلى الضوء، ومن النسيان إلى التذكر، ومن السكون إلى الحركة، ومن الأفق الضيق إلى الأفق الواسع، بهذا الإدراك تعاملنا مع هذه الخطوة، وبهذا الإدراك أيضاً تم اجتياز هذه الخطوة، فتسلك لنا طريق الاتصال والانخراط في المجال الحيوي.

وهناك العديد من الدلائل والحقائق الشاهدة على اجتيازها هذه الخطوة، والاتصال بالمجال الحيوي، الذي تجلَّى في التواصل والتشارك مع العديد من المؤسسات والمراكز والمجلات والدوريات الفكرية والثقافية، ومن هذه المؤسسات المعهد العالمي للفكر الإسلامي الذي يُعدَّ واحداً من أهم المؤسسات الفكرية والبحثية في العالمين العربي والإسلامي، فقد حصل تواصل وتعاون معه منذ وقت مبكر يرجع إلى سنة ١٩٩٣م، والبداية كانت حين تلقيت دعوة من المعهد للمشاركة في ندوة فكرية دولية ناقشت موضوع (التعددية الحزبية والطائفية والعرقية في العالم العربي)، عقدت في المقر الرئيس للمعهد بالعاصمة الأمريكية واشنطن، في الفترة ما بين ٢٦ - ٢٩ نوفمبر ١٩٩٣م.

وجاء انعقاد هذه الندوة بعد صدور العدد الأول من الكلمة في خريف ١٩٩٣م، وكانت بمثابة فرصة حيوية للتعريف بالكلمة، ومدّ الجسور وتشبيك التواصل معها، ووجدت فيها فعلاً فرصة ثمينة لا تُعوَّض، أجريت فيها العديد من لقاءات التعارف مع شخصيات المعهد، مثل الدكتور طه جابر العلواني رئيس المعهد آنذاك، والدكتور عبدالحميد أبو سليمان مدير الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا آنذاك، بالإضافة إلى الدكتور جمال البرزنجي والدكتور هشام الطالب والأستاذ محي الدين عطية.

وفي اللقاء مع الدكتور الشيخ طه جابر العلواني، أبديت له الرغبة في التواصل والتعاون مع المعهد، ووجدت ترحيباً وتجاوباً مع هذه الرغبة، فحصلت على إذن بنشر بعض أوراق ندوة التعددية في أعداد الكلمة، التي نشرت ابتداء من العدد الثالث ربيع ١٩٩٤م، ومع العدد الثاني نزلت في الكلمة أول صفحة إعلانية حول آخر إصدارات المعهد، كما أن أول حوار فكري نشر في المجلة، كان مع الدكتور العلواني أجريته معه بعد أيام الندوة، ونشر في العدد الثاني شتاء ١٩٩٤م.

وبقي هذا التواصل والتعاون مع المعهد قائماً ومستمراً ومثمراً منذ ذلك الوقت إلى اليوم، متخطياً عقدين من الزمن، فما زلنا نتبادل الصفحات الإعلانية مع مجلة المعهد إسلامية المعرفة، التي تُعدُّ واحدة من أهم المجلات الفكرية الفصلية في العالم العربي.

وفي واشنطن وخلال فترة الندوة، التقيت بالدكتور أحمد يوسف مدير المؤسسة المتحدة للدراسات والبحوث في واشنطن، وحصل تداول ونقاش حول الكلمة وخطابها الثقافي، وعلى أثر ذلك نشر صفحة كاملة عن الكلمة في مجلة المؤسسة شؤون الشرق الأوسط، وزودنا بمشاركة له نشرت في العدد الثاني من الكلمة شتاء ١٩٩٤م.

وبعد الندوة التقيت في واشنطن بالأكاديمي الإماراتي الدكتور عبدالخالق عبدالله، رئيس تحرير مجلة شؤون اجتماعية آنذاك، وعرفته بالكلمة وخطابها الثقافي وزوَّدته بالعدد الأول، وبعد عودته إلى بلده الإمارات، بعث لنا برسالة يطلب فيها التعاون معنا، بتبادل الصفحات الإعلانية بين المجلتين، فرحبنا بهذه الخطوة، وشرعنا بتنفيذها، ونشرنا صفحة كاملة وثابتة في الكلمة ابتداء من العدد السادس شتاء ١٩٩٥م، ونشرت في المقابل صفحة كاملة وثابتة عن الكلمة في مجلة شؤون اجتماعية، وهي كما تعرف عن نفسها: مجلة فصلية علمية محكمة تُعنى بالدراسات الاجتماعية، تصدر عن جمعية الاجتماعيين في دولة الإمارات المتحدة.

وفي بيروت جرى اعتماد الكلمة بتكشيف مواضيعها في قسم التوثيق بمركز دراسات الوحدة العربية، الذي ينشر في مجلة المستقبل العربي، زاوية ببليوغرافيا.

ومن هذه الدلائل أيضاً، الخطوة الكريمة التي أقدم عليها الدكتور رضوان السيد بنشر صفحة إعلانية كاملة عن الكلمة، تكررت مرتين في مجلة الاجتهاد، التي كانت تُعدُّ واحدة من أهم المجلات الفكرية في العالم العربي.

ومن المؤسسات التي تواصلت معنا، مركز عالم المعرفة في الأردن، وهو كما يُعرِّف عن

نفسه: مؤسسة عربية أردنية تُعنى بالمحتوى الرقمي في العالم العربي ومقرُّه عمان - الأردن، ويعمل على تأسيس قاعدة بيانات عربية إلكترونية، على غرار قاعدة البيانات العالمية (EBSCO)، والتي تضم الدوريات العلمية المحكمة والبحثية المتخصصة الصادرة في العالم العربي، مع تصنيف هذه الدوريات وفهرستها وتكشيفها إلكترونيا، وتوصيفها وفق النظام العالمي، نظام مارك (Marc21).

وتجاوبنا مع هذه الدعوة، وزودنا المركز بما توفر لدينا من مواد وأعداد إلكترونية، وجرى فهرسة وتكشيف الكلمة في برنامج مركز عالم المعرفة.

كما جرى التواصل والتعاون مع مراكز ومؤسسات أخرى، ومع العديد من المجلات والدوريات الفكرية والثقافية الصادرة في العالم العربي.

يضاف إلى ذلك الكتابات الكثيرة والمطولة التي نشرت حول الكلمة في صحف ومجلات عربية، وأشادت بها وبتطورها وتقدمها، من هذه الصحف والمجلات صحيفة الرياض السعودية، وصحيفة القبس الكويتية، وصحيفة الوقت البحرينية، وصحيفة اللواء الأردنية، وغيرها من الصحف والمجلات أخرى.

- ٤ -

الكلمة.. المسار والتطور

صدر العدد الأول من الكلمة في خريف ١٩٩٣م، وعرَّفت عن نفسها آنذاك بأنها مجلة فكرية ثقافية إسلامية، تصدر فصليًّا عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، وحملت اسمين فقط، اسمي، واسم الزميل الأستاذ محمد محفوظ مديراً للتحرير.

ومنذ البدء اعتمدنا تخطيطاً داخليًّا في هندسة أبواب المجلة، يبرز لها قدر الإمكان شخصية مستقلة تُعْرف وتُعرِّف بها، وتحدّدت هذه الهندسة في نمطين من الأبواب، الأبواب الثابتة وهي: (هذا العدد، الكلمة الأولى، الدراسات والمقالات، رأي ونقاش، منتدى الكلمة، من الذاكرة، كتب، ندوات، إصدارات حديثة، تقارير ومتابعات)، والأبواب المتغيرة وهي: (ترجمات، حوارات، رسائل جامعية، وثائق).

وتراوحت صفحات المجلة في أول الأمر، ما بين ١٩٢ إلى ما يزيد على ٢٠٠ صفحة، ثم انتظمت وبصورة نهائية وثابتة في ٢٠٠ صفحة، من القياس العادي، قياس: ١٧×٢٤.

ومع بداية السنة الثانية بصدور العدد السادس شتاء ١٩٩٥م، نزلت في صفحة

التعريف بالكلمة، قائمة بأسماء غير مكتملة لأعضاء هيئة التحرير، وقائمة أخرى لأسماء غير مكتملة لأعضاء الهيئة الاستشارية، كما نزل اسم شركة التوزيع في لبنان، وهي مؤسسة الفلاح للنشر والتوزيع.

وفي السنة الخامسة مع صدور العدد ١٩ ربيع ١٩٩٨م، حصلت الكلمة على ترخيص رسمي في قبرص، وسجلت باسم (شركة الكلمة للإعلام والنشر المحدودة)، بتاريخ ٢٣/ ١/ ١٩٩٨م، بموجب قرار رقم ١١٣.

وذهبنا إلى قبرص، بحكم أن نظام المطبوعات في لبنان يلزم بأن يكون صاحب الامتياز والمدير المسؤول لبنانيًّا، ما دامت المطبوعة تصدر في لبنان، ووجدنا الخيار الأنسب لنا هو الذهاب إلى قبرص، التي كانت تقدم تسهيلات في هذا الجانب، وسبقتنا إليها العديد من المطبوعات العربية.

ومع بداية السنة السابعة بصدور العدد ٢٦ شتاء ٢٠٠٠م، بدأت الكلمة تُعرِّف عن نفسها بصيغة جديدة، هي أكثر تعبيراً عن هويتها الذاتية والثقافية، وتحدَّد التعريف الجديد على هذا النحو أن الكلمة هي: مجلة فصلية تُعنى بشؤون الفكر الإسلامي وقضايا العصر والتجدُّد الحضاري.

ومع العدد ٣٦ صيف ٢٠٠٢م، السنة التاسعة أعلنت الكلمة عن موقعها الإلكتروني على شبكة الإنترنت، ومع العدد ٤٢ شتاء ٢٠٠٤م، السنة الحادية عشرة تخلَّت الكلمة عن شكلها الفني القديم إلى شكل فني جديد.

ومع العدد ٥٦ صيف ٢٠٠٧م، السنة الرابعة عشرة تحددت قائمة أسماء الهيئة الاستشارية، وكانت حسب ترتيبها الهجائي: الشيخ حسن الصفار من السعودية، السيد حسن العوامي من السعودية، الدكتور رضوان السيد من لبنان، الدكتور طه جابر العلواني من العراق، الدكتور طه عبدالرحمن من المغرب، الدكتور عبدالحميد أبو سليمان من السعودية، الدكتور عبدالهادي الفضلي من السعودية، الشيخ محمد علي التسخيري من إيران، الدكتور محمد فتحي عثمان من مصر.

كما تحدّدت أسماء هيئة التحرير، وضمت بحسب ترتيبها الهجائي: الأستاذ أحمد شهاب من الكويت، الأستاذ إدريس هاني من المغرب، الأستاذ حسن آل حمادة من السعودية، الأستاذ ذاكر آل حبيل من السعودية، الأستاذ محمد دكير من المغرب.

وفي سنة ٢٠١٠م فقدنا الدكتور محمد فتحي عثمان عضو الهيئة الاستشارية، وفي سنة

٢٠١٣م فقد الدكتور عبدالهادي الفضلي عضو الهيئة الاستشارية، ممتنين لهما حسن ثقتهما، وتعاونهما معنا، ومقدرين لهما عطائهما الفكري والثقافي المميز، وداعين لهما بالمغفرة والرحمة والرضوان.

هذه لمحة موجزة عن المحطات التي حصلت فيها تغيرات وتطورات في مسيرة الكلمة خلال العقدين الماضيين، وقد أظهرت فيها الكلمة التزاماً وانضباطاً، وتخطَّت فيها جميع العثرات والصعوبات، وحافظت على ثباتها واستمراريتها، وعلى عطائها الفكري والثقافي الدائم والمستمر.

وما هو جدير بالإشارة، أن الكلمة خلال العشرين سنة الماضية، لم تتخلَّف قط عن موعد صدورها، ولم يصدر عنها أي عدد مزدوج يضم عددين في عدد واحد تخلُّفاً عن موعد الصدور، وهذا الأمر نادر الحدوث في مسيرة المجلات الفكرية العربية، فمعظم المجلات الفكرية التي أعرفها وأتابعها، وبعضها مجلات تصدر عن مؤسسات فكرية كبيرة، سبق لها وأن تخلَّفت عن موعدها في الصدور مرات، وأصدرت أعداداً مزدوجة.

كما أن الكلمة خلال العشرين سنة الماضية، لم تتخلَّف أبداً عن تغطية أبوابها الثابتة، وهي: (دراسات، رأي ونقاش، كتب، ندوات، إصدارات حديثة)، وحافظت على ثباتها وتوازنها من هذه الجهة، في دلالة على التزامها وجديتها.

وخلال العشرين سنة الماضية كذلك، مرَّت علينا الكثير من المجلات الفكرية والثقافية، ما قبل الكلمة وما بعدها، التي صدرت لفترة وتوقفت، وقد أحصيت في هذا الشأن أكثر من عشرين مجلة فكرية نعرفها، وكنا نتواصل مع الكثير منها، لكنها توقفت لأسباب وصعوبات مختلفة.

– ٥ –

الكلمة.. والمشروع الثقافي

جاءت الكلمة على خلفية الوعي بفكرة المشروع الثقافي، الفكرة التي وردت وتواترت كثيراً في خطاب الكلمة منذ العدد الأول، وتجلَّى التعبير عنها بوضوح في الكلمات الافتتاحية التي ظلت تشرح وترسم معالم الخطاب الفكري الذي تنتسب إليه الكلمة، وتُعبر عنه، وتتواصل معه.

وفكرة المشروع الثقافي في وعينا، تحدَّدت في ثلاثة عناصر متصلة ومترابطة، وهي:

أولاً: الحاجة إلى مثل هذا المشروع الثقافي، الذي يُعبِّر عن ذاته بهذه الصفة، وبهذا الوعي والإدراك.

ثانياً: أن نكون جزءاً من هذا المشروع الثقافي، وطرفاً حاضراً وفاعلاً فيه، من خلال الفعل الثقافي الذي يُكسبنا هذه الصفة، الفعل الذي يُقرِّبنا من هذا المشروع الثقافي، ويُقرِّبه منَّا.

ثالثاً: الإسهام في صياغة هذا المشروع الثقافي وتجدُّده، وبلورة عناصره وملامحه ومكوناته.

وحين العودة إلى الكلمات الافتتاحية للكلمة خلال سنواتها الأولى، يتكشَّف الوعي بفكرة المشروع الثقافي ويتأكَّد، ولإجلاء هذه الصورة نُشير إلى قائمة عناوين الكلمات الافتتاحية خلال السنوات الخمس الأولى، وهي:

١- الكلمة وآفاق المشروع الثقافي الإسلامي المعاصر، السنة الأولى، العدد الأول، خريف ١٩٩٣م - ١٤١٤هـ.

٢- نحو نهضة ثقافية جديدة، السنة الأولى، العدد الثاني، شتاء ١٩٩٤م - ١٤١٤هـ.

٣- من أين تبدأ النهضة؟ ضرورة تجديد مشروعات النهضة على ضوء متغيرات العصر، السنة الأولى، العدد الثالث، ربيع ١٩٩٤م - ١٤١٤هـ.

٤- من ثقافة الهدم إلى ثقافة البناء، السنة الأولى، العدد الرابع، صيف ١٩٩٤م - ١٤١٥هـ.

٥- بناء الإنسان أولاً، إنسان الحضارة قبل الحضارة، السنة الأولى، العدد الخامس، خريف ١٩٩٤م - ١٤١٥هـ.

٦- الكلمة في عامها الثاني.. خطوات على طريق المشروع الإسلامي الحضاري المعاصر، السنة الثانية، العدد السادس، شتاء ١٩٩٥م - ١٤١٥هـ.

٧- من أولويات المشروع الثقافي الإسلامي المعاصر على ضوء متغيرات العصر، السنة الثانية، العدد السابع، ربيع ١٩٩٥م - ١٤١٥هـ.

٨- لتعارفوا.. من القطيعة إلى الحوار، السنة الثانية، العدد التاسع، خريف ١٩٩٥م - ١٤١٦هـ.

٩- مع الكلمة في عامها الثالث.. المشروع الثقافي الإسلامي المعاصر وضرورات التجديد والتطوير، السنة الثالثة، العدد ١٠، شتاء ١٩٩٦م - ١٤١٦هـ.

١٠- مع رحيل الشيخ محمد الغزالي.. إلى الذين يعملون لأمتهم، السنة الثالثة، العدد ١١، ربيع ١٩٩٦م - ١٤١٦هـ.

١١- أسئلة العصر من يجيب عليها؟ السنة الثالثة، العدد ١٢، صيف ١٩٩٦م - ١٤١٧هـ.

١٢- ونحن على مشارف قرن جديد.. فهل من وقفة مع الذات؟ السنة الثالثة، العدد ١٣، خريف ١٩٩٦م - ١٤١٧هـ.

١٣- والكلمة في عامها الرابع.. المشروع الثقافي الإسلامي المعاصر على مشارف القرن الحادي والعشرين، السنة الرابعة، العدد ١٤، شتاء ١٩٩٧م - ١٤١٧هـ.

١٤- خطوط الانقسام في الساحة الإسلامية.. واقع مأزوم يُغذِّي التجزئة والإحباط والصدام، السنة الرابعة، العدد ١٥، ربيع ١٩٩٧م - ١٤١٨هـ.

١٥- المطلوب أن يعمل الجميع من أجل مستقبل الجميع، السنة الرابعة، العدد ١٦، صيف ١٩٩٧م - ١٤١٨هـ.

١٦- سؤال الثقافة في المملكة العربية السعودية، السنة الرابعة، العدد ١٧، خريف ١٩٩٧م - ١٤١٨هـ.

١٧- والكلمة في عامها الخامس.. إحياء كل ما هو جامع في الأمة، السنة الخامسة، العدد ١٨، شتاء ١٩٩٨م - ١٤١٨هـ.

١٨- كيف نقرأ العولمة؟ قبل أن يبدأ الحديث عن ما بعد العولمة أو نهاية العولمة! السنة الخامسة، العدد ١٩، ربيع ١٩٩٨م - ١٤١٩هـ.

وعلى ضوء هذه العناوين، وطبيعة القضايا والموضوعات التي تكشَّفت عنها، تتحدَّد ملامح المشروع الثقافي الذي عبَّرت عنه الكلمة وإليه تنتسب، ومن أبرز هذه الملامح:

أولاً: الإسلامية، فالمشروع الثقافي الذي نحاول أن نعبر عنه وندعو إليه، هو مشروع يتأطَّر بالإسلامية شكلاً ومضموناً، صورة ومادة، ظاهراً وباطناً، فالكلمة كما تُعرِّف عن نفسها هي مجلة تُعنى بشؤون الفكر الإسلامي، بمعنى أن الكلمة تنتمي وتنتسب إلى المشروع الثقافي الإسلامي المعاصر، وفي إطار هذا المشروع نحاول أن نُبدع ونجتهد قدر استطاعتنا.

ثانياً: الحضارية، فالمشروع الثقافي الذي نُحاول أن نُعبِّر عنه وندعو إليه، هو مشروع يحاول أن يتَّخذ من الحضارية وجهةً ومساراً، درباً وطريقاً، نحو بناء المستقبل الحضاري

المشترك لأمتنا.

والحضارية نعني بها الانشغال الكامل بالهم الحضاري لأمتنا، والعناية بالقضايا والمشكلات التي تتَّصل بهذا الهم، الذي لا نريد أن يُفارقنا ولا أن نفارقه، كما أنه الهم الذي نُريد أن نُحوِّله إلى هَمِّ الأمة كلها، حتى تتَّخذ من الهم الحضاري شاغلاً لها عن كل شواغلها الأخرى، على أمل أن نسلك طريق التقدّم الحضاري.

وهذا الهم الحضاري يتجلَّى بوضوح كبير، في كثير من المقالات والدراسات المنشورة في الكلمة، بل يمكن القول: إن جميع ما يُنشر في الكلمة يُلامس هذا الهم، ويقترب منه بصورة من الصور.

ثالثاً: الجامعية، فالمشروع الثقافي الذي نُحاول أن نُعبِّر عنه وندعو إليه، هو مشروع يتَّسم بالجامعية، ونعني بها الانتماء والتمسُّك والدفاع عن فكرة الأمة الجامعة، الجامعة لكل أوطانها وشعوبها ومذاهبها ولغاتها وقومياتها على امتداد مساحة الأمة، من طنجة غرباً إلى جاكرتا شرقاً.

وتتأكد هذه السمة والحاجة إليها، في ظل ما تشهده الأمة اليوم من تمزُّق وانقسام هو الأخطر من نوعه في تاريخها الحديث، وقد تحوَّلنا إلى فِرَق ومذاهب متصادمة، وكأننا لا ننتمي إلى أمة جامعة، الفكرة التي تكاد تغيب عن الوعي والإدراك.

وفي هذا النطاق، دعونا وبكل وضوح وبصورة دائمة، إلى إحياء كل ما هو جامع في الأمة، وضرورة أن يعمل الجميع من أجل الجميع لمستقبل الجميع، وحذَّرنا من خطوط الانقسام التي تبعث على اليأس والإحباط، واعتبرنا مشكلتنا أننا نتصادم مع أنفسنا.

رابعاً: التجديدية، فالمشروع الثقافي الذي نحاول أن نُعبِّر عنه وندعو إليه، هو مشروع يتَّسم بالتجديدية، ونعني بها امتلاك القدرة الفكرية على مواكبة قضايا العصر والتجدُّد الحضاري، وتخطِّي حالة الانشغال والاستغراق بالتراث، والانحباس في الماضي، والارتداد إلى الوراء، والتخلص من الذهينات القديمة التي لا تستطيع التفكير إلَّا فيما هو قديم، والانتقال من حالة السكون إلى حالة الحركة، ومن حالة الجمود إلى حالة الفاعلية، ومن حالة التبعية إلى حالة الاستقلالية، ومن حالة التقليد إلى حالة الإبداع.

خامساً: التواصلية، فالمشروع الثقافي الذي نحاول أن نُعبِّر عنه وندعو إليه، هو مشروع يتَّسم بالتواصلية، ونعني بها امتلاك القدرة الفكرية في التواصل مع الآخرين على تنوُّع وتعدُّد خطاباتهم الفكرية، وخلق حالة من التفاعل والتشارك معهم، وذلك من خلال

خطاب فكري ينبذ القطيعة ويذمها، وينبذ الانغلاق ويذمه، وينبذ التعصب ويذمه، وينبذ كافة أشكال الإلغاء والإقصاء، وكافة أشكال الحذف والتنكُّر، والنظر إلى الآخر بوصفه يمثل حاجة، وشريكاً إنسانيًّا.

وقد حاولنا قدر الإمكان أن نجعل خطاب الكلمة نابضاً بحس التواصلية، ونجحنا في ذلك بدرجة كبيرة، وكل من تعرَّف إلينا وتواصل معنا، وجد هذا الحس ولمسه عن قرب، وبشكل فاعل وحقيقي.

وخلال العقدين الماضيين تمكَّنت الكلمة من أن تكوّن لنفسها شبكة واسعة من التواصل، مع شرائح كثيرة من النخب الفكرية، على امتداد مساحة العالم العربي في مشرقه ومغربه.

هذه هي ملامح مشروعنا الثقافي، الذي نحاول أن نُعبِّر عنه وندعو إليه، وهو مشروع لم يكتمل.

مجلة الكلمة.. أفق فكري جديد

محمد محفوظ

منذ اللقاء الأول الذي عقدناه في عام ١٩٩٣ م، لتدارس شأن وضرورة إصدار مجلة فكرية – ثقافية تُعنى بقضايا العصر والتجدُّد الحضاري، ونحن ندرك أن هذه المهمة ليست سهلة أو يسيره، وإنما مهمَّة تكتنفها الكثير من الصعوبات، إلَّا أن وضوح الرؤية وتوافر الإرادة للعطاء الثقافي المميَّز، الذي يكسر الرؤية النمطية عن منطقتنا وبيئتنا، ووجود فعاليات دينية وثقافية واجتماعية، احتضنت المشروع وقدَّمت إليه كل أشكال الدعم والإسناد، كل هذه العوامل ساهمت في استمرار هذا المشروع الطموح، دون توقف أو انقطاع خلال عقدين كاملين، في وقت توقَّفت فيه العديد من المجلات والإصدارات الثقافية..

أقول: منذ تلك اللحظة التأسيسية للمشروع ونحن كفريق مؤسس للمجلة نستند في عملنا الثقافي هذا إلى الخطوط الفكرية التالية:

١ – إن مجتمعنا الخاص يحتضن الكثير من الطاقات الفكرية والثقافية، وإن من الظلم التاريخي بحق هذا المجتمع، النظر إليه بوصفه نفطاً وثروةً فحسب.. بينما هناك حياة ثقافية وأدبية صاعدة وجادة، وجاءت مجلة الكلمة لتعزيز خيار

أننا نتمكَّن بإمكاناتنا الثقافية والفكرية، أن نُؤسس مجلة فكرية متميزة، قادرة على شق طريق معرفي لها، وبناء نخبة تلتفُّ حولها، وتحمل آمالها وطموحاتها الثقافية والمعرفية.

وخلال هذين العقدين أثبت القائمون على المجلة أنهم جادُّون في مشروعهم الثقافي، وأنهم يمتلكون كل العزم للاستمرار مهما كانت المثبطات، ومهما كانت الصعوبات.

٢- إن المشروع الإسلامي الحضاري إذا لم يُواكب صعوده السياسي والاجتماعي، صعود ثقافي وفكري متميز، فإن عوامل الانكفاء والتراجع ستُصبح قوية وفعَّالة في آن.. فدائماً المشروعات التاريخية الكبرى، تحتاج إلى عمليات فتح معرفي وفكري، تستجيب للتحديات، وتُواكب المستجدات، وتملأ الساحة بالمزيد من الوعي والمعرفة، اللذين يزيلان الغبش، ويعبئان الإرادة المجتمعية صوب الخيارات الحضارية للأمة. ومجلة الكلمة هي أحد الروافع الفكرية والثقافية للمشروع الإسلامي الحضاري، لذلك فإن هذه المجلة ومنذ انطلاقتها الأولى لم تنخرط في مشروعات الفتنة بكل أشكالها في الأمة، ولم تخضع لمقتضيات السلطان السياسي في أي بلد عربي أو مسلم، وتمسَّكت بوحدة الأمة وحريتها وعزتها وكرامتها، وتحمَّلت في سبيل ذلك الكثير من الآلام والصعوبات. فمشروع المجلة لم يكن فئويًّا أو طائفيًّا أو مناطقيًّا، بل كان مشروعاً إسلاميًّا، تجاوز كل الإحن الطائفية واستوعب كل التنوعات الثقافية في الأمة، وحارب كل العصبيات المقيتة التي تضعف الأمة، وتدخلها في أتون الصراعات العبثية. وعليه فإن مجلة الكلمة خلال العقدين المنصرمين، التزمت بوعي بوحدة الأمة، وتمسَّكت بحضارية المعركة التي تخوضها الأمة على أكثر من صعيد، ودافعت باستمرار عن حق الأمة في الحرية والكرامة والتعددية وصيانة حقوق الإنسان. ومنذ انطلاقة المجلة وصياغة مشروعها الفكري والثقافي تحكَّمت في مسيرتها ومشروعها الأسئلة التالية:

١- سؤال الثقافة والمعرفة.

٢- سؤال الوحدة والتعددية.

٣- سؤال التجديد والإصلاح.

٤- سؤال الحضارة والمجال الإسلامي.

□ سؤال الثقافة والمعرفة

لاعتبارات عديدة ذاتية وموضوعية، ثمَّة حاجة دائمة للإعلاء من شأن الثقافة

والمعرفة، لأنه لا تغيير حقيقي في أي فضاء اجتماعي، دون تغيير ثقافي، ولا تغيير ثقافي فعَّال، دون وجود فضاءات اجتماعية وثقافية، تعمل من أجل الثقافة وتنشط في حقل المعرفة.

وفي الدائرة الإسلامية تتأكَّد الحاجة إلى الاهتمام بالثقافة، والتركيز على العمل الثقافي والفكري. وعلى ضوء هذه الخلفية فإن مجلة الكلمة انطلقت في مشروعها الفكري، وهي تدرك موقع الثقافة في عملية التغيير الاجتماعي، وأن العمل الفكري من الأعمال الهامة، الذي يتطلّب الإخلاص له والتركيز فيه.

لذلك نستطيع القول: إنه قد لا يخلو عدد من أعداد المجلة خلال العشرين سنة، من التركيز على المسألة الثقافية، والتركيز على موقع الفكر والعمل الفكري في إحداث تحوُّلات اجتماعية وحضارية في بيئاتنا الاجتماعية. من هنا فإن مجلة الكلمة اعتنت على هذا الصعيد بالعناصر التالية:

١ – ضرورة تدشين وتطوير مرحلة الخطاب الفكري الإسلامي، الذي يتجاوز النزعة الوعظية، ويعتني بكل الشروط المهنية والعلمية، لتأسيس خطاب فكري – إسلامي يتجاوز عيوب النزعات الشعاراتية، البعيدة عن المضمون وصناعة البديل الحضاري انطلاقاً من قيم الإسلام وهديه..

٢– لا يمكن أن يتطور العمل الثقافي والفكري في أي بيئة اجتماعية إلا بالاهتمام بالخطاب المكتوب لما لهذا الخطاب من قدرة على التأصيل والتأسيس..

فالخطابات الشفهية مع أهميتها الاجتماعية ودورها التوعوي والدعوي، إلَّا أنها بوحدها، لا تتمكَّن من تأسيس خطاب إسلامي – حضاري، يستجيب لحاجات العصر ومستجداته.

٣– إن العمل الثقافي والفكري لن يأتي بثماره المرجوة، إلَّا بفعل تراكمي – معرفي، يساهم في إنضاج الأفكار والخيارات الثقافية.

لكل هذه الاعتبارات فإننا في المجلة أولينا أهمية للمسألة الثقافية والفكرية، ولا زلنا نعتبر أن الاهتمام العميق بهذه المسألة ومتطلباتها المختلفة من أولوياتنا في مشروعنا الفكري والبحثي؛ لذلك فإن مجلة الكلمة من المجلات الفكرية الأهلية التي انتظمت بالصدور خلال عقدين كاملين دون انقطاع.

وعلى ضوء هذا الاهتمام، فإننا نعتقد أن مجلتنا تمكَّنت بعطائها الفكري المتواصل في بلورة الإشكاليات الفكرية الأساسية في الفكر الإسلامي المعاصر، وقدَّمت مشروعات

إجابة حولها، كما أنها ساهمت بأبحاثها ودراساتها وملفَّاتها المتخصصة في إغناء المشهد الثقافي وزيادة وتيرة حراكه الإيجابي.

□ سؤال الوحدة والتعددية

ثمة أفكار ونظريات ومشروعات عديدة، تستهدف إنجاز مفهوم الوحدة بين المسلمين، ولاعتبارات عديدة لسنا بصدد ذكرها الآن، فإن أغلب هذه النظريات والمشروعات تتعامل مع حقيقة التعددية بكل حمولتها الثقافية والاجتماعية، بوصفها مضادة إلى مشروع الوحدة والاتِّحاد بين المسلمين. ونحن في المجلة انطلقنا من قناعة مركزية، مفادها أن صيانة حقائق التعددية في الاجتماع الإسلامي المعاصر، وإدارتها على نحو سليم، هو الخطوة الأولى في مشروع بناء الوحدة بين المسلمين. فلا بداية حقيقية لمشروع الوحدة والائتلاف بين المسلمين دون احترام مدارسهم الفقهية واجتهاداتهم المذهبية. لأن النبز والتنابز والاضطهاد وكل عناوين ومفردات التضليل والإخراج من الملة، لا تفضي إلى وحدة، بل إلى تحاجز وتصادم بكل صنوفه.

فالوحدة السليمة هي التي تبدأ من الاعتراف بالآخر وجوداً وفكراً، لا للانحباس المتبادل، وإنما لانطلاق فعل تواصلي – حواري، يُنمِّي المشتركات، ويحدِّد نقاط المغايرة، ويسعى نحو مراكمة مستوى الفهم والاعتراف.

كما أن الاختلاف المشروع هو الذي لا ينقطع أو ينفصل عن مفهوم الوحدة، وإنما يجعل من الاختلاف في المواقع والقناعات، وسيلة لإنجاز المفهوم الحضاري للوحدة، القائم على احترام التنوُّع ومراكمة قيم التسامح وحقوق الإنسان في المحيط الاجتماعي. فحضور الوحدة مستمد من غياب التشرذم والتشتت، وأيَّة محاولة لمساواة الاختلاف مع التشرذم والتشتت لا تفضي إلَّا إلى المزيد من بُعْدنا جميعاً عن التطلُّع الوحدوي بمستوياته المتعددة.

ومن هنا ندرك أن من الأخطاء الفادحة، التي دفع الجميع ثمناً باهضاً بسببها، هو النظر إلى مفهوم الوحدة على أساس أنه يعني غياب أو تغييب التنوُّعات والتعددية والآخر؛ إذ عملت بعض قوى الوحدة وسلطاتها على إفناء كل التنوُّعات، وممارسة القهر والاستبداد تجاه كل مستويات التعدُّد، ممَّا أدَّى إلى اهتراء حياتنا المدنية والسياسية، وبُعْدنا كل البعد عن إنجاز مفهوم الوحدة السليمة القائمة على مشاركة الجميع في اجتراح وقائعها وحقائقها. وإن الوحدة الحقيقية تتجسَّد حينما نخرج من سجن أنانيتنا، ونعترف بحقوق الآخرين، ونبدأ بتجسيد مبدأ «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

وإن القهر لا ينتج وحدة، وإنما تشتُّتاً واحتقاناً وتوتراً، كما أن التعدُّد والتنوُّع المعرفي والسياسي المنضبط بضوابط القيم الإسلامية العليا، هو الذي يُؤسِّس لحالة وحدوية فعَّالة ومستديمة، وذلك لأنها مفتوحة ومتواصلة مع جميع القوى والتعبيرات السياسية والمجتمعية.

وإن إبطال تأثيرات التجزئة التي يعاني منها الواقع الإسلامي المعاصر، بحاجة إلى جهود مكثفة وأنشطة متواصلة، تُؤسِّس لقيم الوحدة، وتُعمِّق في الواقع حقائق التضامن والاتحاد، وتُزيل كل الرواسب التي تحول دون تراكم الفعل الوحدوي في الأمة.

من هنا فإننا نرى أن مشروع الوحدة في الدائرتين العربية والإسلامية، لا يعني نفي الاختلافات القومية والإثنية والمذهبية، وإنما يعني احترامها وتوفير الأسباب الموضوعية لمشاركتها الإيجابية في هذا المشروع الحضاري الكبير، الذي يستوعب الجميع، كما أنه بحاجة إلى مشاركة الجميع في إرساء قواعد المشروع الوحدوي في الأمة. وذلك لأنه في زمن التخلُّف والانحطاط تنمو الانقسامات وتزرع الأحقاد وتُربَّى الإحن.

فالاختلافات المعرفية والفقهية والاجتماعية والسياسية ينبغي ألَّا تدفعنا إلى القطيعة واصطناع الحواجز التي تحول دون التواصل والتعاون والحوار؛ وذلك لأن الوحدة الداخلية للعرب والمسلمين بحاجة دائماً إلى منهجية حضارية في التعامل مع الاختلافات والتنوُّعات، حتى يؤتي هذا التنوُّع ثماره على مستوى التعاون والتعاضد والوحدة.

والمنهجية الأخلاقية والحضارية الناظمة والضابطة للاختلافات الداخلية قوامها الحوار والتسامح، وتنمية المشتركات، وحسن الظن والإعذار، والاحترام المتبادل، ومساواة الآخر بالذات.

هذه المنهجية هي التي تطوِّر مساحات التعاون وحقائق الوحدة في الواقع الخارجي. فالوحدة لا تُفرض فرضاً ولا تُنجز بقرار أو رغبة مجرَّدة، وإنما باكتشاف مساحات التلاقي، والعمل على تطويرها، ودمج وتوحيد أنظمة المصالح الاقتصادية والسياسية.

ومن الأهمية بمكان أن نُدرك أنَّ وحدة مصادر العقيدة والأحكام، لم يلغِ الاختلافات بين المسلمين؛ وذلك لاختلافهم في مناهج النظر والاستنباط.

وفي هذا التعدُّد والتنوُّع في مناهج النظر إثراء للمسلمين في مختلف الجوانب، ولا ضرر نوعيًّا لهذا التنوُّع على المستوى النظري أو العملي، ولكن الضير كل الضير، حينما يُفضي الاختلاف إلى خلاف وقطيعة وخروج عن كل مقتضيات الأخوة الدينية والوطنية، وسيادة

هوس التعصُّب الأعمى. قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1].

فالإنسان الوحدوي حقًّا، هو ذلك الإنسان الذي يحترم خصوصيات التعبيرات الثقافية والسياسية، ويسعى نحو توفير الأسباب الموضوعية لمشاركتها في بناء الأمة وتطوير الوطن.

فدحر التنوُّعات والتعدُّديات، لا يُؤدِّي إلى وحدة، وإنما إلى شرذمة وتفتُّت متواصل، يُغذِّي كل النزعات الانفصالية والكانتونية بكل عنفها وعقدها وتشابكاتها. فالوحدة بين المسلمين لا تُبنى على أنقاض مبدأ الاجتهاد وتنوُّع الآراء والقناعات، وتعدُّد أطر الاستنباط واستنطاق النصوص الشرعية. وإنما تُبنى على أسس صلبة إذا تم احترام مبدأ الاجتهاد ومقتضياته ومتوالياته الشرعية والمعرفية، وإذا تمت إدارة التنوُّع والتعدُّد على أسس ضمان حق الاختلاف مع ضرورة المساواة. فالوحدة لا تساوي تصحير الحياة الاجتماعية والعلمية، وإنما تُبنى بعملية استمرار الثراء العلمي والمعرفي. فالعلاقة بين التعددية والوحدة هي علاقة عميقة. ولا يمكن أن يُنجز مشروع الوحدة بين المسلمين بعيداً عن حقائق التعددية وضرورة احترامها وصيانتها. فلا سبيل إلى وحدة المسلمين إلَّا بحماية واقع التعددية المذهبية والفكرية في الاجتماع الإسلامي المعاصر.

وعلى المستوى الواقعي الإنسان بطبعه (أي إنسان) نزَّاع إلى تعميم أيديولوجيته، وتوسيع دائرة قناعاته وأفكاره، ويشعر بالاطمئنان النفسي والاجتماعي حين يعيش بين أشباهه ومماثليه سواء على مستوى الأيديولوجيا أو الانتماء الفكري والسياسي والاجتماعي سواء من عائلة واحدة أو قبيلة واحدة أو عشيرة واحدة.

وهذه النزعة لا تموت لدى الإنسان، وإنما قد تخبو لعوامل ذاتية أو موضوعية، ولكنها تبدأ بالبروز حين تكون الظروف مؤاتية لإبراز هذه النزعة. ونزعة التعميم والتبشير والإقناع، ليست خاصة بإنسان دون آخر، فالإنسان الذي ينتمي إلى دين سماوي يعمل عبر إمكاناته لتعميم قناعاته الدينية على محيطه الخاص أو العام. كما أن الإنسان الذي ينتمي إلى دين وضعي يمارس ذلك الدور، والإنسان الذي ينتمي إلى مدرسة فكرية ما أو مدرسة سياسية ما، هو أيضاً يتطلَّع إلى تعميم قناعات مدرسته الفكرية أو السياسية، ويشعر بالنجاح والتفوُّق حينما يتمكَّن من إدخال وإقناع آخرين في منظومته الفكرية أو السياسية. ولو تأمَّلنا في الخريطة الدينية أو الثقافية في العالم سنكتشف حجم الجهود والإمكانات التي

(١) سورة الأنفال، آية ٤٦.

تُبذل في هذا السبيل، وطبيعة التنافسات بين العاملين في سبيل تعميم دينهم أو توسيع رقعة المؤمنين بأفكارهم؛ لذلك فإن الجميع يُؤهِّل علميًّا ونفسيًّا واجتماعيًّا بعض أفراده للقيام بعملية التبليغ والدعوة أو التبشير وتوسعة دائرة المؤمنين، كما أن الجميع يبذل الكثير من الإمكانات البشرية والمادية في هذا السياق.

وكل هذه الجهود والمنافسات والعمل المحموم، يعود إلى تلك النزعة الكامنة لدى كل إنسان، والتي تتغذى ثقافيًّا واجتماعيًّا من عناصر وقيم المنظومة العقدية والفكرية التي يؤمن بها ويتحلَّق حول مقتضياتها.

ولو أعملنا العقل والفكر وتأمَّلنا بعمق هذه النزعة التي تلازم الإنسان بمستوى من المستويات، لاكتشفنا أن كل إنسان -بصرف النظر عن دينه أو منظومته الفكرية أو السياسية- يعتقد أن ما هو عليه هو طوق النجاة وهو سبيل الفلاح في الدارين (الدنيا والآخرة)، وأنه هو وأشباهه هم القابضون وحدهم على الحقيقة، وأن ما دونهم يعيشون الغبش في الرؤية والمصير، وأنهم بمستوى من المستويات بعيدون عن الطريق المستقيم. وثمة تعابير ومصطلحات مستخدمة لدى كل المنظومات والعقائد والأفكار تعكس هذه الحقيقة والقناعة، من قبيل: الاستقامة، الضلال، الرجعية، ماضوي، شمولي، الهرطقة، الضياع، فقدان البوصلة، وغيرها من التعابير والمصطلحات المتداولة، التي تعكس بطريقة أو بأخرى موقفاً قدحيًّا من الآخر المختلف والمغاير.

ولكن هذه المنظومات تتفاوت لعوامل ثقافية وحضارية واجتماعية في مستوى القدح والذم للآخر المختلف والمغاير، ولكن الجميع لا يساوي بين ذاته والآخرين المختلفين، ويتعامل معهم وفق ثنائية: نحن وهم، حتى ولو كان هذا الـ(هم) هو من دائرته الوطنية أو ما أشبه ذلك.

ولكن هذه النزعة الدفينة لدى كل إنسان قد تتجاوز الحدود الطبيعية في النظرة والموقف من المختلف والمغاير.

إن جميع هذه المنظومات تعمل بطريقة أو أخرى على تهذيب هذه النزعة والحد من غلوائها، والحؤول دون تمددها العنفي والوحشي ضد الآخرين. فالحروب الدينية التي سادت العالم الأوروبي في القرون السابقة، هي التي دفعت أهل الإصلاح والتنوير من كل المواقع الفكرية والمذهبية والقومية في أوروبا، إلى تهذيب وإصلاح هذه النزعة، التي أفضت ضمن تداعياتها النفسية والسلوكية إلى تلك الحروب التي راح ضحيتها الملايين واستمرت

ما يقارب (١٣٠) عاماً.

أقول: إن وقائع الحرب وتداعياتها على النسيج الاجتماعي ومخاطرها الكبرى على راهن الإنسان ومستقبله، هي التي حفَّزت أولئك -أي أهل الإصلاح والتنوير- إلى تهذيب وضبط هذه النزعة بقيم الحرية والتسامح والمحبة والعقد الاجتماعي، وبقية شجرة القيم التي نقلت في مدى زمني محدَّد العالم الأوروبي من فضاء النزاعات والحروب الدينية والقومية والسياسية، إلى فضاء لصناعة التقدُّم وبناء دولهم على أسس جديدة تحول دون إنتاج الحروب الدينية في أوساطهم، وأعادت صياغة العقل الأوروبي باتجاه التعايش والاحترام المتبادل وصيانة حقوق الجميع وضمان حرية التعبير والضمير والحرية الدينية.

وفي الدائرة العربية والإسلامية اليوم، حيث أشكال الاستقطابات الطائفية والقومية والمذهبية الحادة، التي تحوَّلت في بعض البلدان إلى صدامات دموية، وإذا استمرت هذه الاستقطابات الحادة دون معالجة حقيقية تُنذر بالكثير من المخاطر التي قد تصل إلى مستوى الكوارث على المستويين السياسي والاجتماعي. لهذا فإنه ثمة حاجة قصوى في فضائنا العربي والإسلامي، لتضافر جميع الجهود وصياغة رؤى فكرية ومبادرات سياسية واجتماعية، تتَّجه إلى إخراج المنطقة العربية والإسلامية من احتمالات الانزلاق والتشظي على قاعدة طائفية أو مذهبية.

ولا يمكن إخراج المنطقة العربية والإسلامية من هذه الاحتمالات الكارثية إلَّا بخريطة الطريق التالية:

١- تجديد الخطاب الديني وإبراز مضمونه الإنساني، الذي يحترم الإنسان ويعتبر نفسه وماله وعرضه حراماً، وإعادة صياغة دور المؤسسات والمعاهد الدينية والشرعية، بحيث تكون حامية للجميع وبعيدة قولاً وعملاً عن كل النزعات الطائفية والمذهبية والفئوية، وترفع الغطاء الديني عن كل الخطابات التي تبثُّ الكراهية والتحريض ضد المختلف، وعن كل الممارسات العنفية التي تمارس القتل والتدمير باسم الدين.

لأننا نعتقد أن صمت المؤسسات الدينية عن هذه الممارسات الشائنة والبعيدة عن نهج الإسلام وتعاليمه الأخلاقية سيدخل المنطقة في أتون الحروب العبثية والنزاعات الغوغائية.

فمن أجل الأمة ووحدتها، ومن أجل الوفاء بقيم الإسلام الخالدة، من الضروري

أن تمارس هذه المؤسسات دورها في محاربة نزعات الكراهية والعنف والتحريض الطائفي والمذهبي.

٢- إن جميع الدول العربية والإسلامية معنية بصيانة قيم العدالة والمساواة في مجتمعاتها، وتجريم كل الممارسات التي تُفرِّق بين المواطنين تحت يافطات قومية أو مذهبية أو عرقية أو ما أشبه ذلك.

فالدول العربية والإسلامية هي المسؤولة عن صيانة وحماية كل مقتضيات المواطنة بعيداً عن انتماءات ما دون المواطنة.

٣- ضرورة أن يتعاون أهل الوسطية والاعتدال والتسامح بعضهم مع بعض، لتعزيز هذه القيم في الفضاء العربي والإسلامي، ومحاصرة كل الخطابات والممارسات المتطرفة، ومعالجة المشاكل التي قد تساهم بشكل أو بآخر في توتير الأوضاع أو تأزيم العلاقة بين مكونات وتعبيرات العرب والمسلمين.

فلا يكفي أن نلعن جميعاً الظلام، وإنما نحن بحاجة إلى التكاتف والتعاون والتعاضد لإشعال شموع الوسطية والتسامح والاعتدال في كل أرجاء حياتنا ووجودنا العربي والإسلامي. ونحن نعتبر -في مجلة الكلمة- كل جهودنا الثقافية والفكرية والبحثية تأتي في سياق تعزيز قيم الوحدة القائمة على احترام التعدُّد بكل مستوياته، والدعوة إلى تبني مقولات الحوار والتسامح وصيانة حقوق الانسان بعيداً عن نزعات الإلغاء والاستئصال والعنف.

□ سؤال التجديد والإصلاح

على المستوى المنهجي والمعياري ثمة نظريات وأفكار عديدة حول آليات التجديد في الفكر الديني وطرق وصل الدين بوصفه منهج حياة بالعصر، ولكن جميع هذه الأفكار والنظريات تتَّفق على أن ثمة حاجة ذاتية وموضوعية لوصل الدين بالعصر، والعصر بالدين، وأن هناك عوامل وحاجات عديدة في الاجتماع الإسلامي المعاصر سواء على مستوى الأفراد وحاجاته المتعددة، أو على مستوى المجتمعات الإسلامية وأنماط حياتها المعاصرة ونظام علائقها الداخلية والخارجية، كل هذه العوامل تدفع باتجاه ضرورة تفعيل حركة الاجتهاد والتجديد في الفهم الديني وذلك حتى يتسنَّى للإنسان المسلم المعاصر، أن يعيش دينه عبر الالتزام بقيمه وتشريعاته، كما يعيش عصره وراهنه دون عقد أو انزواء عن متطلباته الضرورية.

لهذا فإن الإنسان المسلم اليوم بحاجة إلى رؤية دينية تُؤهِّله للعيش على قاعدة التزامه الديني في العصر، بحيث لا تكون حركة انخراطه في العصر ابتعاداً عن التزامه الديني، كما لا تكون حركة التزامه الديني انزواءً وانطواءً عن حركة العصر بكل زخمها العلمي والتقني والحضاري.

وهذا بطبيعة الحال لا يتأتَّى إلَّا بتأسيس حركة اجتهادية وتجديدية في الرؤى و الأفهام الدينية، بحيث يتم تجاوز كل الأنماط التفسيرية لقيم الدين التي تساهم في إبعاد الإنسان عن التزامه العميق والحضاري بقيم الدين وتشريعاته المتعددة.

وحينما نُدرك أهمية الاجتهاد والتجديد الإسلامي المعاصر ندرك في الوقت ذاته أهمية وضرورة أن نبقى مسلمين فكراً ومنهجاً وطريقة حياة.

فالتجديد ليس نافذة للتهرُّب من الالتزام بقيم الدين، وإنما هو طوق نجاة لكي تتمكَّن عملية الاجتهاد من توفير إجابات إسلامية أصيلة على مستجدات العصر وتطوراته المتلاحقة.

وإن الدين بقيمه ومعارفه المتنوعة ليس صندوقاً مغلقاً، وإنما هو فضاء مفتوح، بحيث يتحمَّل الناس بكل فئاتهم ومستوياتهم مشروع حمل وفهم وتطبيق قيم الدين.

والمعارف الدينية لا يمكن أن تتطور دون تطور واقع الناس والمجتمع. لذلك فإن الجهود الفكرية والسياسية والاقتصادية والإبداعية، التي تستهدف ترقية المجتمع، وتطور وقائعه المختلفة، لها الدور الأساس في تطوير وعي الناس بقيمهم الدينية والثقافية. بمعنى أن هناك علاقة سببية بين تطور واقع الناس والمجتمع، وتطور رؤيتهم ومعارفهم الدينية.

وعديدة هي المقاربات التي تستهدف فهم الدين وقيمه وشعائره وشعاراته، ولكن السائد في مجتمعنا ولدى فئات عديدة منه، المقاربة الفقهية، التي لا تتعدَّى فهم الفتوى الشرعية على الموضوع الخارجي المتعلق دائماً بحركة الفرد في المجتمع.

وفي تقديرنا، إن سيادة المسار الواحد في فهم قيم الدين ومعارفه لا يؤدي بنا إلى اكتشاف كنوز الدين الإسلامي وثرائه المعرفي. لهذا فإننا بحاجة إلى الانفتاح والتواصل مع كل المسارات والمقاربات الفقهية والفلسفية والعرفانية والمقاصدية الشاملة، التي تستهدف فهم الدين وتظهير معارفه الأساسية.

وإن قيم الدين ومعارفه الأساسية هي منظومة متفاعلة مع قضايا الواقع والعصر.

وأية محاولة لبناء الحواجز والعوازل بين قيم الدين وحركة الواقع ستنعكس سلباً على فهمنا وإدراكنا لمعارف الدين وقيمه الأساسية. لهذا فإننا نعتقد أن عملية التفاعل والتواصل بين قيم الدين والواقع بكل حمولاته وأطواره وتحولاته، تؤدي إلى تطور وإنضاج الرؤى والمعارف الدينية؛ لهذا نجد باستمرار تحوُّلات على مستوى الأحكام الشرعية والمعارف الدينية بتغيرات الزمان والمكان.

لهذا فإننا نستهدف باستمرار خلق التفاعل بين المعرفة الدينية وحركة الواقع، وإدراك مقتضيات الزمان والمكان، لأنها من المداخل الأساسية لفهم قيم الدين ورصد عملية التطور في المعارف الدينية، انطلاقاً من تحوُّلات الزمان والمكان.

ومن يبحث عن تطور المعارف الدينية بعيداً عن حركة الواقع والتفاعل مع مقتضياته، فإنه لن يجني إلَّا الضحالة المعرفية والبعد الجوهري عن معارف الدين ومقاصده الأساسية.

ومن خلال التفاعل والتواصل مع حركة الواقع والعصر نتمكن من إضفاء قيمة دينية على الأعمال والأنشطة والمبادرات الخاصة والعامة، التي تستهدف رقي وتقدُّم الأفراد والجماعات.

فالقيم الدينية ليست خاصة بعبادة الأفراد، وإنما تتَّسع للكثير من الأنشطة والمبادرات السياسية والثقافية والإبداعية والاجتماعية والاقتصادية، التي تساهم في تطور المجتمعات، ونقلها من مستوى إلى مستوى آخر أكثر تقدماً وعدالة وحرية.

لهذا فإننا بحاجة باستمرار إلى تظهير القيم الدينية، التي تستوعب أنشطة الإنسان الجديدة. فلا فصل بين قيم الدين وحركة الإنسان والمجتمع، وكلما عملنا من أجل تظهير قيم الدين ومعارفه، القادرة على استيعاب وتسويغ أنشطة الإنسان الجديدة والهادفة إلى الرقي والتقدم، ساهمنا في تطوير وعي الناس بقيم الدين، وفتحنا الباب واسعاً تجاه تطور معارف الدين الأساسية.

ومن الضروري في هذا السياق أيضاً تظهير العلاقة العميقة بين عملية التجديد الديني والثقافي ومشروع الإصلاح الاجتماعي. فلا يُمكن أن يتحقَّق مشروع الإصلاح الاجتماعي في مجتمعنا ووطننا، دون إطلاق عملية التجديد الديني والثقافي. لأن هناك الكثير من العقبات الموجودة في فضائنا وبيئتنا الثقافية والاجتماعية، لا يمكن تجاوزها دون الانخراط في مشروع التجديد الديني والثقافي. فتجدُّد المعرفة الدينية في أي مجتمع هو رهن بحضور المجتمع وتفاعله مع واقعه. المعرفة الدينية لا تتجدَّد وهي حبيسة الجدران، وإنما

تتجدَّد حينما تستجيب إلى حاجات المجتمع، وتتفاعل مع همومه وشؤونه المختلفة.

وعلى المستوى المعرفي والروحي والأخلاقي يُشكِّل الدين الإسلامي بكل أنظمته وتشريعاته، ثروة هائلة وغنية بالمضامين التي تساهم في رقي الإنسان مادةً وروحاً، ولكن هذه الثروة المتميزة، تحتاج باستمرار لمواكبة العصر ومستجدا ته، والإجابة عن أسئلة الراهن وتطوُّراته، إلى إعمال العقل واستفراغ الجهد الفكري والمعرفي، لتظهير هذه الكنوز المعرفية والروحية والأخلاقية.

ودون عملية الاجتهاد الفكري والمعرفي والفقهي ستبقى هذه الكنوز في كليات القيم والخطوط التشريعية الكبرى في الإسلام دون قدرة إنسانية على الاستفادة منها حق الاستفادة.

لهذا فإننا نعتقد أن عملية الاجتهاد الفكري -في هذه اللحظة الراهنة- ضرورة إسلامية، وحاجة مجتمعية وجسر عبور للشهود الحضاري في هذا العصر.

وتجدُّد المعرفة الدينية في أي مجتمع هو رهن بحضور المجتمع وتفاعله مع واقعه. فالمعرفة الدينية لا تتجدَّد وهي حبيسة الجدران، وإنما تتجدَّد حينما تستجيب إلى حاجات المجتمع، وتتفاعل مع همومه وشؤونه المختلفة. والمهمة الملقاة اليوم على الفقهاء والمفكرين والدعاة هي صياغة تصوُّراتهم ونظرياتهم ومشروعاتهم الفكرية والمجتمعية على قاعدة أن مهمتهم الأساسية هي المشاركة في تحرير الإنسان فرداً وجماعةً، من كل الأغلال والعقبات التي تحول دون عبادة الله سبحانه وتعالى، وتسعى نحو أن تكون تصرفات الإنسان متطابقة ومنسجمة وقيم الإسلام ومثله العليا.

وكما يقرر الباحثون في التجارب الإصلاحية الدينية والسياسية أن التجربة الدينية والفكرية لأغلب المصلحين والعلماء والجماعات الدينية، تنطلق من قناعة مركزية ومحورية وهي أن العامل أو المكون الذي يكون هو مصدر القوة لدى أمة من الأمم في زمن حضاري ما، قد يكون لعوامل تاريخية متعلقة بالفهم والركام التاريخي هو عامل تراجع وانحطاط وتخلف.

لهذا فإن إحياء قيم الإسلام وإزالة الركام التاريخي وبيان أنه (الإسلام) صالح لكل زمان ومكان، وضرورة خلق الفاعلية الحضارية للمسلمين عن طريق تفسير نهضوي لقيم الإسلام ومبادئه. إن هذه العملية هي مرتكز مشروع الإصلاح، وهي الإطار النظري له. وحين التأمل في الواقع السياسي والاجتماعي للمسلمين نجد أن هذا الواقع يعاني من

تاءات أربع (التخلف – التجزئة – الاستعمار بمرحلتيه المباشر وغير المباشر – الاستبداد)، والعلاقة بين هذه الوقائع متداخلة وعميقة. فلولا التخلف لما كانت هناك تجزئة واستعمار وديكتاتورية. ولكي يديم الاستعمار هيمنته هو بحاجة لإدامة التخلف والتجزئة والاستبداد.

فكل حقيقة تتغذى من الأخرى، ولكن جذر المشكلة هو التخلف. ويمكن مواجهة هذه المعضلة الأساسية من خلال التقاط التالية:

١- صناعة الوعي الإسلامي الطارد لجذور التخلف، وإحياء قيم الإسلام في نفوس وعقول المسلمين.

٢- العمل على بناء نخبة واعية، تأخذ على عاتقها صناعة الوعي والحقائق المضادة للتخلف في المجتمع.

٣- المساهمة في بناء وقائع وحقائق مجتمعية تتبنَّى مشروع الإسلام، وتعمل من أجل تمكينه في الأرض.

وعليه فإننا نعتقد أن عملية التجديد الديني والإصلاح الثقافي والفكري في أي تجربة إنسانية، هي عبارة عن عملية تفاعل وجدل بين العناصر الثلاثة (النص والفكرة – الواقع بكل مستوياته – الإنسان الذي يقوم بعملية الربط والتفاعل والاستنباط).

ولا يمكن أن تتم عملية التجديد والإصلاح دون العلاقة العضوية بين هذه العناصر. ولكيلا نقع في اللبس وسوء الفهم، في تقديرنا إن عملية التجديد الديني والإصلاح الثقافي والفكري تعني:

١- تجديد الفهم والمعرفة للنصوص الشرعية والواقع.

٢- إنهاء المفارقة التاريخية بين الإسلام والمسلمين، بين الشريعة وفهم الشريعة، بين الدين والتدين، بين الإسلام المعياري والإسلام التاريخي.

٣- القدرة على استيعاب التفاصيل والجزيئات والمتغيرات في إطار الثوابت والكليات، وذلك عبر عملية الاجتهاد.

٤- تقديم تفسير جديد لمفاهيم الإسلام وقيمه. فالتجديد يساهم بتقديم رؤية جديدة لقيم الإسلام التي صنعت أمجاد الحضارة الإسلامية.

واليوم وفي ظل الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية السائدة في المجالين العربي والإسلامي، لا يمكن أن تسود قيم الإسلام الحياة العامة دون التجديد الديني

والإصلاح الثقافي. لأن هناك حواجز وعقبات كثيرة تحول دون انطلاقة الإسلام في الحياة العامة؛ لهذا فإن التجديد والإصلاح هو جسر العبور نحو هذه الغاية.

فالتجديد وفق الرؤية المذكورة أعلاه، هو ضرورة دينية وحاجة إسلامية معاصرة، وجسر عبور المسلمين لكي يعيشوا الإسلام والعصر معاً.

والتجارب الإسلامية الناجحة والمعاصرة اليوم هي التي توسَّلت بطريق التجديد الديني والإصلاح الثقافي؛ لأنه لا يمكن أن تقوم نهضة إسلامية حقيقية في ظل سيادة ثقافة التبرير والتخلف وأنظمة اجتماعية وثقافية تُلغي إنسانية الإنسان وتمتهن كرامته. فحجر الزاوية في مشروع الإصلاح والتجديد هو بناء ثقافة المسلمين ووعيهم المعاصر لذواتهم ولمحيطهم وفضائهم الإنساني بعيداً عن نزعات الاستئصال والجمود وتكرار المقولات التي عمَّقت وعزَّزت جذور التخلف بكل مستوياته في حياة المسلمين المعاصرة.

فالتجديد والإصلاح هو الذي يُحرِّرنا من ثقافة الاستبداد والتخلف؛ لهذا لا يمكن أن تتأسَّس تجربة إصلاحية بعيداً عن هذه القيم ومتوالياتها العقلية والثقافية والاجتماعية.

ولعلنا لا نجانب الصواب حين نقول: إن الالتزام بخيار التجديد الديني والإصلاح الثقافي، هو من أهم عناصر القوة في تجربة مجلة الكلمة، وتجربة أي مجتمع إسلامي معاصر؛ لأنه يوفر له إمكانات وآفاق عديدة للعمل وخدمة الإسلام والمسلمين من خلالها. صحيح إن تبني خيار الإصلاح والتجديد له كلفته الاجتماعية والسياسية، ولكن من ينشد إصلاح أوضاع الأمة، وإعادة مجدها التاريخي، لا يمكن أن يُنجز ما يتطلَّع إليه بعيداً عن خيار التجديد والإصلاح.

□ سؤال الحضارة

لعلنا لا نجانب الصواب حين نقول: إن كل نزعة أيديولوجية منغلقة هي بالضرورة صانعة أو حاضنة للتعصب، وطرد المختلف، ونبذ المغاير؛ لأن النزعات الأيديولوجية المنغلقة بطبيعتها ووفق بنيتها الداخلية، لا ترى الحق والحقيقة إلَّا لديها، ولا يتَّسع عقلها وقلبها وحسّها إلى مشروعات أو نظريات مغايرة أو مختلفة معها. لذلك ثمة صلة عميقة تربط النزعات الأيديولوجية المغلقة بصرف النظر عن مضمونها وآفة التعصب الأعمى وكل مخزونها العدائي والإقصائي للآخرين. وفق هذه القناعة الفكرية الراسخة تواصل مشروعنا الفكري في مجلة الكلمة مع كل الشخصيات الفكرية والمعرفية، وكذلك مع المشروعات الفكرية التي تبلورت في ساحة الأمة. وإن هذا التواصل لم يتوقف عند حدود

الأمة، وإنما انفتح أيضاً على الأفكار والمشروعات الفكرية والمعرفية الإنسانية؛ لأننا نعتقد إن النزعات الأيديولوجية المغلقة الدينية أو الوضعية تكون مُمهِّدة وراعية لكل النزعات التعصبية التي تنشأ إما من قلب هذه النزعات الأيديولوجية أو على ضفافها وهامشها. لذلك نجد أن هذه النزعات الأيديولوجية حينما حكمت وسادت في الفضاء الاجتماعي والسياسي قد استخدمت أدوات الدولة ومقدَّرات السلطة لتعميم قناعاتها ونظامها الفكري، ومارست كل أشكال الحيف والقهر والظلم بحق كل الوجودات الاجتماعية المغايرة لها أو غير المنسجمة معها سواء على مستوى الأصول أو مستوى الفروع. والممارسة والسلوك ذاتها مارستهما النزعات الأيديولوجية الدينية المغلقة والدوغمائية، فإنها حوَّلت الدين ومنظومته المعيارية غطاءً ومسوغاً لطرد المختلفين معها ونبذ المتمايزين مع تفسيرها وقناعاتها المركزية والفرعية. وما تمارسه الجماعات الأيديولوجية الدينية المغلقة والتعصبية من تكفير الناس وقتلهم والتفنُّن في إيذائهم المادي والمعنوي، ما هو إلَّا تجسيد عملي للقناعة الفكرية الآنفة الذكر؛ لأن كل منظومة أيديولوجية مغلقة بصرف النظر عن جوهرها الفكري هي بالضرورة صانعة للتعصب، ومُشجِّعة للمفاصلة الشعورية والعملية مع المختلفين مهما كانت درجة الاختلاف والتباين. لأنها لا تُرحِّب بالتعدُّد، وتنبذ الاختلاف، وتحارب ثقافة السؤال، وترفض النقد والمراجعة، وتُغطِّي كل هذه الممارسات الشائنة بعقلية تعصبية، تظهرها وكأنها الأحرص على قيم المجتمع والأمة، وهي على المستوى العملي أول من ينتهك قولاً وفعلاً قيم الأمة والمجتمع؛ لذلك فإننا نعتقد أن مواجهة ظاهرة التعصُّب الأعمى للذات وقناعاتها وتاريخها وأفكارها يتطلَّب رفض كل النزعات الأيديولوجية المغلقة سواء كانت حاكمة أو محكومة، لأنها نزعات تستدعي كل أشكال التعصب، وتمدُّها باستمرار بكل أسباب الحيوية والفعالية والاشتغال.

فلا يمكن محاربة ظاهرة التعصب إلَّا بالوقوف بوعي ضدَّ كل النزعات الأيديولوجية المغلقة التي لا ترى إلَّا ذاتها وجماعتها، ولا يتَّسع منطقها لمنطق التعدُّد والتنوُّع والانفتاح. لذلك هي تحارب كل هذه القيم، لأنها قيم مضادة لنهجها ومسيرتها الأيديولوجية والاجتماعية.

وحينما نرفض النزعات الأيديولوجية المنغلقة، فإننا لا نرفض فكرة الالتزام الأيديولوجي، لأنها بشكل عام من الحاجات الضرورية للإنسان، بحيث من الصعوبة أن نجد إنساناً دون منظومة أيديولوجية تُشكِّل بالنسبة إليه هي معيار الخير والشر، ومرجعيته الأخلاقية والسلوكية في الحياة. ولكن ما نرفضه هي النزعات الأيديولوجية التي تتعامل

مع قناعاتها وأفكارها بوصفها، هي طوق النجاة والنجاح الوحيد، وتمارس القهر والعسف لتعميم هذه القناعات والأفكار، وتتعامل معها أي الأفكار والقناعات بوصفها متعالية على الزمان والمكان وغير خاضعة لشروطهما ومقتضياتهما فيتم التعامل مع قناعات الذات وكأنها حقائق علمية نهائية، ليست قابلة للفحص والمراجعة والنقد.

والذي يتجاوز أو يرفض هذه القناعات فكأنه تجاوز الحق إلى الباطل، لذلك فهو سواء كان فرداً أو جماعةً يحارب في وجوده وحقوقه المعنوية والمادية.

وعلى المستوى المعرفي والاجتماعي العلاقة جدُّ عميقة ووطيدة بين الأفكار والقناعات الدوغمائية المغلقة سواء كانت هذه الأفكار دينية أو دنيوية، سماوية أو وضعية وبين ظاهرة التعصب.

فالإنسان الذي يرى أن أفكاره تساوي الحق والحقيقة، فإنه سيتعصب لها ويحارب من أجلها، ويُحدِّد موقفه من الآخرين انطلاقاً من موقف هؤلاء من أفكاره وقناعاته. ولا ريب في أن هذه الممارسة التعصبية تتجاوز قيمة الالتزام. فالإنسان من حقه أن يلتزم بأي فكرة أو نظرية أو أيديولوجيا، ولكن ليس من حقه أن يتعامل مع أفكاره بوصفها هي الحقيقة الوجودية النهائية، ومن يخالفها يخالف الحق، وينصر الباطل.

وإن الخيط الدقيق الذي يفصل بين الالتزام الأيديولوجي والتعصب الأيديولوجي المقيت، هو أن يمارس الإنسان الفرض والقهر والحرب لتعميم أفكاره وقناعاته. فحينما يمارس العنف بكل أشكاله لتعميم قناعاته فهو يتجاوز حدود الالتزام الطبيعي، أما إذا اعتز الإنسان بأفكاره، وعمل على تعميمها بوسائل سلمية – طبيعية، وتعامل مع قناعاته بوصفها حقائق نسبية قابلة للصواب ولخطأ في آن، فإنه يمارس التزامه الطبيعي، وهذا بطبيعة الحال من الحقوق الطبيعية لأي إنسان.

من هنا فإننا أحوج ما نكون اليوم إلى خطاب ديني واجتماعي منفتح وإنساني ينبذ العنف ويحارب التعصب بكل أشكاله.

لأن هذا الخطاب هو القادر على تدوير الزوايا، وتنمية المساحات المشتركة بين جميع الأطراف والأطياف، ويحول دون عسكرة المجتمعات واندفاعها صوب العنف وممارسته.

وعليه فإننا نعتقد أن الخطاب الديني – الإنساني والمنفتح والمتسامح هو أحد ضرورات ومتطلبات إنجاز وتعزيز الأمن الاجتماعي والسياسي للمجتمعات الإسلامية المعاصرة.

وخلاصة القول: إن طبيعة التطوُّرات والتحوُّلات الاجتماعية والثقافية والسياسية الكبرى، التي تجري في المنطقة، أبانت بشكل لا لبس فيه، صوابية خيارات المجلة الفكرية والثقافية. وإن مستقبل واقعنا الإسلامي المعاصر مرهون إلى حد بعيد بسيادة قيم الحوار والتسامح والقبول بالتعددية والوحدة القائمة على احترام التنوُّع وحماية حقوق الإنسان والتجديد والإصلاح، وهي ذاتها الخيارات التي تأسَّست مجلة الكلمة من أجلها، وبعد عقدين من التأسيس والعمل الثقافي المتواصل، لا زالت الحاجة ماسة لتعزيز هذه القيم وتعميمها في الفضاء الإسلامي العام.

ونحن عاقدون العزم على الاستمرار في مشروع البناء الثقافي والفكري الجديد، الذي عمل منبرنا على التأكيد عليه والدعوة إليه.

بعد عشرين عاماً من الصدور..
كل عام وأنتم كلمة

إدريس هاني

مضى زمن ليس بالقصير على نشأة تجربة تحمل مشروعاً فكريًّا ونهضويًّا تمّ التعاقد عليه قبل عقدين من الزمان. هو عمر رحلة من العطاء والتفكير لمجلّة الكلمة. التي لم تأتِ من فراغ. بل هي ثمرة ما قبلها من سنوات من الانشغال بسؤال النهضة والتجديد.

منذ عشرين سنة وهذه المجلة تكدح كدحاً جميلاً وقلقاً أيضاً، لم تكبُ كبوة واحدة في الصدور ولا عثرت عثرة واحدة خارج ثقافة التسامح والحوار والتقارب. وفي الغالب تعرَّف القارئ إلى هذه التجربة من خلال خطابها الذي ناضل قدر الوسع في زمن مبكّر لكي يكون خطاباً إيجابيًّا يجمع ولا يُفرّق. يستنهض ولا يُميت. يهتم بقضايا الفكر الإسلامي والإنساني في كل مستوياته حيث كان هذا هو المطلوب. أن نخاطب الجميع لا أن نخاطب طبقة محصورة، خطاباً للأمّة وليس خطاباً لنخبة.

رفضنا قبل عقدين ما من شأنه تعكير صفو هذا العالم العربي والإسلامي الذي غرق فيما يكفيه من ثقافة التفرقة والتجزئة وثقافة الاستئصال والإساءة. نبذناه تحت طائلة حرصنا على نهضة الأمّة وليس تحت أيّة طائلة سياسية أو قانونية أو سلطة ما غير سلطة الفكر والمسؤولية الفكرية. وكانت رقابتنا ذاتية

والكل يعرف حدوده.

حافظت المجلة على هذا الذوق الإصلاحي وعلى نهجها بالقدر نفسه الذي حافظت على موعد صدورها. في ذكرى (عشرين عاماً) من صدورها، لا زلت أذكر المخاض الذي تولّدت فيه هذه التجربة. كانت الحاجة إلى الكلمة حاجتنا أولاً قبل أن تكون حاجة المتلقّي. فلقد بدأنا نملّ من الخطاب الأيديولوجي المتحيّز والمتحجّر غير المفتوح وغير المحاور وغير المسؤول. فالفكر المسؤول يُحسن الإنصات للآخر. ويُؤمن بالتجديد. ويُحسن التقاطع مع المختلف على أرضية مشتركة للنقاش.

بدأ يتبلور اتِّجاه لدى المؤسسين على أنّ الحاجة إلى الفكر الحر والنقدي والارتقاء بالخطاب ليستجيب لأسئلة التقدُّم والاجتهاد والتجديد بات أمراً ناجزاً. واستمر هذا الإحساس حتى جاء الجواب ذات ليلة حين أخبرني كلّ من الصديقين الأستاذ زكي الميلاد والأستاذ محمد المحفوظ أنّه جاء الفرج، وأنّ ما نبغيه تحقق، وأنّ مرحلة جديدة من العطاء والإنجاز قد بدأت. لم نكن في حاجة إلى ميثاق أيديولوجي لكي نتدبَّر الموقف، فلقد أدرك الجميع ما يفكّر فيه الآخر بحكم المعايشة والعلاقة والانشغال والتجربة.

لقد كان حلماً مشتركاً، والكلّ يشعر بما يشعر به الآخر. ذلك لأنّ الكلّ نما وترعرع بيولوجيًّا وثقافيًّا تحت أعين البعض الآخر. فلقد ساهم في نجاح هذا المشروع كوننا في مجلة الكلمة على معرفة وعلاقة ببعضنا منذ بداية الشباب.فالأحاسيس مشتركة والطموح مشترك والقلق مشترك والحلّ مشترك. اللحظة التأسيسية كانت تعكس الرغبة في التحدِّي والمسؤولية في الوقت نفسه. حين تمّ تدبيج العدد الأول بمحاذير ما يجب أن ينشر أو لا ينشر كان المقياس هو المجتمع وما يُصلحه لا ما يفسده. رفضنا قبل غيرنا ومنذ هذا التّاريخ كل خطاب فيه إثارة لأي نعرة تعصبية دينية أو عرقية أو طائفية.

كان همّنا النهضة والسمو بالفكر لخدمة قضايا الأمة. أمّا الإخوة الذين ساهموا في التأسيس فلهم تاريخ في الإسهام بالجواب عن أسئلة النهضة ولا زالوا. الأستاذ زكي الميلاد شخص كنت شخصيًّا أكاد أوقّت ساعتي على حركته، فهو شديد الانضباط، ومهووس بسؤال النهضة، واهتم اهتماماً سابقاً برموز فكر الإصلاح، وكتب عن مالك بن نبي، ثم كتب عن محمد إقبال. الأستاذ المحفوظ هو مشروع نهضوي وتربوي يمشي على الأرض، ومأخوذ أخذاً خاصًّا بالفكر السياسي. والحقيقة أنّني نهضوي جدًّا ولكن شقاوة النقد كانت تخلق لي بعض المتاعب والحساسية، لقد كنت متّفقاً على نهج خطاب الإصلاح والنهضة، ولكنّي كنت ولا زلت أتمنى للمجلة ألّا تأسر نفسها في خطاب نهضوي بصورة أيديولوجية تُغيّب السؤال النقدي.

فلا شكّ أنّها انفتحت على نقاد كثيرين لكنها لم تنفتح على نصوصهم النقدية كلها. أقصد بالنقد هنا ما من شأنه أن يخلط أوراق الفكر ليُحفّز إلى المزيد من التفكير والتفكّر. كانت الحساسية هنا ليست ضد النقد ورسالته، وإنما طغى على المجلة الخوف على رسالتها الإصلاحية والتقريبية. وربما حصل تقدُّم هادئ في مسار النقد ولكنه غير كافٍ على الأقل بالنسبة لما أعتقده من حقيقة النقد ووظيفته. لكن أهمّ شيء كان يجمع بيننا قبل الفكر وبعده هو الميثاق الأخلاقي الذي يُؤطّر السياسة الفكرية بأهدافها النبيلة التي تضع رسالة الإصلاح نصب عينيها. فنحن نعرف بعضنا جيداً، ونختلف كإخوة داخل البيت الواحد، وعلاقتنا قريباً تبلغ عقدها الثالث، وكان الأصدقاء يتحمّلون شقاوة ما نقدم عليه من أعمال نقدية قد لا يتّفقون معها، لكن كانت الأمور تمشي على مستوى رفيع من التسامح والتفهُّم.

وجدت المجلة لها شريحة من القرّاء في المغرب، وعلى الرغم من كثرة الانشغالات والأسفار كنت بين الفينة والأخرى ومن منطلق تمثيلي للمجلة في المغرب أحاول استكتاب شرائح معيّنة، ولقيت قبولاً حسناً من القراء، إذ لا يخلو بيت أو مكتبة لا توجد فيها المجلة لا سيما لمن كان يتعاطى الفكر الإسلامي أو الفكر العربي. وحرصنا أن تكون هناك لجنة علمية استشارية من كل الاتجاهات والأفكار، كمؤشّر على أنّ رسالة المجلة هي للأمّة جميعاً ولكل مستويات الفكر، ولا زال هذا هو اعتقادنا. وكان من نصيبي أن طرحت فكرة الاستشارة على شخصين اعتقدت حينئذٍ أهمية انضمامهما إلى المجلة، وكان الإخوة في إدارة المجلة مرحبين بهما، وأقصد كلًّا من الدكتور فتحي عثمان رَحِمَهُ اللَّهُ والدكتور طه عبد الرحمن. كان الأوّل مفكراً إسلاميًّا رائداً غادر مصر وقضى حياته في كالفورنيا، وكانت له مشاركة في المجلة. أما د. طه عبد الرحمن فقد كان مفكّراً مغربيًّا مثيراً للجدل في تسعينات القرن الماضي ولا يزال.

فضَّلت المجلة أن تُنوِّع في نوعية ومستوى خطابها ليشمل أكثر من فئة، وابتعدت عن المحاور الغارقة في التخصص والنخبوية؛ لأن رسالتها عامة تستهدف كل شرائح القراء. فالجانب التربوي حاضر فيها، فلا يمكن الحديث عن تنمية الوعي من دون استهداف الفئة التي في طريق النمو. وهكذا كان الإغراق في الأبحاث التخصصية التي لا تساهم في وعي المتلقّي باتجاه سؤال النهضة والإصلاح ليست هدفاً للمجلة. وقد حافظت على هذا النوع من الاعتدال والجمع بين العمق والتبسيط، بين رسالة الفكر ورسالة المجتمع. وفي هذا الإطار اهتمت المجلة بملفات ساخنة في مجال المجتمع المدني والعولمة والفكر التربوي ودراسات المستقبل والفن وفلسفة الجمال وهلم جرًّا، وقدّمت أبحاثاً رائدة في هذا المجال. كما قدمت نصوصاً مترجمة في مناحي شتّى من الفكر الإنساني والكثير من الاختصاصات. كما نشرت قراءات في كتب أعلام فكرية متنوعة، وغطّت أنشطة وفعاليات فكرية مختلفة في

باب التقارير، وكذا نشرها لملخصات عن رسائل وأطاريح جامعية ومؤلفات ومنشورات حديثة.

لا زالت المجلة تعتقد بأنها ستبقى شاهداً على عصر يتطلَّب مزيداً من الإصرار على رسالة التقدُّم والإصلاح والنهضة. لم نيأس بعدُ من هذا المطلب الحضاري، لكن وجب أن تُدرك المجلة وندرك معها أنّ العالم يتغيَّر وأنّ خطابنا يجب أن يُواكب حركة التغيير تلك. فلا شكّ في أنّ الزمان يمرّ أمامنا مرور السحاب، وأنّ الخطاب النهضوي لما قبل عشرين سنة ليس هو نفسه خطاب اليوم. هناك أجيال ينسخ بعضها بعضاً. وهي غير مدركة لتلك الكليشهات التي تُشكِّل خلفيات رسالة الفكر السابقة. هناك هموم جديدة لم تكن يومها قد ظهرت، وهناك مقاربات استجدَّت في هذا المجال. هذا دون أن نغفل أنّ أصحاب المجلة هم أيضاً لم يتوقَّفوا في تنمية إمكاناتهم وقدراتهم؛ لأنّهم نهضوا بهذا الجهد في زمن مبكّر ونهضوا بعبء رسالة ثقيلة لم يتحمَّلها أقرانهم يومها، وهذا مدخر في رصيد هذه التجربة التي كبرت معنا وكبرنا معها.

وفي الختام لا زلت مؤمناً بجوهر رسالة الكلمة من حيث أبعادها التربوية التي تستنهض الوعي، كما لا زلت مؤمناً بمنابذتها كلّ فكر غير مسؤول يُثير ما من شأنه التشجيع على الفرقة والتجزئة. فهي رسالتنا سبّاقون إليها منذ ما قبل تأسيس المجلة التي كانت مجرَّد تتويج لها، ولكنّي لا زلت غير مقتنع بالوتيرة التي تسلك عليها المجلة في مجال رسالة النقد الذي يهدف إلى تطوير المعرفة. فتنمية الفكر لا تقوم إلَّا على رسالة النقد الجريء ولكنه المسؤول أيضاً. لست بالضرورة مع فعل خرق الطابوهات بالضرورة وبلا شروط، بل مع ما يمكن أن نُسميه تدبير الطابوهات وفتح مساحات جديدة فيما لم يُفكَّر فيه أو إعادة التفكير فيما تم التفكير فيه. تظل القيمة المضافة لمجلة الكلمة في كونها رسمت سياسة فكرية تقوم على احترام رسالة الفكر المسؤول كلها، وتحمل رسالة تسامح للمختلف كله حتى لو تعذّر على المجلة القبول بنشر بعض المقالات وهو نادر ما يحصل، فذلك لاعتبارات تخص سياستها القاضية بعدم الإساءة؛ لأنّ رسالتها إصلاحية نهضوية تهدف نشر التسامح الفكري والديني والإنساني. نعم، لكل تجربة مهما كانت إمكاناتها نقائص وهنَّات، ويظل الكمال هدفاً أمامنا نسعى أن نتطوَّر في اتِّجاهه. وكل عام وأنتم كلمة.

البعد التقريبيّ من خلال مقالات مجلّة الكلمة..

التقريب من خلال الثقافة

الدكتور علي بن مبارك*

□ مدخل

ترتبط احتفالات أعياد الميلاد بفوضى من المشاعر والأحاسيس قد تصل أحياناً حدَّ التناقض والاضطراب، فلحظة الولادة عند من أدرك كُنهها وخصّها بالتذكّر والاحتفاء لحظة وجود خالدة، وبحث مستمرّ عن المعنى، وكلّما تذكّر المرء ولادته الأولى تذكّر انتصاراته وهزائمه، واسترجع آماله وآلامه، وينسحب هذا التوصيف على تاريخ الأفكار، فلكلّ فكرة تاريخ ميلاد وسيرة حبلى بالأفراح والأتراح والأعداء والأنصار.

وربّما من السهل دراسة ولادة الأعلام والنخب، ولكن من الصّعب أن ترصد مخاض الأفكار وولادتها وكيفيّة انتشارها واشتغالها وتأثيرها في النّاس، وعلى هذا الأساس لم يكن من الهيّن علينا أن نُسهم بمقال يتعلّق بتجربة مجلّة «الكلمة» في ذكرى ولادتها العشرين. فهذا المحور المخصوص يتطلّب شهادة في تجربة ثقافيّة معرفيّة فرضت نفسها، وتركت بصمتها في عالم الفكر العربيّ

* أستاذ جامعي – تونس، البريد الإلكتروني: benmbarek.alii@yahoo.fr

المعاصر، رغم كثرة المصاعب التي ألّمت بها.

لن تكون هذه المقالة شهادة فحسب، بل كذلك سترصد مشروع مجلّة «الكلمة» التقريبيّ، وهو مشروع متعدِّد الوجوه ومتنوُّع المرجعيات والخلفيات، وكنّا قد أسهمنا بباقة من المقالات[1] في بناء صرح هذا المشروع الكبير الذي أكّده صاحب المجلّة ورئيس تحريرها الأستاذ زكي الميلاد في أغلب افتتاحيات المجلّة ومقالاته المنشورة فيها.

ولا نقصد بحديثنا عن مشروع فكري يتعلّق بالتقريب بين المذاهب الإسلامية، وجود نظرية دقيقة ومنظمة في هذا المجال، فالمشاريع المعرفيّة قد تتجاوز حدود الدقّة والتنظيم، ولذلك لا بدّ أن نميّز بين «التقريب» و«البعد التقريبيّ»، فالتقريب مشروع واضح المعالم، كشف عن نفسه (وما زال يكشف)، وصرّح بخطّه الفكريّ ونهجه الإصلاحيّ ومشروعه المنشود المزمع تحقيقه، ونستطيع أن نلمح هذا التقريب الصّريح المباشر في المجلّات والدوريات الصّادرة عن مؤسسّات تُعنى أساساً بالتقريب بين المذاهب الإسلاميّة، ويمكن أن نذكر على سبيل المثال مجلتَي «رسالة الإسلام»[2] التي صدرت عن دار التقريب بالقاهرة، و«رسالة التقريب» الصادرة عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة بطهران.

ولكنّ الحديث عن التقريب والتواصل والحوار الإسلاميّ – الإسلاميّ لم يكن حكراً على الدّوريات الصادرة عن مؤسسات التقريب، بل نجد حديثاً هنا وهناك بأشكال مختلفة ومضامين متعدِّدة ومصطلحات متباينة يرغّب في تقريب وجهات نظر المسلمين، والطريف أنّ هذا البعد التقريبيّ على ضمنيته أحياناً قد يصبح أكثر فاعليّة وأبلغ تأثيراً من النُّصوص التقريبيّة الرسمية الصريحة. واندرجت مقالات مجلّة «الكلمة» ضمن هذا الخيار القائم على ما نعتبره تقريباً صامتاً، يؤثّر في المتلقّي بطريقة ضمنية تهتمّ أساساً بالثقافة ومداخلها المتعدّدة.

(١) انظر:

* علي بن مبارك

- أهميّة التضامن الإسلاميّ وصعوباته عند عبد العزيز الثعالبي، مجلة الكلمة، عدد٦٢، سنة ١٦، شتاء ٢٠٠٩، ١٤٣٠هـ، ص ص ٦٢ – ٧٤.
- قراءات في أصول التفسير: محمد الطّاهر بن عاشور ومحمد حسين الطباطبائي نموذجين، مجلّة الكلمة، عدد ٦٣، السنة ١٦، ربيع ٢٠٠٩، ١٤٣٠ هـ، ص ص ٢١ – ٣٩.
- دور تجديد علم الكلام في التّقريب بين المذاهب الإسلاميّة من خلال مجلّتيْ «رسالة الإسلام» و«رسالة التّقريب»: تجديد الكلام في «الإمامة» نموذجاً، مجلة الكلمة، بيروت، عدد٦٦، سنة ١٧، شتاء ٢٠١٠، ص ص ١١٩ – ١٤٠.

(٢) أصدرت دار التقريب بالقاهرة مجلة «رسالة الإسلام» في عددها الأوّل سنة ١٩٤٩، وتوقّفت المجلة عن الصدور سنة ١٩٧٢ (العدد ٦٠).

يدرك القارئ هذا البعد التقريبيّ كلّما قرأ مقالاً من مقالات الكلمّة، مهما كان مجاله أو مؤلّفه أو المرجعيّة التي تؤطّره وتوجّهه، فالبعد التقريبيّ روح سارية في أجزاء الكلمة ومقالاتها المتنوّعة، ولئن اختلف كتّاب المقالات من حيث الانتماء الجغرافي والخلفيات الفكرية والمذهبية فإنّهم اتّفقوا ضمنيًّا على أهمية التواصل بين الجماعات الثقافية والإثنية والمذهبية وتحقيق السلم الأهليّ.

وندرك من خلال قراءة نصوص الكلمة أهمية المدخل الثقافي في بناء مشروعها التقريبيّ، وسنتحدّث عن مشروع مجلّة الكلمة التقريبيّ الثقافيّ من خلال ثلاثة مداخل أساسيّة لم يكن الفصل بينها غير فصل منهجيّ، فالمباحث متداخلة والأفكار متعانقة، وجميعها يدعّم البعد التقريبيّ الذي نبحث عنه في المجلّة ومقالاتها، وتتعلّق هذه المداخل بمحورية الشأن الثقافيّ في مشروع الكلمة وأهمية حوار الحضارات في توجيه التقريب الوجهة المنشودة، وفهم الفكر الإسلامي المعاصر في علاقته بمطلب الحوار والتواصل.

□ أوّلاً: محورية الثقافيّ في مشروع مجلّة الكلمة التقريبيّ

يمكن التمييز بين بعدين تقريبيين، يهتمّ البعد الأوّل بالفقه وما حفّ به من معارف شرعية وأفكار دينيّة، ويُهيمن هذا البعد الدّينيّ الفقهيّ على تجارب التقريب بين المذاهب الإسلاميّة الرّاهنة وأدبيّاته، أمّا البعد الثاني فيتعلّق بالثقافة في تعدّدها من خلال كلّ أشكالها الإبداعيّة، ورغم تراجع التقريب الثقافي في العقدين الأخيرين، فإنّ المدخل الثقافيّ يظلّ المدخل التقريبيّ الأصيل، إذ راهنت جماعة التقريب بين المذاهب الإسلاميّة بالقاهرة على هذا المدخل، واهتمّت تجربة الرّيادة بالثقافة وأعلامها، لأنّها كانت تدرك أنّ ما تحقّقه الثقافة قد يعجز عن تحقيقه الفقه ومتعلّقاته، وعلى هذا الأساس كانت تجربة جماعة التقريب[٣] تجربة ثقافيّة بامتياز، ولا نبالغ إذا قلنا بأنّ مجلّة «الكلمة» حاولت بطريقة أو بأخرى إحياء هذا المشروع الثقافي الذي يجمع النّاس ولا يُفرّقهم، ويُقرّب الأفكار ولا يُثير القلق والمخاوف.

---

(٣) تأسست «جماعة التقريب» بالقاهرة سنة ١٩٤٦، وقادها مجموعة من العلماء من قبيل عبد المجيد سليم (تـ١٣٧٤هـ، ١٩٥٥)، ومحمد مصطفى المراغي (١٣٦٤هـ، ١٩٤٥م)، ومصطفى عبد الرازق (تـ١٣٦٦هـ، ١٩٤٦م)، ومحمود شلتوت (تـ ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م)، ومحمد المدني (تـ ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م)، وعلي الخفيف (تـ ١٣٩٨هـ، ١٨٩١ – ١٩٧٨م)، وعبد العزيز عيسى (تـ ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م)، وآية الله آغا حسين البروجردي، ومحمد تقي الدين القمي، ومحمد حسين آل كاشف الغطاء، وعبد الحسين شرف الدين الموسوي، ومحمد جواد مغنية، وصدر الدين شرف الدين.... وتولّى محمد تقي القمّي الأمانة العامة للجماعة، وتوقّفت دار التقريب عن النشاط سنة ١٩٧٩.

تتميّز المداخل الدّينيّة الفقهية بالصّرامة والثبات، فليس من السهل تعديلها، ولا تقبل بيسر المراجعة والنقد، فالفكر الديّني اتَّخذ له هالة من التقديس لا تُشجّع أحياناً على الحوار بين الجماعات الدّينيّة أو المذهبيّة، فالتعصّب إلى المذهب أو الرأي -على نسبيّته وبشريّته- أصبح أكثر حدّة من التعصّب للدين ومقاصده.

وعلى النقيض من ذلك تقوم الثقافة الإسلامية على التنوّع والمراجعة والنقد، وعن ذلك تحدّث الشيخ حسن موسى الصفّار في إحدى الكلمات الأولى للمجلّة عن «خطاب الوحدة.. نقد وتقويم»، فكيف يمكن للتواصل الإسلاميّ - الإسلاميّ أن يتحقّق والحال أنّ الثقافة ما زالت مشوّهة لا تقوم بوظيفتها الطبيعية: وظيفة النقد والبناء والتأسيس، فأغلب مؤسّسات الثقافة والتربية والإعلام تروّج لخطاب الصراع والتنافر والتطاحن والتباغض والتقاتل و«لا تكاد تجد سوى عدد محدود من المؤسّسات المهتمة بالخطاب والشأن الوحدويّ»(٤).

فالثقافة ما زالت تنشط تحت وصاية الفقه ورجالاته، فتحافظ على السائد وتدافع عنه بعنف رغم احتوائه الصالح والطّالح، والنافع والفاسد، فالمفاهيم الثقافيّة التواصلية متجدّدة ومتغيّرة ويمكن تطوير المداخل المتعلّقة بها، و«قد أفرزت تطورات الحياة البشرية في هذا العصر مفاهيم جديدة يمكننا الاستفادة منها في تحقيق ذلك الهدف المنشود، حيث تختصر لنا طريق الوصول إليه»(٥)، وهذا يعني أنّ المواطنة مفهوم ثقافي بامتياز وإن غلب عليه البعد السياسيّ الحقوقيّ.

ليست المواطنة مجرّد حقوق وواجبات وتشريعات متعلّقة بها، بل هي قبل كلّ شيء سلوك ثقافيّ وشكل من أشكال الوعي بالذّات والمحيط، ولذلك نجد مجلة «الكلمة» تؤكّد على فكرة المواطنة في عدّة مقالات ومن خلال عدّة خلفيّات ومرجعيّات، فالمواطنة فضاء رحب يسع الجميع داخل الوطن وإن تباينت مذاهبهم وأفكارهم وأحزابهم.

ومن المؤلم أن تغيب المواطنة في أوطاننا، ويصنّف أفراد الشعب إلى طبقات وفئات، ويعكس هذا الطرح أهميّة المدخل الثقافي المدنيّ في التقريب بين المسلمين أفراداً وجماعات، وعلى هذا الأساس الفكريّ طرح محمد محفوظ «سؤال المواطنة والتعددية المذهبية» في إحدى الكلمات الأولى للمجلّة، وارتبط حديث محفوظ عن المواطنة بحديثه عن الإسلام

(٤) حسن موسى الصفّار، خطاب الوحدة.. نقد وتقويم، مجلّة الكلمة، عدد ٦٧، السنة ١٧، ربيع ٢٠١٠/ ١٤٣١ هـ، ص ٧.

(٥) الصفّار، المرجع نفسه، ص ١٧.

بما هو «دين الحرية واحترام العقل ومنجزاته»[٦].

وهذا يعني أنّ الإسلام بمقاصده لا بأحكامه الظاهرة القائمة على فروع الدّين، فالممارسات الدينية والأحكام الفقهيّة المتعلّقة بها قد شوّهت أحياناً من معالم الدّين، وغيّرت وجهة التشريع، فمُورس الظلم والقهر والتمييز المذهبي والعنف والإرهاب باسم الدّين ومن خلال تأويل نصوصه، وهذا يعني أنّ الثقافة الإسلاميّة تشكو أزمة، من علاماتها وجود تضارب بين التنظير والممارسة، و«وجود مسافة بين الإسلام المعياريّ والإسلام التاريخيّ»[٧].

وتطرح مجلّة «الكلمة» من خلال هذه المواضيع قضايا سجاليّة عويصة، تناولتها بجرأة وشجاعة وعمق في الطرح، إذ ما زال البعض يرفض المواطنة ويرى أنّها من المفاهيم الغربية الغازية، وأنها تتنافى مع شريعتنا وما أفتى به فقهاؤنا، وتطلّب هذا الفكر التصحيحيّ قراءة جديدة للفكر الدّيني تتجاوز ثقافة الفروع والنّصوص الحافة بنصّ التأسيس، وتجديد العهد مع القرآن الحنيف بعد طول هجر، ولذلك حاول محفوظ أن يتدبّر بعض معاني القرآن حتّى يقف عند مقاصده وروحه الخالدة، ونجد هذا المنهج يتكرّر في عدّة مقالات أخرى منشورة في مجلة الكلمة، إذ حاول قطب مصطفى سانو[٨] أن يعتمده في ترسيخ مبدأ المواطنة عند المهاجرين المسلمين بالغرب.

ويُعطي هذا الوعي الثقافي المدنيّ أهميّة للمجتمع المدني باعتباره يتكوّن من المؤسسات الثقافية والاجتماعية المستقلّة من حيث نشاطها عن الحكومة، لقد أدركت مجلّة «الكلمة» من خلال عدّة مقالات أنّ سبب أزمة التواصل الإسلاميّ – الإسلاميّ تعود في أغلب الأحيان إلى الأنظمة السياسيّة، فرجال السياسة لا يهمّهم أمر المسلمين وتقاربهم بقدر ما تهمّهم مصالحهم الخاصة والمحافظة على سلطانهم، ولذلك نادراً ما يتعاطف السّاسة المسلمون مع فكرة التقريب ومدّ جسور التواصل بين أبناء الملّة الواحدة، بل حاربوا دعاة الوحدة والتقريب.

ولذلك لا بدّ من دعم المجتمع المدنيّ وتشجيعه على النشاط في المجال الثقافي التقريبيّ، فعساه يحقّق ما عجزت الأنظمة الحاكمة على تحقيقه، ويزداد الأمر سوءاً إذا

---

(٦) محمد محفوظ، سؤال المواطنة والتعددية المذهبية، مجلة الكلمة عدد ٥٨، السنة ١٥، شتاء ٢٠٠٨/ ١٤٢٩، ص ٥.

(٧) محمد محفوظ، المرجع نفسه، ص ٥.

(٨) قطب مصطفى سانو، في منهجية التوفيق بين التقيد بالثوابت ومقتضيات المواطنة للمسلمين خارج الديار الإسلاميّة، مجلة الكلمة، عدد ٥٨، السنة ١٥، شتاء ٢٠٠٨/ ١٤٢٩، ص ص ١٧-٤٤.

تعلّق بأنظمة سياسيّة قديمة ترفض كلّ جديد وتخاف من كلّ تغيير، ولذلك نجد حديث عن «الإسلام والمدنيّة»[٩] و«التعددية بين المجتمع المدني والكنيسة»[١٠]، وتساءل الدكتور عبدالهادي الفضليّ عن «إمكانية تفوّق المسلمين مدنيًّا»[١١].

وفي هذا الإطار أيضاً تنزّل كتاب أحمد شهاب: «المجتمع المدني في الخليج بين الواقع والمأمول»، إذ عرّفت المجلّة بهذا المؤلّف كما عرّفت بكتب أخرى اندرجت ضمن هذا الطرح الحداثيّ من خلال ركن «كتب: مراجعة ونقد»، وتوصّل شهاب إلى نتيجة مفادها أنّ مفهوم المجتمع المدني ما زال هشًّا وغامضاً في المجتمعات العربيّة عموماً والمجتمع الخليجيّ بصفة أخصّ، «فالمجتمع أفراداً وجماعات وسلطة ونخب فكريّة وثقافيّة وسياسيّة لم تُتقن بعدُ مهارة أن تعرف ماذا تريد من المجتمع المدني»[١٢].

ونفهم ممّا سبق أنّ التقريب باعتباره ثقافة يعكس سلوكاً تواصليًّا حضاريًّا يشمل التربية والإعلام والإبداع ومؤسّسات المجتمع، فالتربية على الحوار والتواصل أساس كلّ تقارب بين الجماعات البشريّة، وتعتبر التربية مدخلاً ثقافيًّا مهمًّا من مداخل التقريب بين المذاهب الإسلاميّة، ولذلك نجد عدّة نصوص نشرت بمجلّة الكلمة اهتمّت بالتربيّة وقضاياها، وفي هذا السّياق تحدّثت الكلمة عن «الخطاب الفلسفي التربوي» و«مؤتمر التربية الجامعية على حقوق الإنسان»، كما درست تجارب تربويّة مخصوصة، وندرك من خلال هذا المدخل أنّ إصلاح التعليم يكون بتوجيهه الوجهة التواصلية المنشودة.

□ ثانياً: التقريب وحوار الحضارات

اهتمّت مجلّة «الكلمة» بقضايا الحوار عموماً ومشاغل «الحوار الإسلامي الإسلاميّ» بصفة أخصّ، ولا نبالغ إذا قلنا: إنّ مجلّة الكلمة كانت رائدة في الحديث عن هذا الضرب من الحوار، فقد اختارت مجلة «الكلمة» لكتابها السنوي «كتاب الكلمة» (٢٠٠٤)، عنوان

---

(٩) زكي الميلاد، الإسلام والمدنيّة: تقدُّم وتراجع فكرة المدنية في مرحلتي الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر، مجلة الكلمة، عدد ٦٢، السنة ١٦، شتاء ٢٠٠٩مـ/ ١٤٣٠هـ، ص ص ١٥-٣٦.

(١٠) ماك إينيرني، مجلة الكلمة، التعددية بين المجتمع المدني والكنيسة،مجلة الكلمة، عدد ٦٢، السنة ١٦، شتاء ٢٠٠٩مـ/ ١٤٣٠هـ، ص ص ١١٨-١٢٤.

(١١) عبد الهادي الفضلّي، إمكانية تفوّق المسلمين مدنيًّا، مجلة الكلمة، ٦٢، السنة ١٦، شتاء ٢٠٠٩مـ/ ١٤٣٠هـ، ص ص ٥-١٤.

(١٢) عبد الإله التاروتي، المجتمع المدني في الخليج بين الواقع والمأمول، مجلة الكلمة، عدد ٥٨، السنة ١٥، شتاء ٢٠٠٨/ ١٤٢٩، ص ١٥٠.

«الحوار الإسلاميّ – الإسلاميّ: من أجل بناء مستقبلنا المشترك»[١٣] وانطلق كتاب الكلمة من سؤال خطير نصّه: «كيف نسمح لأنفسنا بأن نرى العالم يتقدّم بخطوات سريعة ونحن لا نستطيع أن نتحاور مع أنفسنا ونتضامن مع بعضنا ونتعايش مع تنوّعنا»[١٤].

ويتبنّى هذا التّصوّر مشروعاً مفاده أنّ «الحوار الإسلاميّ – الإسلاميّ» من أشدّ أنواع الحوار حاجة إليه»[١٥]، ولقد تعرّض السيد محمّد حسين فضل الله إلى حوار إبليس مع الله واستنتج أنّ الحوار يشمل الجميع دون استثناء، وأنّه «ليس هناك شخص مرفوض في الحوار»[١٦]، فالمسلمون كلّهم معنيّون اليوم بالحوار نظراً إلى وجود أزمة تواصل حقيقيّة لا يمكن تجاهلها، وهذا يعني وجود مشكلة «ليست في الحقّيقة مشكلة السنّة والشّيعة ولكنّها مشكلة السنّة أنفسهم ومشكلة الشّيعة أنفسهم، فنحن لا نجد حالة الحواريّة الموضوعيّة داخل السنّة أو داخل الشّيعة»[١٧].

ونفهم من كلام السيد فضل الله أنّ الحوار الإسلاميّ – الإسلاميّ يتجاوز الحوار بين المذاهب أو المجموعات الإسلاميّة المختلفة ليشمل الحوار مع الذّات، فالحوار يكاد يكون مغيّباً ثقافةً وسلوكاً، فرداً وجماعةً، فالأزمة بهذا المعنى أزمة نسقيّة جوهريّة لا تتعلّق فقط بعلاقة السنّة بالشّيعة وكيفيّة التفاهم بينهما، ولعلّ سبب أزمة التّواصل في السّياق الإسلاميّ تعود أساساً –حسب السيد فضل الله– إلى غياب الحرّية وشيوع «التخلّف الذّهنيّ الثقافيّ» باعتباره «سرّ المشكلة في انهيار الحوار الإسلاميّ – الإسلاميّ»[١٨]، فثقافة التخلّف حين تُهيمن على الفكر الدّينيّ السنّي والشّيعيّ لا تستطيع التحرّر من رواسب التقليد والاتّباع.

ولم يكن الحوار الإسلامي – الإسلاميّ معزولاً عن سياقه الكونيّ الإنسانيّ، فالحوار يندرج ضمن مشروع حضاريّ متعدّد الجوانب، ويعني هذا الكلام أنّ الحوار الثقافي يختزل كلّ أنواع الحوار.

---

(١٣) صدر هذا الكتاب عن منتدى الكلمة، سنة، ٢٠٠٤ في إطار سلسلة (كتاب الكلمة) وقام بتأليفه مجموعة من الكتاب.

(١٤) مجموعة مؤلّفين، الحوار الإسلاميّ – الإسلاميّ: من أجل بناء مستقبلنا المشترك، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، بيروت، ٢٠٠٤، سلسلة: كتاب الكلمة، ص ٥.

(١٥) المرجع نفسه، ص ٧.

(١٦) محمّد حسين فضل الله، مستقبل الحوار الإسلاميّ – الإسلاميّ، الحوار الإسلاميّ – الإسلاميّ: من أجل بناء مستقبلنا المشترك، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، بيروت، ٢٠٠٤، سلسلة: كتاب الكلمة، ص ١٠.

(١٧) محمّد حسين فضل الله،المرجع نفسه، ص ١٩.

(١٨) محمّد حسين فضل الله،المرجع نفسه، ص ٢٠.

ونشرت مجلة الكلمة عدة مقالات تحدثت عن المشروع الحضاري الإسلامي وأبعاد نظرية تعارف الحضارات التي بشّر بها رئيس تحرير المجلّة: زكي الميلاد في عدّة مواضع. ويعني المشروع الحضاري في أبعاده الكبرى «استشراف المستقبل المنشود للأمّة الإسلامية وسط متغيّرات عالميّة..»[١٩]، فالمشروع الحضاري الذي تبشّر به المجلّة يجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويحقق «التفاعل بين الذات والآخر»[٢٠]، وكما نلاحظ لا يمكن الفصل على مستوى مشروع مجلة الكلمة التقريبيّ بين الذات والآخر، فكلاهما مرتبط بالآخر يؤثّر فيه ويتأثّر به.

كان حديث «الأنا والآخر» في مجلة الكلمة حديثاً ذا شجون، يعترضك صداه في كلّ ركن من أركان المجلّة، وتلمس قضايا الذات في علاقتها بالآخر في أغلب مقالات المجلّة وافتتاحياتها ومختلف أركانها، وينطلق هذا المسار الفكريّ من فرضيّة مفادها أنّ معرفة الذّات مرتبطة نسقيًّا وتاريخيًّا بالآخر في تعدّده وتنوّعه، ولذلك تعدّدت المقالات المتعلّقة بالغرب والأديان والتيارات الفكرية الحداثيّة.

ولم يكن حديث الكلمة عن الآخر هدفاً في حدّ ذاته، بل كان واجهة لمراجعة الذّات وفهمها، وفي هذا السياق يندرج مقال الزهراء عاشور من الجزائر وغيرها ممّا يضيق المجال لدراسته، وتحدّثت الزهراء عن «حوار الثقافات وإشكاليّة الأنا والآخر في الفكر العربي والإسلامي المعاصر»[٢١]، ونفهم من خلال هذا المقال والنماذج الفكريّة التي اشتغلت عليها الباحثة، أنّ التقريب بين المذاهب الإسلاميّة مشغل تواصليّ ثقافي لا يمكن عزله عن سياقه الكوني.

إنّ الحوار مطلب إنسانيّ يقوم على احترام الآخر مهما كان مختلفاً عنّا ومبايناً لأفكارنا، وأحياناً نحتاج إلى دراسة الآخر حتّى نتمثّل ذواتنا ونتواصل مع أنفسنا ونفهم ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا، ولذلك تحدَّثت مقالات مجلة «الكلمة» عن الاستشراق والمستشرقين من منظور علميّ نقديّ، وفي إطار هذه الوجهة الثقافيّة التقريبيّة تحدّث حيدر حبّ الله عن «الحديث والمستشرقون» من خلال «جولة نقديّة في المواقف والنظريات».

---

(١٩) حسّان عبد الله حسّان، في المشروع الحضاري الإسلامي، مجلة الكلمة، عدد ٦٧، السنة ١٧، ربيع ٢٠١٠/ ١٤٣١هـ، ص ٢٠.

(٢٠) حسّان عبد الله حسّان، المرجع نفسه، ص ٤٥.

(٢١) الزهراء عاشور، حوار الثقافات وإشكاليّة الأنا والآخر في الفكر العربي والإسلامي المعاصر، مجلة الكلمة، عدد ٦٨، السنة ١٧، ٢٠١٠م/ ١٤٣١هـ، ص ص ٦١-٨٨.

وندرك من خلال دراسة مواقف بعض المستشرقين من السيرة النبوية أنّ الثقافة الإسلاميّة كانت في صلب اهتمامات الغربيين، وأكّد حيدر حبّ الله عند حديثه عن موقف المستشرقين من نقد المتن عند المسلمين أنّ «المستشرقين على حقّ بقدر في هذه النقطة، وجانبوا الصواب بقدر آخر، ووقعوا في تناقضات من جانب ثالث»(٢٢).

وندرك أهميّة الطرح العلميّ الموضوعيّ في تحقيق التواصل والتقارب، فأغلب مقالات مجلة الكلمة تنحى هذا المنحى العلميّ البحثيّ، فلا تعارف بين الحضارات دون معرفة، فالمعرفة أسّ التواصل وركيزة كلّ حوار بنّاء، فكيف يمكن لنا التواصل مع طرف لا نعرفه ونجهل حقيقته؟

إنّ مشروع الحوار الحضاري الذي تبنّته الكلمة بما هو «تكتّل من أجل التعايش»(٢٣) لا يمكن أن يقوم دون معرفة حقيقية وتعارف مسؤول، ولذلك أكّد القرآن على آلية التعارف باعتبارها أساس كلّ فعل تواصليّ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾(٢٤).

ولا نبالغ إذا اعتبرنا مفهوم التعارف في بُعده القرآنيّ يمثّل الركيزة التي تتمحور حولها إشكالية الذات في علاقتها بالآخر، ومن ثمّة إشكاليّة الذات في علاقتها بمكوّناتها وأنساقها وجماعاتها، فكيف تتواصل الجماعات الثقافيّة والدّينيّة فيما بينها دون تعرّف وتعريف واعتراف: تعرّف على الآخر المخالف والمغاير على حقيقته دون تشويه أو تخييل، وتعريف بالذّات تيسّر الفهم والتمثّل، واعتراف بالخطأ والسهو والتقصير، فهذه اللحظات الثقافية المعرفيّة الكبرى تُسهّل الحوار وتُيسّر التقارب والتقريب.

ولا يعني مشروع الحوار الحضاريّ كما رسمت معالمه مجلّة «الكلمة» جلد الذّات وتقديس الآخر، فهذه مواقف انفعاليّة لا تُسهم في تحقيق التواصل الواقعيّ بين المنظومات الحضارية والعقديّة، ولذلك انتقد الباحث المغربيّ علي صديقي «تحيّز النقد العربيّ الحديث إلى النقد الغربيّ»، وآية ذلك أنّ «روّاد النهضة العربيّة يتهافتون على الفكر الغربيّ ويدعون

(٢٢) حيدر حبّ الله، الحديث والمستشرقون: جولة نقديّة في المواقف والنظريات، مجلّة الكلمة، عدد ٦٧، السنة ١٧، ربيع ٢٠١٠م/ ١٤٣١هـ، ص ٦٣

(٢٣) صلاح سالم، تكتل من أجل التعايش لا الصدام الحضاريّ، مجلة الكلمة، عدد ٦٣، السنة ١٦، ربيع ٢٠٠٩مـ/ ١٤٣٠هـ، ص ص ١٠٥-١١٧.

(٢٤) الحجرات: ١٣.

إليه، وبالمقابل «يحتقرون» التراث النقديّ العربيّ»[٢٥].

ولئن بالغ صاحب المقال في إطلاق الأحكام المتعلّقة بروّاد النهضة العربيّة، فإنّه نبّهنا إلى أمر خطير مفاده أنّ الحوار الحضاريّ لا يقوم على الانفعالات المتناقضة والمواقف المتحمّسة، بل يخضع أساساً إلى منهج معرفيّ لا يُجامل ولا يُعادي، ويُحقّق التواصل الناجع البنّاء، ولذلك كان هاجس التواصل هاجساً أساسيًّا في مشروع مجلة الكلمة الحضاري، وفي هذا الإطار تحدّث عبد الرزاق بلعقروز من الجزائر عن «نظريّة الفعل التواصلي وحدودها: من العقل التواصليّ إلى الإنسان التعارفيّ»، واعتبر صاحب المقال التعارف «أداة نراهن بها من أجل تدبير الاختلاف في عالم اليوم»[٢٦].

مثّلت المسألة الحضارية عماد مشروع مجلّة الكلمة التواصلي والثقافيّ، ولذلك نشرت المجلّة عدّة مقالات تتناول الحوار الحضاري والتعارف بين الحضارات، كما دأبت المجلّة على التعريف بجديد الكتب والأطروحات الجامعية المتعلّقة بهذا المجال الثقافيّ الحيويّ، فتحدّث يحيى اليحياوي من المغرب عن «في القابلية على التعارف على هامش أطروحة تعارف الحضارات»، وانتقد الباحث نظرية صراع الحضارات، وتحدّث عن أطروحة تعارف الحضارات من خلال بعض رموزها وعلى رأسها زكي الميلاد الذي تحدّث في عدّة كتب ومقالات عن التعارف، وهو «كما يحدّده الإسلام مفهوم شامل بدايته التواصل ثم الحوار ثم التعايش بين الأمم والشعوب والأقوام»[٢٧]، وندرك من خلال هذه الطرح أنّ المجلّة عملت طوال مسيرتها الفكرية على ترسيخ ثقافة الحوار والعيش المشترك. ولن يتحقّق هذا البعد التواصلي دون مراجعة الفكر الدينيّ وتقريبه من الواقع.

□ ثالثاً: الحوار ورهانات الفكر الإسلاميّ المعاصر

اهتمت مجلة الكلمة بتجديد الفكر الدّينيّ من خلال عرض أهمّ المشاريع الفكرية والإصلاحيّة الحديثة المعاصرة والرّاهنة، وطرحت المسائل الحرجة التي تُؤرّق الفكر الإسلاميّ، وتستطيع أن تتعرّف على أهمّ التجارب الفكرية المعاصرة الفردية والجماعية

(٢٥) علي صديقي، تحيُّز النقد العربي الحديث إلى النقد الغربي، مجلة الكلمة، عدد ٦٨، السنة ١٧، صيف ٢٠١٠م/ ١٤٣١هـ، ص ١١٧.

(٢٦) عبد الرزاق بلعقروز، نظريّة الفعل التواصلي وحدودها: من العقل التواصلّي إلى الإنسان التعارفّي، مجلّة الكلمة، عدد ٦٧، السنة ١٧، ربيع ٢٠١٠م/ ١٤٣١هـ، ص ٧٣.

(٢٧) يحيى اليحياوي، في القابلية على التعارف: على هامش أطروحة تعارف الحضارات، مجلة الكلمة، عدد ٥٨، السنة١٥، ص ٧٦.

من خلال مقالات «الكلمة»، ونلاحظ من خلال فاتحات المجلّة هذا الهاجس التجديدي المتعلّق بـ «المجتمع الإسلاميّ وإكراهات الواقع»[٢٨].

وجدير بالذكر أنّ رئيس تحرير المجلّة: زكي الميلاد اهتمّ اهتماماً خاصًّا في مقالاته المنشورة في مجلة الكلمة بإحياء الفكر الإسلامي التنويري وأعلامه، فتحدّث عن مصطفى عبد الرازق ومنهجه في دراسة الفلسفة إذ «اكتسبت هذه التجربة أهمية بحيث لا يمكن تخطّيها وتجاوزها»[٢٩]، واستطاع زكي الميلاد من خلال هذه المقالات أن يُعرّف القرّاء بأهمّ التيارات الفكرية الفلسفيّة العربية المعاصرة وأعلامها.

وفي السياق ذاته تحدّث إدريس الهاني عن محمّد عابد الجابري ومشروعه الفكري وقام بـ«تقييم لآثاره الفكرية تمسكاً باستمرارية الحياة الفكرية»[٣٠]، وهذا الكلام مفيد، فالمشاريع الفكرية متواصلة فيما بينها يُكمّل بعضها بعضاً.

ويبدو أنّ مجلّة الكلمة أخذت على عاتقها مهمّة التعريف بهذه المشاريع الفكرية العربية والإسلاميّة ونقدها وبيان وجوه الاستفادة منها في بناء المشروع التواصليّ الحضاري المنشود، ونلحظ هذا المنزع التعريفيّ النقدي في الركن المخصّص للتعريف بالكتب المنشورة، فكلّما ظهر كتاب جديد يتعلّق بنقد الفكر الإسلاميّ سارعت المجلّة في التعريف به. فتحدثت عن مؤلفات عبد الكريم سروش وعبد الله العروي وعبد الإله بلقزيز وحسين نصر وغيرهم من المفكرين ممّا يضيق المجال بذكرهم.

ونفهم من هذا التنويع في المشاريع الفكرية أنّ مجلّة الكلمة تنأى بنفسها عن المشاريع الفكرية الضيقة ذات الخلفيات الأيديولوجية أو العقدية أو المذهبية، وتحاول دراسة الإسلام في تعدّده وتنوّعه وانفتاحه على بقية المنظومات الدينية والثقافية.

ولا يمكن أن نتمثّل المشاريع الفكرية الإسلامية المعاصرة دون الوقوف عند الفكر الإصلاحي وروّاده في العالمين العربي والإسلاميّ[٣١]، ويستطيع القارئ أن يتعرّف من

---

(٢٨) التحرير، هذا العدد، عدد٦٧، السنة ١٧، ربيع ٢٠١٠م/ ١٤٣١هـ، ص ٤.

(٢٩) زكي الميلاد، مصطفى عبد الرازق ودراسة تاريخ الفلسفة الإسلامية، مجلة الكلمة عدد ٦٨، سنة ١٧، ص ٥.

(٣٠) إدريس هاني، من نقد العقل العربي إلى عقلنة النقد العربي، مجلة الكلمة، عدد ٦٨، ص ٣٩.

(٣١) انظر في هذا الإطار مقال:

- إدريس هاني، الإصلاح السياسي من الفكر إلى السياسات، مجلة الكلمة، عدد ٥٨، ص ص ١٠٠-١٤٢.

خلال مقالات مجلة الكلمة إلى رواد النهضة العربية وأعلام الجامعة الإسلامية في المشرق والمغرب ومختلف منارات التنوير الفكري بتركيا وتونس ومصر ولبنان وإيران والجزائر والمغرب وغيرها من الأقطار العربيّة والإسلاميّة، ويجد نفسه في جولة فكريّة طريفة ومفيدة يلتقي خلالها رفاعة الطهطاوي وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد إقبال والنائيني وسعيد النورسي وعبد العزيز الثعالبي ومالك بن نبيّ ومحمّد الطاهر بن عاشور ومرتضى مطهري وعلي شريعتي وغيرهم من المصلحين والمفكرين ممّا يضيق المجال بذكرهم.

استطاعت مجلّة الكلمة أن تُدقّق بعض المصطلحات والمفاهيم الإسلامية في زمن تداخلت فيه المفاهيم واضطربت، فمشكلة الفكر الإسلامي في جانب منه مشكلة اصطلاحية مفهوميّة، إذ ما زال المسلمون نخبة وعامّة يستعملون مصطلحات في غير معناها الحقيقيّ ويُوظِّفون مفاهيم تتناقض أحياناً مع هويتها الدلاليّة، وينتج عن هذا الوضع الاصطلاحيّ المضطرب اضطراب في الأطروحات الفكرية في مبانيها ومعانيها، ويمكن أن نذكر على سبيل المثال مراجعة مفهوم «الدعوة» السّائد في عصرنا كما هو حال بقية العصور، فهذا المصطلح يفهم بطريقة خاطئة ويُستعمل في سياقات مُريبة تناقض الدّين في بعض الأحيان.

وعلى هذا الأساس تحدّث بلال التليدي من المغرب عن «الدعويّ والسياسيّ: رؤية تأصيليّة»، فـ«كثير من الدعاة والمفكرين لا يميّزون بين الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[٣٢]، بل نجد عدداً كبيراً منهم لا يُميّزون بين الدّعوة إلى الدّين والدعوة إلى المذهب فيتحمّسون إلى مذاهبهم وطوائفهم أكثر من حماسهم إلى دينهم، بل نجد من المسلمين اليوم أفراداً وجماعات وأحزاباً لا يفرّقون بين الدعوة إلى مقاصد الشريعة وروح الدين والاضطلاع بمهمّة القضاء والمحاسبة، فيصنّفون النّاس بحسب درجة إيمانهم، وينعتون المخالف بالفاسق والضال والكافر، ويصدرون الأحكام فيقتلون ويفجّرون المساجد ويُرهبون النّاس باسم الدعوة إلى الله، ويتطلّب منّا هذا الكابوس المزعج مراجعة مفهوم الدعوة وغيرها من المفاهيم الإسلامية التأسيسيّة.

لا ندّعي في هذا العمل المقتضب أنّنا تحدّثنا عن مجلّة «الكلمة» بما يليق بمسيرتها الممتدّة على عقدين من الزمن، نشرت خلالها مئات من المقالات المتنوّعة في خلفياتها وأساليبها والمتقاربة في مشروعها التواصليّ الحضاري، فأغلب المقالات تنحى منحىً تحليليًّا نقديًّا يقوم على المراجعة والاستشراف، ولا يُمكن للتقريب بين المذاهب الإسلامية أن ينجح ويتحقّق دون رؤية نقدية جريئة تتجنّب المجاملات والتزيينات.

(٣٢) بلال التليدي، الدعويّ والسياسّي: رؤية تأصيليّة، مجلة الكلمة، عدد ٥٨، ص ٦٢.

استطاعت مجلة «الكلمة» أن ترسم مسالك حوار حضاريّ ما زلنا ننتظره في زمن هيمن عليه التشدّد والتعصّب والصراع القاتل. وأملنا أن تواصل مجلّة الكلمة على هذا الدرب بالنّسق نفسه دون أن تهتزّ أو تتردّد. ولا نبالغ إذا قلنا: إنّ المشهد السياسيّ والثقافيّ الرّاهن وما شهده من تغيّرات بعد اندلاع ما عُرف حقيقة أو مجازاً بثورات الربيع العربيّ، يحتاج إلى خطّ مجلة الكلمة التحريريّ وإسهاماتها الفكرية والمعرفية علّها تذلّل صعوبات أرّقت النّخب المثقّفة، وتُنير درباً هيمنت عليه ظلمات الجهل والتجهيل والتجاهل.

منهجية مجلة «الكلمة» في تناول قضايا الفكر الإسلامي

قراءة في كتابات «زكي الميلاد»

الدكتور حسان عبداللّه حسان*

□ حدود الدراسة وإطار المعالجة

في البدء كانت «العروة الوثقى» (٥ جمادى الأولى ١٣٠١هـ - ٣ مارس ١٨٨٤) والتي أعلنت أنها في خدمة الشرقيين، تُبيِّن لهم الواجبات التى يجب عليهم القيام بها والتي كان التفريط فيها سبباً في تدهورهم، وتوضِّح الطرق التي يجب اتِّباعها لتدارك الأخطاء الماضية، وتجنُّب الصعاب والأخطاء في المستقبل. وفي ضوء هذا الهدف الاستراتيجي فإن الصحافة الإسلامية من بعد العروة الوثقى أخذت تنحو هذا المنحى، الذي يقوم على إيقاظ الهمم الإسلامية نحو تحقيق تطلعات الأمة.

وتأتي مجلة «الكلمة» (١٩٩٣م - حتى الآن) لتدخل في ظلال «العروة الوثقى» وما تلاها من مجلات حملت مقولات في تطوير حركة الفكر الإسلامي، وأعلنت عن انشغالها الفكري منذ البداية بأنها «مجلة فصلية تُعنى بشؤون الفكر الإسلامي وقضايا العصر والتجدُّد الحضاري»، هذا الانشغال الذي حدَّدته

* باحث وأكاديمي من مصر. البريد الإلكتروني: hasnnaser@hotmail.com

المجلة بصورة أكثر تحديداً في العام الخامس لها تحت عنوان «إحياء كل ما هو جامع في الأمة»[1]. وهو يترادف أيضاً مع مرتكزات «العروة الوثقى» التى حملت لواء «الجامعة الإسلامية».

يذكر « زكي الميلاد» أن المجلة حاولت أن تجعل «إحياء كل ما هو جامع في الأمة «مبدأ أساسيًّا في خطاب المجلة الثقافي، المبدأ الذي هو حاضر في كل ما نكتب، وفي كل ما نراقب من المواد التي تصلنا للنشر»، وهذا المبدأ يتطلب -كما يذكر- إعادة النظر في الأولويات وتراتبها، بحيث تتقدَّم «الأمة الجامعة» بمضامينها ومكوناتها وكل ما يُعبِّر عنها ويُجسِّد حقيقتها، على أي مفهوم أو قضية أخرى».

وهذا ما جعل تحديدات صدور المجلة ثلاثة محاور أساسية، تجمع عليها الأمة في حاضرها: حالة الفكر الإسلامي، وقضايا العصر ومستجداته، والتجدُّد الحضاري.

وهذا ينقلنا مباشرة إلى البحث في عقل رئيس التحرير لهذه الفصلية الفكرية، وهو الباحث والمفكر «زكي الميلاد» (١٩٦٥ م- ١٣٨٥هـ)، الذي عكف منذ فترة باكرة من حياته الزمنية إلى تأسيس لمشروع ثقافي إسلامي، أو بصيغة أخرى الانخراط في المشروع الفكري الإسلامي الذي بدأت إرهاصاته منذ القرن التاسع عشر. وتتحدّد أبعاد المشروع الثقافي لـ«زكي الميلاد» ومكوناته كما بيَّنها فيما يلي[2]:

أولاً: التأكيد على قيمة الثقافة والإعلاء من شأنها، وإعطائها درجة عالية من الأولوية، والاستلهام منها، والتخلق بها، واعتمادها كمنظور في التحليل والنقد والاستشراف.

ثانياً: الدرس المعرفي للفكر الإسلامي، قضاياه ومسائله ومقولاته، وتطوراته وتحوُّلاته ومساراته ومسلكياته.

ثالثاً: العناية بالمسألة الحضارية، التي تُعنى النظر إلى القضايا والظواهر والمشكلات على أساس منهج التحليل الحضاري، الذي يأخذ بعين الاعتبار مشكلات التخلُّف من جهة، وضرورات التقدُّم من جهة أخرى.

ومن الملاحظ للباحث أن تأسيس مجلة الكلمة جاء للإعلان عن هذا المشروع الثقافي، وإجراء النقاشات الفكرية حوله، وفتح منبر جديد لآفاق العمل الفكري الإسلامي

---

(١) الميلاد، زكي. «الكلمة الأولى، الكلمة في عامها الخامس إحياء كل ما هو جامع في الأمة»، مجلة الكلمة، العدد ١٨، السنة الخامسة، ١٩٩٨، ص ٣.

(٢) موقع الأستاذ زكي الميلاد www.almilad.org

المعاصر، يتواصل معرفيًّا وحضاريًّا مع أفكار المشروع الإسلامي الذي بدأ بالأفغاني ومحمد عبده، وما زالت شجرته المعرفية تنبت فروعاً تستمد موادها من الجذور الراسخة لحركة الفكر الإسلامي. ومن هنا جاء الاهتمام بقراءة أفكار «زكي الميلاد» المتصلة بأفكار الإصلاح الأولى.

وتهدف هذه القراءة الحالية إلى الوقوف على منهجية مجلة «الكلمة» في تناولها لقضايا الفكر الإسلامي، من خلال قراءة تحليلية لكتابات زكي الميلاد –رئيس تحرير المجلة– باستخدام المنهج الوصفي، وأداته تحليل المضمون في جانبها الكيفي، وذلك للوقوف على اتجاهات وأفكار مضامين مادة التحليل، المنشورة للميلاد في مجلة «الكلمة» في الفترة من (١٩٩٣ – ٢٠١٣).

ومن خلال التحليل توصلت القراءة إلى أن الميلاد طرح أفكاره في خمس قضايا أساسية هي:

القضية الأولى: الإشكالية الثقافية.
القضية الثانية: الإصلاح المعرفي.
القضية الثالثة: نقد الاستشراق.
القضية الرابعة:المسألة الحضارية.
القضية الخامسة: الحوار.
القضية السادسة: قضايا الإصلاح والتجديد.

□ قضايا الفكر الإسلامي عند «زكي الميلاد»

أولاً: الإشكالية الثقافية

الثقافة مرتكز أساس للمشروع الفكري لزكي الميلاد، وبُعد أولي في المشروع الحضاري الإسلامي بحث فيه مالك بن نبي في نظرية الثقافة منذ عدة عقود، وواصل «الميلاد» متفاعلاً بما قدَّمه مالك، محاولاً استلهام أبعاد نظريته في الثقافة، كما حاول «الميلاد» طرح شبكة مفاهيمية لكل علاقات «نظرية الثقافة»، مثل: التنمية، الفقيه المثقف، المجتمع، الدين، الحضارة، الأنثروبولوجيا، السياسة. ثم طرح رؤيته لبناء نظرية للثقافة تقوم على إدراك مجموعة من العلاقات المعرفية[٣]:

(٣) الميلاد، زكي. «في سبيل بناء نظرية للثقافة»، مجلة الكلمة، العدد ٤٦، السنة ١٢، ٢٠٠٥ ، ص ٢٤ – ٤٦.

١- منطق الاجتهاد وفكرة الثقافة.
٢- القرآن وفكرة الثقافة.
٣- اللغة العربية وفكرة الثقافة.
٤- علم العمران وفكرة الثقافة
٥- الفقه وفكرة الثقافة.

ويدعو «زكي الميلاد» إلى تبنِّي صياغة جديدة للحركة الثقافية داخل «المشروع الإسلامي»، تقوم على فكرة التجديد الثقافي، والتي يعتبرها «مخرجاً من حالة الجمود الثقافي إلى الإبداع والتجديد والاجتهاد في مناهج التغيير الإسلامي في فهم الواقع وإصلاحه وإدارته»، ويشير إلى أهم اتجاهات «التجديد الثقافي» التي ظهرت في برامج الإصلاح الإسلامي خلال القرنين الماضيين فيما يلي(٤):

١- التجديد الثقافي في اتِّجاه أفكار الإصلاح والنهضة التي دشَّنها الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا.
٢- التجديد الثقافي في اتِّجاه فكر الإصلاح من خلال: تعميق وتنضيج فكر الإصلاح والنهضة، وإضافة مفاهيم وحركة أفكار جديدة تتكامل والمفاهيم التي بشَّرت بها حركة الإصلاح الإسلامي.
٣- التجديد في اتِّجاه مفاهيم العمل والتغيير التي أرساها رواد الحركة الإسلامية: حسن البنا، المودودي، سيد قطب، استجابةً للمعطيات والمتغيرات الجديدة.
٤- التجديد الثقافي في اتِّجاه المشروع السياسي الإسلامي.
٥- التجديد الثقافي في اتِّجاه إسلامية المعرفة وإصلاح الفكر الإسلامي.

أما عن أولويات التجديد الثقافي في المرحلة الراهنة، فيُشير «الميلاد» إلى عدد من الأولويات أهمها:

١- بلورة وصياغة البدائل الإسلامية في المجالات الاجتماعية والاقتصادية ونُظم الحكم والدولة.
٢- مسألة الحريات والحقوق.
٣- التعدُّدية والحوار.
٤- الديمقراطية والعلاقة بالآخر.

---

(٤) الميلاد، زكي. «التجديد الثقافي في مناهج التغيير الإسلامي المعاصر»، مجلة الكلمة، العدد ٣، السنة الأولى، ١٩٩٤، ص ٩-٢٠ .

٥- العلاقة بالغرب.

ومن ناحية أخرى فإنه لا يمكن للمشروع الإسلامي أن يُهمل معالجة «المسألة الثقافية» فيما يتعلَّق بعناصرها: المفهوم والأهداف، والإشكالات المرتبطة بها: التبعية والاستقلال، والجمود والتجديد؛ لأن الثقافة هي قلب مشروع التغيير الحضاري المنشود، وما تتضمنه من أبعاد فكرية وقيمية واجتماعية تمثل مستهدفات هذا التغيير الحضري.

والقضايا التي طرحها «زكي الميلاد» تُعدُّ مرتكزاً أساسيًّا يمكن من خلاله إثارة الذهن الإصلاحي للتفكير فيه، لا سيما ما يتعلَّق بالبدائل والبحث عن صياغات إسلامية جديدة في الاجتماع والاقتصاد ونظم الحكم. وهو ما يعني أيضاً العناية بالتراكم الإصلاحي في هذه القضية المحورية التي مثَّلت العمود الفقري لأفكار الإصلاح منذ ما يقرب من قرنين لدى الأفغاني ومحمد عبده وشريعتي وباقر الصدر وغيرهم، وذلك في سبيل استنباط أو تأسيس لمرحلة ثقافية جديدة، تجعل الأمة تنفض عنها لباس الجوع الحضاري، والمرض القيمي، الذي وقعت فيه منذ ما يزيد على قرنين من الزمان.

ثانياً: الإصلاح المعرفي

تناول «الميلاد» قضية الإصلاح المعرفي من خلال ما يتعلَّق بمنحى «أسلمة المعرفة»، تلك القضية التي باتت تشغل أفكار عدد من الفلاسفة والعلماء والمفكرين في العالم الإسلامي منذ السبعينات في القرن الماضي، في محاولة لمعالجة أزمة الازدواجية المعرفية التي وقع فيها العقل المسلم بعد صعود المنهج التجريبي في أوروبا، وجمود المنهج العلمي الإسلامي وغياب حركة الاجتهاد.

وفي هذا الإطار ناقش «الميلاد» قضية الإصلاح المعرفي من خلال طرحه لمسألة «أسلمة العلوم الاجتماعية»[٥] التي انتقد فيها كلا الإطاريين الفكريين الغربي الذي أعلى من خصائص: الدنيوية، والعقلانية المفرطة، والبرجماتية المطلقة، والمركزية الغربية، والإطار الفكري العربي الذي نشأت فيه هذه العلوم تحت وطأة الوضعية الاستعمارية الغربية.

ويُؤكِّد الميلاد في هذا الصدد أن البحث في نظام المعرفة الإسلامي هو أهم أولويات التجديد الثقافي، لأنها منطقة فراغ في الفكر الإسلامي، ويدعو إلى ضرورة التحوُّل النوعي في حركة الاجتهاد باتِّجاه العلوم الاجتماعية؛ حيث إن الفقه الإسلامي بمفاهيمه ونظرياته،

(٥) الميلاد، زكي: «نحو منهجية علمية إسلامية في أسلمة العلوم الاجتماعية»، مجلة الكلمة، العدد الأول، السنة الأولى، ١٩٩٣، ص٩-٥٨ .

والقرآن الكريم بفلسفته ومبادئه الاجتماعية، والتراث بكنوزه المعرفية كلها، تُعدُّ ركائز في اتِّجاه الأسلمة للعلوم الاجتماعية.

كما تطرَّق الميلاد لمفهوم «التكامل المعرفي»[٦] الذي ظهر في العقود الأخير على الساحة الفكرية باعتباره أهم غايات مشروع إسلامية المعرفة، الذي دشَّنه الفاروقي في نهاية السبعينات هو وعدد من زملائه. ويطرح مجموعة من الملاحظات بشأن هذا المفهوم، مستدعياً بعض الأفكار الغربية الحديثة كما ظهرت عند (روبرت أجروس) في كتابة (العلم في منظوره الجديد)، وإدوارد ويلسون في دراسته (وحدة وتناسق المعرفة).

ويرى «الميلاد» عدة ملاحظات بشأن مفهوم «التكامل المعرفي» أهمها:

١- أنه لا يمكن الحديث عن «التكامل المعرفي» في ظل تدهور حركة العلم في معاهدنا وجامعاتنا العربية والإسلامية.

٢- ضرورة استحضار وجهات النظر المغايرة والمعارضة، والتعامل معها بوصفها تمثل جزءاً من عملية النظر والتفكير في هذه القضية.

٣- الالتفات إلى الأبعاد التجريبية والتطبيقية الكاشفة والمبرهنة في تاريخ العلم في الحضارة الإسلامية.

إن مفهوم «التكامل المعرفي» يشغل القلب من مشروع إسلامية المعرفة، حيث تبلور لمواجهة الازدواجية المعرفية في النظام التربوي المسؤول عن تشكيل العقل المسلم، ولمعالجة أزمة المنهجية الغربية أحادية النظرة، وجوهر عمل النموذج المعرفي التوحيدي يكمن في معالجة الاضطراب والخلل الكائن في النظام المعرفي القائم في الفكر التربوي العربي - الإسلامي منذ ما يقرب من قرنين، والذي يتراوح بين نظامين معرفيين هما: النظام المعرفي النابع من الفكر الإسلامي التقليدي بما أصابه من جمود وثبات، والذي أصاب الفكر التربوي بالتوقف والسكون.

والثاني: النظام المعرفي الغربي ومخاطره الثقافية والحضارية والتربوية، وهذا التراوح في الفكر التربوي العربي - الإسلامي أوجد حالة من الازدواجية التعليمية والمعرفية كان لها تأثيرها في الشخصية العربية والإسلامية، بل والمجتمع كله «لذا فإن منظري مشروع إسلامية المعرفة رأوا أن تجاوز هذه الأزمة بشعبتيها يُعدُّ شرطاً لتوفير البديل المعرفي الإسلامي، وهو ما لا يمكن أن يتم -وفقاً لأطروحة إسلامية المعرفة- إلَّا بعد إعادة صياغة فكرية لكلا

(٦) الميلاد، زكي. «التكامل المعرفي بين العلوم في رؤية علماء الطبيعيات المسلمين المعاصرين، مجلة الكلمة، العدد ٦٥، السنة ١٦، ٢٠٠٩، ص٢٢ - ٤٤.

الفكرين اعتماداً على جهاز مفاهيمي مغاير، يراعي مبادئ الإسلام ومفاهيمه التأسيسية، وهذه هي العملية عينها المقصودة في مفهوم التكامل المعرفي»[٧].

ومن الجدير بالذكر أنه كانت هناك محاولة تطبيقية للنموذج المعرفي التوحيدي قام بها الدكتور عبدالحميد أبوسليمان -أحد رواد مشروع إسلامية المعرفة ومؤسسيه- في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، من خلال تأسيسه لكلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانية (١٩٨٨-١٩٩٩)، وهو ما لخصه في دراسة له بعنوان «إسلامية الجامعة وتفعيل التعليم العالي بين النظرية والتطبيق»[٨]، ثم قام الباحث السوداني أبو بكر محمد أحمد بدراسة موسعة عن هذه التجربة بعنوان: «التكامل المعرفي وتطبيقاته في المناهج الجامعية، دراسة في تجربة كلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا»[٩].

ثالثاً: نقد الاستشراق

اهتم الميلاد بحركة الاستشراق وإظهار تأثيراتها على تكوين العقل المسلم، والاختراقات المنهجية التي ساهمت في تدشينها هذه الحركة خلال القرنين الماضيين؛ ففي دراسته بعنوان: «هاملتون جيب والاتجاهات الحديثة في الإسلام»[١٠] انتقد «الميلاد» موقف «مالك بن نبي» الذي أشاد بالكتاب في مؤلفه (وجهة العالم الإسلامي)، رغم موقف مالك الواضح من الاستعمار والاستشراق لا سيما في كتابه (إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث)، وهو ما لم يجد «الميلاد» تفسيراً له، إلا أنه أكد تباين الموقفين لـ«مالك» و«جيب» في حركة وتطور الفكر الإسلامي المعاصر.

ويؤكد «الميلاد» أن كتاب «الاتجاهات الحديثة في الإسلام، هو كتاب استشراقي بامتياز، ويقدم معرفة استشراقية، نابعة من خبرة استشراقية، ويصدق عليه كل ما يصدق

---

(٧) محمد إبراهيم، أبوبكر. «مفهوم التكامل المعرفي وعلاقته بحركة إسلامية المعرفة»، إسلامية المعرفة، بيروت، السنة الحادية عشر، العدد ٤٢-٤٣، ٢٠٠٥. ص١٤.

(٨) أبو سليمان، عبدالحميد. «إسلامية الجامعة وتفعيل التعليم العالي بين النظرية والتطبيق»، إسلامية المعرفة، بيروت، السنة السابعة، العدد السادس والعشرون (٢٠٠١)، ص ١١٥-١٥١.

(٩) محمد، أبو بكر. «التكامل المعرفي وتطبيقاته في المناهج الجامعية دراسة في تجربة كلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية في ماليزيا»، فرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ٢٠٠٧.

(١٠) الميلاد، زكي. «هاملتون جيب والاتجاهات الحديثة في الإسلام»، مجلة الكلمة، العدد ٥٠، السنة ١٣، ٢٠٠٦، ص ١٣ - ٤٠.

من أحكام وتقديرات على المعرفة الاستشراقية، وأن «جيب» كان محكوماً في رؤيته بذهنية الاستشراق، وتسري في داخله روح الاستشراق، بينما «مالك» -كما يذكر «الميلاد»- كان محكوماً بذهنية المفكر الذي يسعى لخلاص أمته من سيطرة المستعمر، وتسري في داخله روح الممانعة والمقاومة.

وبعيداً عن نقد موقف «مالك» من «جيب»، يرى الميلاد أن هناك عدة ملاحظات على كتاب (الاتجاهات الحديثة في الإسلام) أهمها: أن جيب لم يأتِ قط على ذكر الاستعمار الأوروبي مع أنه تحدَّث عن التاريخ الفكري للمسلمين، وبالذات في الفترة التي كان الاستعمار مهيمناً على العالم الإسلامي، ومع ذلك لم يتطرَّق «جيب» لهذا العامل «الاستعمار»، وأشدها تحريضاً على حركية الفكر الإسلامي الحديث.

وفي المقابل حاول «جيب» إبراز عامل التحدي الديني المسيحي الذي كرَّر الإشارة إليه لا سيما عند الإشارة إلى البرنامج التجديدي للشيخ محمد عبده، والتي حدَّدها بقوله: «الدفاع عن الإسلام ضد التأثيرات الأوروبية والهجمات المسيحية».

ويخلص «الميلاد» إلى نتيجة مؤداها: أننا لا نُسلِّم بما وصلت إليه الرؤية الاستشراقية «لهاملتون جيب» من أن الاتجاهات الحديثة قد فشلت في الإسلام، فالإسلام ما زال منبعاً صافياً لاتجاهات التجديد الإسلامي.

ثم تناول «الميلاد» رؤية استشراقية أخرى لـ«هنري كوربان»، و«كوربان» يشغل مساحة فكرية إيجابية النظرة عند الفكر الإمامي المعاصر، نظراً لما تناوله في كتاباته من إظهار للفلسفة الشيعية في بُعدها التاريخي، حيث قدم أربعة كتب عن التشيُّع، بالإضافة إلى ترجمة الكثير من الميراث المكتوب باللغة الفارسية إلى الفرنسية في إطار مشروعه عن المكتبة الإيرانية(١١).

وقد انتقد «الميلاد» المواقف الإمامية المعاصرة نحو «هنري كوربان» في دراسته «هنري كوربان ومنهج دراسة تاريخ الفلسفة الإسلامية»(١٢)، وانتقد خاصة مواقف: السيد موسى الصدر، غلام رضا أموانى، وحبيب فياض وغيرهم.

والمقولة النقدية الأساسية لـ«الميلاد» منهجية بامتياز، لم تخضع للهوى المذهبي

(١١) انظر: الطباطبائي، محمد حسين. رسالة التشيع في العالم المعاصر، ترجمة جواد على كسار، مؤسسة طهران أم القرى للتحقيق النشر وهو كتاب حافل بالاحتفاء بموقف كوريان من التشيُّع.

(١٢) الميلاد، زكي. «هنري كوربان ومنهج دراسة تاريخ الفلسفة الإسلامية»، مجلة الكلمة – السنة ١٧، العدد ٦٩، ٢٠١٠، ص١١١ – ١٤٣.

أو الانحياز الفكري كما ذهب آخرون، ونصّ هذه المقولة هي أن كوربان «قدَّم الفلسفة الإسلامية والفلسفة عند المسلمين الشيعة بطريقة لا نتفق معه فيها، ليس هذا فحسب؛ بل إنه قدَّم تاريخاً للفلسفة الإسلامية بطريقة وجدتُ فيها أن ضررها أكثر من نفعها، وليته ما كتب لنا هذا التاريخ المشوَّه والمزعج والضار».

وتفصيلاً يرى «الميلاد» أن «كوربان» كان كل همِّه في كتابه «تاريخ الفلسفة الإسلامية» أن يظهر تارة علاقة الإسلام بالغنوصية، وتارة علاقة التشيع بالهرمسية، وتارة علاقة التشيع بالتصوف، أو علاقة التشيع بالنزعة الباطنية، وكتابه في روحه وأطروحته وبنيته قائم على هذا المنحى وداعٍ إليه، ومعرِّف به، ومدافع عنه، ومنتقد لمعارضيه، وهذا ما كان يهواه لنفسه فعلاً، وما هو بحاجة إليه في بيئته ومجتمعه».

لم يستسلم الميلاد لما استسلم إليه آخرون في التمجيد بهذين الموقفين البارزين في حركة الاستشراق الحديثة، والتي حاولت إعادة بناء وتشكيل الخارطة المعرفية للفكر الإسلامي في منهجية واضحة يمكن أن يصفها بـ«التحايلية» أو منهجية التحايل، وإلباس المواقف والتراث، بأحكام مضطربة لإعادة تشكيل رؤية العقل المسلم لتاريخه، وحركة فكره الإسلامي دون الحقيقة، ودون منهجية طالما ادَّعى الغرب أنها موضوعية.

يؤكد الميلاد –أيضاً– على التوافق الشعوري واللاشعوري للنهج الاستشراقي الذي نشأ في ظل الاستعمار، من أجل إحداث تهيئة فكرية وثقافية عبر الاختراقات للعقل المسلم لأهداف الاستعمار العالمي، وتغيير هوية الشعوب عبر الفكر والثقافة، وتغيير نظرتها إلى التاريخ الخاص والهوية الجمعية، والثقافة الذاتية.

رابعاً: المسألة الحضارية

في إطار انشغال «الميلاد» بالمسألة الحضارية، يُقدِّم لنا رؤيته حول بعض «المقدمات في صياغة المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر»[١٣] والتي يؤكِّد فيها على:

١- ضرورة أدراك قيمة الفكرة والأفكار في التغيير الحضاري المنشود، باعتبار أن الأفكار هي الأكثر تأثيراً في حركة التاريخ وتطوُّر الحضارات، فالأفكار والثقافات حاضرة في كل أمة، وفي كل عصر، وفي كل موقف من مواقف التاريخ، وبأشكال مختلفة من الفهم والنوع الكم والتأثير.

(١٣) الميلاد، زكي. «مقدمات في صياغة المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر»، مجلة الكلمة، السنة الثانية، العدد ٧، ١٩٩٥، ص١٠ – ٤٠.

٢- إدراك البعد التاريخي لتطوُّر الأفكار في المشروع الحضاري الإسلامي، الذي بدأ بحركة الجامعة الإسلامية، وصولاً إلى مشروع «الجمهورية الإسلامية في إيران ١٩٧٩».

وفي إطار هذين المنطلقين يرى الميلاد أن المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر هو «مشروع بناء حضارة جديدة، يستعيد فيها الإنسان حريته وكرامته وسعادته وإنسانيته»، وهو ما يدفع إلى البحث في الجوانب الحضارية الشاملة في فكرنا وثقافتنا لاستكشاف أعمق لأصول هذا المشروع وبنيته من فكرنا وتراثنا وتاريخنا، الذي يختزل الكثير، وينتظر من يستكشفه لنا في إطار تجربة حضارية من أرقى تجارب الحضارات الإنسانية، في إعلاء القيم الإنسانية، وهي الحضارة الإسلامية.

ويشير «الميلاد» في هذه «المقدمات» إلى أهم مقاصد المشروع الحضاري الإسلامي، التي تُعبِّر عن القيم الأساسية التي على أساسها تشخص مصالح الأمة، ومن خلالها تحدّد مناطات الأحكام على مستوى الأمة، وهي كما يُحدِّدها:

١- التوحيد: أي أن تصبح الأمة أمة مؤمنة عابدة مُوحِّدة في كل شؤونها وأبعاد حياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وفي كل الميادين الأخرى، وأن تقام شعائر الله وأحكامه وحدوده بمقاصدها وقيمها الفردية والاجتماعية.

٢- الكرامة الإنسانية: فالإنسان محور الحضارة، وغايتها، والحضارة هي لإتمام مكارم الأخلاق، ومن هذه الكرامة تحقيق الأمة في داخلها المساواة والعدل والإحسان والتراحم والشورى.

٣- العمران: فالمشروع الحضاري الإسلامي عليه أن يُعيد للإنسان المسلم رؤيته حول الإنماء والإعمار، وتصحيح الصورة السلبية عن هذه العلاقة المتمثلة في «ترك الدنيا» والزهد فيها أو «النفور منها»، وهي أفكار لا تتفق مع روح الإسلام ومقاصده.

٤- العدل: والذي عليه تُبنى الحضارات والأمم والمجتمعات، وهو ضد الظلم المحرم في هذه الشريعة على أتباعها، وعلى ربها وخالقها.

٥- وحدة الأمة: وتنطلق هذه الدعوة في المشروع الحضاري من الإيمان بـ«التعدُّدية» و«التنوُّع»، أي إنها وحدة في إطار «التكامل»، وهو ضد الاختلاف والتفرُّق المذموم، الذي يُعدُّ أبرز معوقات تطور أمتنا.

٦- الحرية: وهي ضد الاستبداد الفكري، وضد القمع، وكل مشروع حضاري

عليه أن يُحدِّد رؤيته وفلسفته للحرية باعتبارها من القضايا الأساسية التي ترتبط بالنظام الاجتماعي ككل داخل الأمة.

ويصل «الميلاد» إلى مجموعة من المحدِّدات الضرورية للمشروع الحضاري الإسلامي، التي يجب أن ينشغل بها المفكرون وفلاسفة هذه المشروع معرفيًّا، وقد أسماها «متطلبات المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر» وهي:

- تحديد الموقف المعرفي من التراث.
- تحديد الموقف المعرفي من الغرب.
- إبراز الدور العلمي والحضاري في تاريخ الإسلام.
- التركيز على قيمة العقل والعلم في الإسلام.
- العناية بمشكلة التخلُّف العلمي والحضاري في الأمة.
- الاهتمام بإصلاح وتطوير النظام التعليمي في العالم الإسلامي.
- تبنى مشروع «إسلامية المعرفة».

خامساً: الحوار

انشغل «الميلاد» بإشكالية العلاقات، وقيم الحوار والتعايش الإنساني، باعتبارها الإشكالية الأكثر تعقيداً بعد حربين عالميتين شهدهما القرن العشرين، ومسار اهتمام الميلاد بهذه القضية كان على مستويين: الأول (الحوار الذاتي – الداخلي) بين المسلمين أنفسهم، والثاني (الحوار الخارجي – الإنساني) بين المسلمين وغيرهم.

وفيما يتعلق بـ«الحوار الذاتي – الداخلي»، رصد «الميلاد» أوجه أزمة الحوار الإسلامي – الإسلامي، «وإشكالية القطيعة والتصادم بين الإسلاميين ومستقبل العلاقة»[١٤]، في محاولة لإدراك أهم عوائق العلاقات الإسلامية – الإسلامية، وممَّا أرَّق «الميلاد» هو حالة «التصادم» و«القطيعة» بين اتجاهات الحركة الإسلامية، وهو ما يؤثِّر سلباً في نمو المشروع الإسلامي لهذه الحركات وللأمة، حيث تستنفذ «الخلافات» و«التصادمات» جهداً كبيراً أولى أن ننفقه في العمل الإيجابي لخدمة الأمة.

ويرصد «الميلاد» عدداً من الأسباب والعوامل التي دفعت إلى الخلافات و«القطيعة» بين الإسلاميين أهمها:

---

(١٤) الميلاد، زكي. «إشكالية القطعية والتصادم بين الإسلاميين ومستقبل العلاقة»، مجلة الكلمة، السنة الخامسة، العدد ١٨، ١٩٩٨، ص١١٣ – ١٣٤ .

١- ضعف القدرة على تحليل الواقع والتعاطي الذي يفتقد الخبرة.
٢- تكريس مفاهيم التميز والمفاضلة في البرامج التربوية لهذه الحركات.
٣- القطعية الفكرية بين الحركات الإسلامية وضعف التواصل والتعارف الفكري فيما بينها.
٤- طبيعة التكوين الحزبي الذي أضعف التواصل الاجتماعي.
٥- عدم تقدير قيمة «التعددية» و«التعايش».
٦- الانجرار وراء خطوط الانقسام: المذهبي، الفرقي، المرجعي، الجغرافي، السياسي.
٧- التعثُّر في إدارة الحوار البيني.

وفي ضوء أسباب التعثُّر في الحوار والتواصل بين الإسلاميين، يطرح «الميلاد» رؤية مكونة من أربعة عناصر من أجل تجاوز هذا الواقع والانتقال إلى واقع مغاير آخر:

١- المراجعة الذاتية والتقويم الداخلي، وضرورة الانتقال والتغيير.

٢- تأسيس قاعدة الإجماع العام، حول القضايا الأساسية والمقاصد الكبرى، وأهمها:
* الدفاع عن مقدسات الإسلام وحماية العقيدة والقيم والأخلاق.
* الدفاع عن حقوق الإنسان، وحقوق المسلمين، وحقوق الأقليات في العالم.
* رفض كل أشكال التجزئة وعوامل التقسيم في الأمة.
* رفض كل أنماط التبعية، وكل ما ينقض الاستقلال والسيادة الكاملة.
* قضية فلسطين مركزية في حياة المسلمين.
* الدفاع عن قضايا: الحريات والعدالة والمساواة.
* الوقوف في وجه المؤامرات ومخططات القوى الكبرى المعادية للإسلام والعالم الإسلامية.

٣- تأصيل ثلاث منظومات من المفاهيم:
أ- منظومة مفاهيم تؤسس لوجود الآخر والاعتراف بوجوده، كمفاهيم الحرية والتعددية وحق الاختلاف والاجتهاد.
ب- منظومة مفاهيم تؤسس للعلاقة مع الآخر والتواصل معه، كمفاهيم التعارف والتعايش والتسامح.
ج- منظومة مفاهيم تؤسس للتلاقي مع الآخر والشراكة معه، كمفاهيم العدالة والشورى والحريات العامة وحقوق الإنسان والإنماء والتقدم.

٤- الارتقاء بمستويات النمو الحضاري، وتنمية العلاقات الإنسانية وتفعيل قيم: التعاون، والعمل الجمعي، والبناء والإنماء، والتعدُّدية، والتنوُّع.

كما اهتم الميلاد بقضية التقريب بين المذاهب الإسلامية، باعتبارها من القضايا المحورية في العلاقات الإسلامية - الإسلامية، وكتب عنها موضوعات مثل «الدفاع عن فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية في زمن المحنة»[١٥]، و«التقريب رسالة العقلاء في الأمة»[١٦].

واستعرض الميلاد في هاتين المقالتين نشأة فكرة التقريب بين المذاهب في صورتها المعاصرة، والمقولات التأسيسية الأولى لشيوخ هذه الفكرة محمد تقي القمي والشيخ شلتوت، كما يذكر التحديات التي تواجه هذه الفكرة في العقود الأخيرة مطالباً بالدفاع عن فكرة التقريب التي هي بالأساس فكرة «الوحدة الإسلامية»، مؤكداً أن هذا الدفاع ينبغي أن يتشكَّل على أساس علمي ركيزته المنطق والبرهان -متجاوزاً النطاق النفسي- بشكل يستجيب للتحديات والمشكلات المعاصرة، التي أفرزتها المحن الراهنة للعلاقات السنية - الشيعية، ومستفيداً من التراكمات الفكرية والمعرفية المتواصلة في هذا المجال.

ويقترح «الميلاد» في هذا الإطار المؤسسي لبناء فكرة التقريب وإحيائها في الوجود الإسلامي المعاصر، ما يلي[١٧]:

١- التجديد العلمي والفكري لخطاب التقريب.
٢- تجديد قناعة الأمة بمسألة التقريب، وترسيخ هذه القناعة، وتطوير وعي الأمة بهذه المسألة، وجعلها من قضاياها الرئيسية.
٣- إحياء تراث التقريب في الأمة.
٤- الالتزام بروح التقريب في الكتابة والتأليف والنشر، والأعمال الفكرية التي ينتجها الباحثون الإسلاميون.

وفيما يتعلَّق بالحوار العالمي أو العلاقة بين الحضارات، دعا «الميلاد» إلى ضرورة

---

(١٥) الميلاد، زكي. «التقريب بين المذاهب الإسلامية في زمن المحنة»، مجلة الكلمة، العدد ٥٥، السنة ١٥، ٢٠٠٨، ص٤٥ - ٥٠.

(١٦) الميلاد، زكي. «التقريب رسالة العقلاء في الأمة»، مجلة الكلمة، مجلة الكلمة، العدد ٣٢، السنة الثامنة، ٢٠٠١، ص٢٣ - ٢٧.

(١٧) الميلاد، زكي. «من حوار الحضارات إلى تعارف الحضارات»، مجلة الكلمة، العدد ٣٦، السنة التاسعة، ٢٠٠٢ ص٣٠ - ٣٣.

تجاوز تلك العلاقة من «الحوار» إلى «التعارف»، وكتب تحت عنوان «من حوار الحضارات إلى تعارف الحضارات»[١٨] أن مقولة «تعارف الحضارات» لا تعني مجرَّد الاعتراف بتعدُّد الحضارات وتنوُّعها، وإنما تستند إلى ضرورة بناء وتقدم الحضارات في العالم، وتأسيس الشراكة الحضارية فيما بينها، وتبادل المعرفة والخبرة. فالعالم ليس بحاجة إلى حضارة واحدة وإنما إلى استنهاض الحضارات كافة.

سادساً: قضايا الإصلاح والتجديد

جاء اهتمام «الميلاد» بقضايا «الإصلاح والتجديد» في الفكر الإسلامي متميزاً بجهد فكري وبحثي كبير، و جاءت معالجته المعرفية لهذا القضايا على النحو التالي:

١- نشر الوعي بأفكار الإصلاح، من خلال العناية بإعادة تقديم أفكار رواد الإصلاح، من خلال العناية بإعادة تقديم أفكار رواد الإصلاح، فتناول أفكار: جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا، ومحمد باقر الصدر، ومرتضى مطهري، ومحمد إقبال ومالك بن نبي وغيرهم من رواد الفكر الإسلامي فيما يقرب من عشرين مقالة[١٩]، ربط فيها بين فكر هؤلاء الرواد وقضايا الفكر الإسلامي المعاصر في ضوء الرؤية المعرفية الإصلاحية التي أنتجوها، التي حملت ثلاثة مسارات معرفية أساسية: التجديد والإصلاح، والإحياء والبعث. وتناولت موضوعات متعددة مثل: التراث، والاجتهاد، والفقه، والمرأة، والاستعمار، والمناهج.

٢- تناوُل موقف الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر من القضايا الراهنة والملحة، التي طرأت على المجال الفكري للأمة في القرنين الماضيين، ومنها: قضايا الحكم والسياسة والاستبداد، قضايا المرأة، والفقه، والعولمة، والديمقراطية، كما تطرَّق الميلاد إلى قضايا المستقبل الإسلامي في تحفيز للعقل المسلم لرسم خارطة معرفية للمستقبل الذي يريد.

ومثَّلت قضية «المرأة» أهمية محورية في كشف المنهج الإصلاحي والتجديدي الذي حاول «الميلاد» تتبعه وتحليله ونقده، وسار «الميلاد» في معالجة هذه القضية على النحو التالي:

- نقد الأدبيات التقليدية التي تناولت موضوع «المرأة» سواء بمهاجمة النظرة الإسلامية التراثية للمرأة أو المدافعة عنها. ودعا الميلاد إلى «ضرورة الانطلاق من الأصول

(١٨) الميلاد، زكي. «من حوار الحضارات إلى تعارف الحضارات»، مجلة الكلمة، العدد ٣٦ ، السنة التاسعة، ٢٠٠٢، ص١٨ - ٣٣.

(١٩) انظر ملحق المقالة.

والقواعد الإسلامية في بلورة الرؤية المعرفية والعملية لقضايا المرأة»[٢٠].

– نقد واقع «المرأة» في الحركة الإسلامية، وذلك باعتبار أن الحركة الإسلامية تُمثِّل تجديداً للمشروع الحضاري الإسلامي في مفاهيمه وأفكاره وحركته، وأهم جوانب هذا النقد هي:

* غياب المرأة عن مركز صناعة القرار.
* الهيمنة الذكورية على النساء داخل الحركة.
* حصر عمل المرأة واهتماماتها داخل الحركة بالقضايا النسوية وعالمها الخاص.
* ضعف البرنامج التربوي لإعداد المرأة وتأهيلها.

– إبراز أدبيات التجديد الفكري: بدءاً من «رشيد رضا» في «حقوق النساء في الإسلام» مروراً بـ«تحرير المرأة في عصر الرسالة» لعبد الحليم أبو شقة، ومحمد مهدي شمس الدين في «أهلية المرأة لتولي السلطة»[٢١]، ووصولًا إلى التجديد في المشروع الفكري والحضاري عند الإمامية في إيران بعد نجاح الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ م، الذي ظهر فيه بصورة واضحة «محاولات التحرُّر من آراء السابقين، وتجديد النظرة للمرأة في ضوء المستجدات التي طرأت، والحاجة إلى تلبية احتياجات المجتمع الجديد من الدين، وهو ما كان دافعاً لتفعيل الاجتهاد في كافة المجالات لا سيما ما يتعلق بدور المرأة ووظائفها في المجتمع الجديد».

ويُحدِّد «الميلاد» أن هذه الرؤية الاجتهادية الجديدة في المجتمع الإيراني تستند إلى عدة محاور أبرزها[٢٢]:

١– المرجعية القرآنية.
٢– التفكيك بين الشريعة وأقوال الفقهاء.
٣– الربط بين حركة الفقه وروح العصر.

كذلك –أيضاً– تناول الميلاد موقف الفكر الإسلامي من «الديمقراطية»، وناقش عدة مفاهيم تجديدية في هذا المجال منها «الديمقراطية الدينية»[٢٣]، وهو المفهوم الذي وجد

(٢٠) الميلاد، زكي. «المرأة في المشروع الإسلامي المعاصر من منظور نقدي»، مجلة الكلمة، العدد ٩، السنة الثانية، ١٩٩٥، ص٢٠١٠.

(٢١)الميلاد، زكي. «الفكر الإسلامي وقضايا المرأة»، مجلة الكلمة، العدد ٢١، السنة الخامسة، ١٩٩٨، ص٩– ٢٤.

(٢٢) الميلاد، زكي. «المنحى الجديد في الفقه الشيعي في مجال المرأة»، مجلة الكلمة، العدد ٥٧، السنة ١٤، ٢٠٠٧، ص٢٦ – ٥٢.

(٢٣)الميلاد، زكي. «الفكر الإسلامي المعاصر وتجدُّد النقاش حول الديمقراطية»، مجلة الكلمة، العدد ٦٦، السنة ١٧، ٢٠١٠، ص٥–١٨.

له مجالاً تداوليًّا كبيراً في الواقع الإيراني بعد الثورة، والذي يُعنى بالبعد القيمي للديمقراطية عند نقله للواقع الإسلامي. وهذا المفهوم بالتأكيد يفتح آفاقاً جديدة للتعامل مع عديد من المفاهيم سواء بالنقد أو الإضافة، أو البيئة أو حتى الرفض، في ضوء ما تمتلكه الأمة من مخزون حضاري عظيم.

وفيما يتعلَّق بمفهوم «العولمة» قدَّم «الميلاد» طرحاً يفيد الإنتاج المعرفي وطريقة النظر إلى العولمة باعتبارها شكلاً متطوّراً للحداثة الغربية، وهذا يتطلَّب مراعاة ما يلي في النظر إليها:

* إن الفكر الإسلامي المعاصر بحاجة لأن يُجدِّد في منهج النظر إلى العولمة، ويُطوِّر ويُوازن في موقفه منها، ويتجاوز قراءته الأولى التي يغلب عليها موقف الخوف والشك والرفض، إلى موقف يتصف بالقراءة العلمية والتحليل العلمي.
* ينبغي أن نُفرِّق بين العولمة، وأيديولوجيا العولمة، أو بين الذي يتَّصل بجانب العلم والتقنية في العولمة، والجانب الذي يتَّصل بتوظيفات العولمة، أو التفسيرات الأيديولوجية للعولمة.
* علينا أن نُوازن بين سلبيات العولمة وإيجابياتها وتهديداتها، فلا نرفض العولمة بشكل مطلق، ولا نقبلها بشكل مطلق، وإنما بشكل نسبي ومعياري.
* إن مفهوم العولمة لا يكتمل دون تكوين المعرفة العلمية بالعولمة الاقتصادية، وهذا ما ينقص الفكر الإسلامي المعاصر في موقفه من العولمة.
* تُعبِّر العولمة عن مرحلة مُتقدِّمة في تطوُّر الاجتماع الإنساني، وتفرض علينا شروط التقدُّم، ونظرتنا إلى العولمة سوف تتأثر وطبيعة المستوى الحضاري الذي نحن عليه.
* إن فهم العولمة يتطلَّب مراقبتها بشكل دائم ومستمر؛ لأنها في حالة تغيُّر وتطوُّر دائم ومستمر. وإننا بحاجة إلى تأسيس مراكز ومعاهد دراسات تكون متخصصة في دراسة العولمة، كما نحتاج إلى كليات ومعاهد.

٣- إدراك محورية البعد المفاهيمي في التشكيل المعرفي لخارطة الفكر الإسلامي والعقل المسلم، ومن أبرز المفاهيم التي تناولها «الميلاد»: «التراث، الاجتهاد، الحداثة»[٢٤]، ووضع هذه الثلاثة في شكل خطيٍّ بدءاً بالتراث ثم الاجتهاد، ثم الحداثة، مُبيِّناً أن الاجتهاد يقف موقفاً وسطاً بين مسالِب التراث «الجمود» والحداثة «الاستلاب»، جامعاً بين إيجابيات التراث كتأسيس لحركة النظر العقلي في الإسلام «والحداثة كانفتاح على العالم المعاصر وفقاً

(٢٤) الميلاد، زكي. «الفكر الإسلامي المعاصر بين الحداثة والاجتهاد»، مجلة الكلمة، العدد ٢٦، السنة السابعة، ٢٠٠٠، ص٣٩ – ٤٠.

للسياقات الحضارية بكل أمة».

فيرى «الميلاد» أن مفهوم «الحداثة» الذي ابتكره الغرب قد عبَّرت عنه كل التجارب الحضارية التي مرَّت على التاريخ الإنساني... «فكل تجربة حضارية ينبثق عنها مفهوم يُعبِّر عن تلك التجربة، وإن كان يختلف في تركيبه اللغوي والبياني واللساني عن تركيب لفظ الحداثة عند الغرب؛ لأن كل حضارة في زمن صعودها وتقدُّمها تبتكر لها بكفاءة عالية، منظومة من المفاهيم تكون على درجة من الفاعلية والدينامية لارتباطها الشديد بالروح العامة لتلك الحضارة في انبعاثها ونهوضها».

ويضيف الميلاد: «إن مفهوم «الاجتهاد» هو أحد أهم المفاهيم التي ابتكرتها المنظومة الإسلامية، وانفردت به الحضارة الإسلامية، ونشأ وتطور في الإطار الزمني والتاريخي لهذه الحضارة، وترك تأثيراً مهمًّا في منظومة الثقافة الإسلامية، وفي تكويناتها وتشكيلاتها، وعلى حركتها ومساراتها».

ويدعو «الميلاد» إلى إحياء مفهوم الاجتهاد، والبحث عن مدلولاته الحضارية والفكرية والثقافية، وإعادته إلى المدلول العام لحركة العقل المسلم، بعد أن اختزل في المدلول الخاص بـ«دور الفقه» و«الأحكام» التشريعية.

ويرى «الميلاد» أن مفهوم الاجتهاد في ضوء علاقته بالتراث ينبغي أن يحتكم إلى منطق «التجاوز» و«النقد» الذي يتشكَّل به منطق الاجتهاد في مقابل منطق «التراث» الذي يماثل في بعض جوانبه: الانقطاع، الاستغراق، الانغلاق، فالاجتهاد بهذا المعنى «يقوم بالوظائف النقدية والمعرفية والتجديدية»[٢٥] لحركة الفكر الإسلامي التي تقف مقاومة للجمود والسكون من جانب، والاغتراب والاستلاب من جانب آخر.

□ الدرس المعرفي المستفاد من القراءة الفكرية لأعمال «زكي الميلاد»

يمكن أن نخلص إلى مجموعة من عناوين للدرس المعرفي المستفاد من فكر «زكي الميلاد» أهمها:

١- الوعي بأفكار الإصلاح الحديث والمعاصر، اهتم الميلاد بالفكر الإصلاحي الذي نشأ في ظل المقاومة لحالتي: الاستلاب والتغريب، والجمود والسكون، وسعى إلى بلورة رؤية فكرية من أجل توظيف هذه الأفكار لتقديم حلول للتحديات المعاصرة التي

(٢٥) الميلاد، زكي. «من التراث إلى الاجتهاد»، مجلة الكلمة، العدد ٥١، السنة ١٣، ٢٠٠٦، ص٦٣.

تواجه أمتنا، ومن أجل إحداث التراكم المعرفي المطلوب لمشروعنا الحضاري.

٢- الوعي المنهجي، سعى الميلاد إلى بلورة رؤية معرفية لمراجعة مناهج التجديد الثقافي في حركات الإصلاح، لا سيما في العقود الأخيرة، من جهة الاندماج مع المجتمع سواء من خلال العمل الاجتماعي المباشر أو العمل السياسي، وهو من شأنه إجراء تقويم مستمر ونقد ومراجعة لمناهج العمل التغييري الذي تتبعه هذه الحركات منذ ما يقرب من قرن.

٣- الوعي بقيمة الأفكار في التغيير الحضاري، وهو استمرار لرؤية مالك بن نبي الحضارية الذي ابتكر عالم الأفكار وجعله محوراً لأي بناء حضاري منشود. والميلاد أيضاً، أكَّد أن الذي يقف وراء حركة التاريخ ليس الاقتصاد أو المادة ولا رأس المال، وإنما يقف وراء حركة التاريخ جملة من الأفكار التي تتحكَّم في سير التاريخ.

٤- الوعي بالانتماء إلى الأمة، استطاع مالك بن نبي أن يتجاوز العقدة المذهبية التي ابتُلي بها العالم الإسلامي، وانتقل منذ دخوله إلى الساحة الفكرية في فترة باكرة من حياته إلى رحابة الإسلام والفكرة الإسلامية الواسعة، وهو بذلك يستحق وصف «المفكر المنتمي إلى الأمة»، وكانت أفكاره جسراً لإحياء التعارف والتواصل الفكري بين أفكار الإصلاح في الأمة على اختلاف مذاهبها وروافدها.

□ ملحق: تصنيف لقضايا الفكر الإسلامي عند «زكي الميلاد» (١٩٩٣ - ٢٠١٣)

القضية: الإصلاح والتجديد (حركة - تاريخ - مفاهيم - إشكاليات)

عنوان المقالة	السنة، العدد، التاريخ
الفكر الإسلامي.. تحوُّلات في المسار ومراجعات في المنهج	س١/ ع٥/ ت١٩٩٤
تطورات الفكر الإسلامي ومساراته المعاصرة	س٥/ ع٢٠/ ت ١٩٩٨
الفكر الإسلامي الجديد.. ملامح وقضايا	س٦/ ع٢٣/ ت١٩٩٩
الفكر الإسلامي في العصر الوسيط من الغزالي إلى ابن تيمية	س٨/ ع٣١/ ت٢٠٠١
الإسلام والمدنية.. تقدم وتراجع فكرة المدنية في مرحلتي الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر	س١٦/ ع٦٥/ ت٢٠٠٩
الفكر الإسلامي المعاصر وتجدد النقاش حول الديمقراطية	س١٧/ ٦٦/ ت٢٠١٠

عنوان المقالة	السنة، العدد، التاريخ
الإسلام، العالم الإسلامي والمستقبل.. أي مستقبل نبحث عنه؟	س٤/ ع١٥/ ت١٩٩٧
الفكر الإسلامي وقضايا العولمة	س٥ / ع٢٠/ ت١٩٩٨
الفكر الإسلامي المعاصر وتجديد منهج النظر في العولمة	س١٣/ ع٥٣/ ت٢٠٠٦

القضية: الإصلاح والتجديد – رواد

عنوان المقالة	السنة، العدد، التاريخ
السيد جمال الدين الأفغاني وتطور الفكر الإسلامي الحديث	س٦/ ع٢٢/ ت١٩٩٩
الشيخ محمد رشيد رضا وتحولات الفكر الإسلامي المعاصر	س٦/ ع٢٤/ ت١٩٩٩
السيد محمد باقر الصدر وتجديدات الفكر الإسلامي المعاصر	س٧/ ع٢٧/ ت٢٠٠٠
الشيخ مرتضى مطهري وإحياء الفكر الديني	س٨/ ع٣٣/ ت٢٠٠١
عبد الرحمن الكواكبي والإصلاح الإسلامي	س٩ / ع ٣٧ / ت ٢٠٠٢
الشيخ محمد عبده وإصلاح الفكر الديني	س١٠/ ع٣٨/ ت٢٠٠٣
الشيخ محمد مهدى شمس الدين وتجديد الفكر الديني	س١٠/ ع٣٩/ ت٢٠٠٣
السيد موسى الصدر والمشروع الإصلاحي	س١٢ / ع٤٨ / ت ٢٠٠٥
محمد إقبال وتجديد التفكير الديني في الإسلام	س١٢ / ع٤٩ / ت ٢٠٠٥
محمد البهي والفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي	س١٤/ ع ٥٦/ ت٢٠٠٧
أمين الخولى والمجددون في الإسلام	س١٤/ ع٥٧/ ت٢٠٠٧
محمد إقبال من ما وراء الطبيعة إلى تجديد الفكر الديني	س١٥/ ع٥٩/ ت٢٠٠٩
مصطفى عبد الرازق وتاريخ الفلسفة الإسلامية	س١٧/ ع٦٨/ ت٢٠١٠
إبراهيم مدكور ومنهج دراسة تاريخ الفلسفة الإسلامية	س١٨/ ع٧١/ ت٢٠٠١
الشيخ محمد مهدى شمس الدين والنقد المنهجي لأصول الفقه	س١٩/ ع٧٤/ ت٢٠١٢
السيد محمد باقر الصدر وتطور الفكر العلمي لأصول الفقه	س١٩/ ع٧٥/ ت٢٠١٢
السيد محمد باقر الصدر والتجديد المنهجي لأصول الفقه	س١٩/ ع٧٦/ ت٢٠١٢
أصول الفقه والفلسفة.. قراءة في نظرية السيد محمد باقر الصدر	س٢٠/ ع٧٩/ ت٢٠١٣

القضية: المرأة

عنوان المقالة	السنة، العدد، التاريخ
المرأة في المشروع الإسلامي المعاصر من منظور نقدي	س٢/ ع٩/ ت١٩٩٥
الفكر الإسلامي وقضايا المرأة	س٥ / ع٢١/ ت ١٩٩٨
الفكر العربي المعاصر وتجديد النظر في قضايا المرأة	س٧ / ع٢٩/ ت ٢٠٠٠
الفكر الديني وتجديد النظر في قضايا المرأة	س٨/ ع٣٠/ ت٢٠٠١
المنحنى الجديد في الفقه الشيعي في مجال المرأة	س١٤/ ع٥٧/ ت٢٠٠٧

القضية: الإشكالية الثقافية

عنوان المقالة	السنة، العدد، التاريخ
نظرية الثقافة عند مالك بن نبي.. نحو قراءة معرفية جديدة	س١٠/ ع٤١/ ت٢٠٠٣
الثقافة والحضارة قراءة في نظرية علي عزت بيجوفيتش	س١١/ ع٤٢/ ت٢٠٠٤
الثقافة والدين.. قراءة في نظرية توماس إليوت	س١١/ ع٤٣/ ت٢٠٠٤
الثقافة والأثروبولوجيا.. قراءة في نظريات الأنثروبولوجين	س١١/ ع٤٤/ ت٢٠٠٤
الثقافة والسياسة... تجليات العلاقة وأنماطها	س١١/ ع٤٥/ ت٢٠٠٥
في سبيل بناء نظرية للثقافة	س١٢/ ع٤٦/ ت٢٠٠٥
الثقافة والمجتمع.. نظريات وأبعاد	س١٢ / ع ٤٧/ ت٢٠٠٥

القضية: التراث والاجتهاد والحداثة

عنوان المقالة	السنة، العدد، التاريخ
الحداثة والفكر الإسلامي من منظور نقدي	س٣/ ع١١/ ت ١٩٩٦
الفكر الإسلامي المعاصر وإشكالية التراث.. مشكلة تراث أم مشكلة منهج	س٦/ ع٢٥/ ت١٩٩٩
الفكر الإسلامي المعاصر بين الحداثة والاجتهاد	س٧/ ع٢٦/ ت٢٠٠٠
من التراث إلى الاجتهاد.. نحو نقله فكرية تمنع الإرهاب	س١٣/ ع٥١/ ت٢٠٠٦

القضية: الإشكالية الثقافية

عنوان المقالة	السنة، العدد، التاريخ
حفريات في جدليات الثقافية	س١/ ع١/ ت ١٩٩٣
التجديد الثقافي في مناهج التغير الإسلامي	س١/ ع٣/ ت ١٩٩٤
الفقيه المثقف والمثقف الفقيه	س١/ ع٤/ ت ١٩٩٤
التنمية الثقافية من منظور إسلامي محاولة للاستكشاف	س٣/ ع١٠/ ت١٩٩٦
هل توجد لدينا نظرية للثقافة؟	س١٠/ع٤٠/ ت٢٠٠٣

القضية: الحوار البيني- الداخلي

عنوان المقالة	السنة، العدد، التاريخ
التعددية الحزبية في الفكر الإسلامي.. التأصيل، الأنماط، التحول	س١/ ع٢/ ت ١٩٩٤
أزمة الحوار الإسلامي – الإسلامي	س٢ / ع٨/ ت١٩٩٥
إشكالية القطعية والتصادم بين الإسلاميين ومستقبل العلاقة	س٥/ ع١٨/ ت ١٩٩٨
التقريب رسالة العقلاء في الأمة	س٨ / ع٣٢ / ت ٢٠٠١
الدفاع عن فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية في زمن المحنة	س١٥/ع٥٨/ ت ٢٠٠٨
جدلية الجماعة والأمة في المجال الإسلامي الشيعي الحديث والمعاصر	س٢٠/ ع٨١/ ت ٢٠١٣

القضية: الحوار الخارجي- الإنساني

عنوان المقالة	السنة، العدد، التاريخ
انبعاث الحضارات بين خيار التصادم والتعايش	س٣ / ع١٢ / ت ١٩٩٦
تعارف الحضارات	س٤ / ع١٦ / ت ١٩٩٧
من أجل بناء نظرية لحوار الحضارات	س٩ / ع٣٥ / ت ٢٠٠٢
من حوار الحضارات إلى تعارف الحضارات	س٩/ ع٣٦/ ت٢٠٠٢

القضية: المسألة الحضارية

عنوان المقالة	السنة، العدد، التاريخ
نحو تقويم حضاري جديد لعالمنا المعاصر	س٢/ ع٦/ ت ١٩٩٥
مقدمات في صياغة المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر	س٢/ ع٧ / ت ١٩٩٥
الفكر الإسلامي المعاصر والمسألة الحضارية	س٧ / ٢٨/ ت٢٠٠٠

القضية: الاستشراق

عنوان المقالة	السنة، العدد، التاريخ
هاملتون جيب والاتجاهات الحديثة في الإسلام	س١٣/ ع٥٠/ ت ٢٠٠٦
هنري كوربان ومنهج دراسة تاريخ الفلسفة الإسلامية	س١٧/ ع٩/ ت ٢٠١٠

في البدء كانت الكلمة..

ملامح الخطاب الحضاري والإنساني في الكلمة

الدكتور عبد القادر بوعرفة*

– ١ –

ورد نص شهير في الكتب المقدسة مفاده أن أصل البدء كان «كلمة»، وأن آخره سيكون أيضاً بفعل الكلمة، ويعتقد كل مؤمن أن الله خلق كل شيء بكلمة «كن»، فالكلمة هي أحد آلاء الله وآياته في الكون الفسيح الممتد واللانهائي، إذ تحمل رسالاته وأوامره، وتُفصح عنه كواحد أحد فرد صمد، فالكلمة هي أساس التّواصل بين الإنسان وربه، ثم بين الإنسان وأخيه الإنسان، والكلمة سر من أسرار الله وكنز من كنوزه، بها يُعرف ويُعبد ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾.

ومن خلال ما سبق، يبدو أن تسمية المجلة بالكلمة لم يكن من الصّدفة بمكان، بل كان نتيجة قصدية واعية، فجاء العنوان ليدل على البعد العميق لمفهوم الكلمة، إذ يُراد من خلالها تكليم النّاس تكليماً، وتنويرهم تنويراً، وإعدادهم لدخول حلبة التّاريخ العالمي، والتّقدُّم نحو العالمية الإسلامية

* أستاذ التعليم العالي ورئيس مخبر الأبعاد القيمية للتحولات بالجزائر، جامعة وهران . الجزائر.
البريد الإلكتروني: bouarfah9@yahoo.fr

الثّانية، التي ننتظر شروقها من جديد على العالم الذي تحوَّل في خضمِّه الإنسان إلى كائن ذي بعد واحد.

ها هي عشرون سنة تمر على ميلاد مجلة الكلمة الغراء، وهو عمر ذهبي في تاريخها ورصيدها، إذ لم تعرف انقطاعاً ولا تخلُّفاً عن الميعاد، بل كانت تزداد بهاءً ورونقاً في كل عدد، وتزداد في الوقت نفسه عمقاً في الطرح وبعداً في النظر، وبدأت تعرف انتشاراً لا مثيل له في الوسط العربي والإسلامي، بل أصبحت منبراً أكاديميًّا ومعلماً جامعيًّا، تهفو إليه أقلام المبدعين والمفكرين، وترنو إليه أعين الحالمين بغدٍ إسلامي مشرق من ثنايا الخطاب التنويري والعقلاني الذي حوته أعداد الكلمة من تاريخ تأسيسها.

لم تتقوقع حول قضايا الإسلام والمسلمين، بل كانت أكثر انفتاحاً على الفكر العالمي عموماً والفكر الغربي بالخصوص، حيث دفعها توجهها الإسلامي المستنير إلى البحث في كل القضايا التي تهم الإنسان العالمي أولاً، ثم المسلم ثانياً.

تعود علاقتي بمجلة الكلمة إلى بداية الألفية الثالثة، وبالضبط إلى سنة ٢٠٠٠م، حيث كنت عُيّنت يومها رئيساً لقسم الفلسفة بجامعة وهران، لقد شغلت نفسي منذ البداية بتحسين مكتبة القسم وتوفير أكبر قدر ممكن من الوثائق العلمية، وخاصة الوثائق التي تكتسي طابع العلمية والبعد الأكاديمي، وكنا نفتقر بالفعل إلى مجلات عربية أو إسلامية تُعنى بشؤون الفكر والقضايا الإسلامية، وتهدف بالفعل إلى رسم معالم الغدية وفق رؤية استشرافية وموضوعية، بحيث يجد فيها المسلم كينونته ضمن فضاء الاختلاف المذهبي والأيديولوجي. وأنا أتصفح المدونة الإشهارية لأحد دور النّشر وقفت على أعداد من مجلة الكلمة، فطلبت جميع الأعداد التي بحوزته، ولم تكن وقتها بالكثيرة.

حين وصلت الشحنة إلى القسم، تصفحت العدد ٢٤ الذي صدر صائفة ١٩٩٩م، إذ جذبني موضوع كنت أُعدُّ بحثاً حوله، وهو موضوع تفنَّن صاحبه في تقديمه بلغة شيقة ونقد محنك وتحليل عميق، كان المقال قد وُسم بـ(من صدام الحضارات إلى حوار الحضارات.. قراءة نقدية في مقولة هنتنغتون) لمؤلفه د. رسول محمد رسول.

لقد تقاطع المقال مع كثير من الأفكار التي كنت أكتب حولها، خاصة أن المفكر مالك بن نبي كان قد أشار في كثير من كتبه إلى أن الصراع المستقبلي سيأخذ أشكالاً جديدة، وأن الحراك الشيوعي الرأسمالي سينتهي قبل الألفية الثالثة، وأن العالم الإسلامي سيشهد حركية تاريخية وإحياءً دينيًّا جديداً سيقوده إلى عتبة الإمكان الحضاري، ثم التخلُّص من القابلية للاستعمار التي لازمته منذ سقوط الدولة الموحدية على حد تعبيره. والغريب في الأمر أن مالك بن نبي كان دوماً يُرشح الدول الأسيوية (المسلمة) لهذه المهمة التاريخية

لظروف لا يسعنا ذكرها حاليًّا.

وسأستشهد في هذا المقام الاحتفائي بمجلة الكلمة، بأحد المقاطع من المقال المذكور أعلاه، لأبرهن على البعد الحضاري والإسلامي لمجلة الكلمة، من خلال اختيار كُتَّابها وأقلامها، يقول رسول محمد رسول: «إن عملية التأصيل الكونية هذه تتجلَّى بشكل واضح في الإحياء الديني الذي يجري في أجزاء كثيرة من العالم، خاصة ذلك الانبعاث الثقافي في الدول الآسيوية والإسلامية الناجم عن نشاطها الثقافي ونموها الديمغرافي، وتنبع هذه الصحوة في الجمهوريات الإسلامية كونها (رد فعل ضد العلمانية والنسبية الأخلاقية، والانغماس الذاتي وإعادة تأكيد لقيم الانضباط والعمل والعون المتبادل والتضامن الإنساني)، وهذا يعني على حد تعبير (وليم ماكنيل) حين يقول: إن إعادة تأكيد الإسلام مهما كان شكله الطائفي، يعني رفض النفوذ الأوروبي والأمريكي على المجتمع والسياسة والقيم المحلية، وهذا يؤشر على أن (صحوة الأديان غير الغربية هي أقوى مظاهر معاداة التغريب في المجتمعات غير الغربية، لكن الصحوة هنا ليست رفضاً للحداثة بل هي رفض للغرب والثقافة العلمانية النسبية المتفسخة المرتبطة به)»[1].

تابعت قراءة العدد (٢٤)، قائلاً يمكن أن يكون المقال مجرَّد طفرة، فلأقرأ مقالاً ثانياً، فوقع اختياري على مقال (سؤال الحرية في الفكر الإسلامي المعاصر) لمحمد محفوظ، فكان مقالاً مُتَّزناً في طرحه، عميقاً في إشكاله، إنسانيًّا في غاياته: «وبداية الحرية في المنظور الإسلامي، هي نفس الإنسان، فينبغي لها أن تتحرَّر من كل القيود والأغلال والأهواء والنوازع التي تحول دون حريته وانعتاقه الحقيقي، فالحرية قبل أن تكون سلوكاً سياسيًّا واجتماعيًّا وثقافيًّا، هي قدرة نفسية تتخلَّص من كل الأغلال والقيود، ومن النزعات المخالفة لقيمة الحرية. ولا شك أن التكوين النفسي السليم، هو من الشروط الأساسية لممارسة الحرية في مجالات السياسة والثقافة والفكر والاجتماع. وأن أشكال الحرية وأنساقها الخارجية، لا تمارس دورها الحقيقي إلا بقبول نفسي دائم بمقتضيات الحرية السياسية والفكرية والاجتماعية».

ثم عرجت على مقال ثالث بعنوان: (جدل الضرورة والحرية: مشكلة الحداثة في الثقافة العربية الإسلامية المعاصرة) لهاني إدريس، وهو مقال فلسفي بامتياز، ينمُّ عن قوة التحليل الفلسفي، والقدرة على التجوال بين تخوم الهمِّ الفلسفي وجغرافيا الفكر الإسلامي حول إشكالية الحرية والحتمية، أي بين سؤال الضرورة والحرية: «الإشكالية التقليدية التي حيّرت مفكري الأنوار، ولا تزال تشكل مصدر حيرة للفكر الإنساني إلى يومنا هذا،

(١) الكلمة، العدد ٢٤، ١٩٩٩.

هي مشكلة تاريخ الشعوب وتطوُّر الثقافات! فكلما ازدادت وثوقية فكرنا بحقيقة التطوُّر وحيثيات التغيير، كلما ازددنا حيرة ومفارقة إلى حد الغثيان! واليوم، ونحن نعيش أهوال ومضاعفات سقوط أكبر أيديولوجيا في العصر الحديث -الشيوعية والاشتراكية العالمية- فإن الحيرة ستزداد أكثر ممَّا مضى إذا ما حلّ بنا اليأس، فاعتبرنا هذا الانهيار الدراماتيكي للماركسية هو بمثابة سقوط نهائي للنظرية التاريخية والتطورية، فالسؤال الذي لن يبرح أذهاننا:

- هل الإنسان فعلاً له مكانته الحقيقية في العالم، أم أنه سيبقى مجرَّد رابض في إحدى منتجعاته الهامشية؟

- هل التاريخ يصنع الإنسان، أم أن التاريخ -عكس ذلك تماماً- هو حصيلة فعل هذا الأخير؟

- هل الإنسان ابن بيئته أم هو فاعل فيها، مستقل عنها؟

كل هذه التساؤلات باتت مشروعة.. والإجابات التي حاولت حلها، كانت مختلفة ومتناقضة. وهي مع ذلك منسجمة مع نفسها، متناغمة مع منطقها الداخلي حينما ننظر إليها بمعزل عن بعضها. وبلا شك، فإن انقلاباً مهمًّا أحدثته الهيغلية، كاد يصيب إحدى مقاتل هذه المفارقة -وإن رأى فيها البعض، للوهلة الأولى، تأسيساً لمرحلة جديدة من المفارقة- ذلك حينما تراءى له -أي لهيغل- العالم في صورة جدل صاعد ونازل بين العقل والواقع.. فكل واقعي هو عقلي بالضرورة، وكل عقلي هو واقعي.. لكن ذلك لم يكن ليحل هذا النزاع، فالحيرة ازدادت اتِّساعاً، فتنافرت زوايا النظر»[٢].

كانت مقالات العدد ٢٤ تُشبه إلى حدٍّ بعيد عقد اللؤلؤ الثمين، ما اخترت مقالاً إلَّا وجدته ينقلني إلى عمق القضايا التي تهمني كمسلم في القرن الحادي والعشرين، يستعد نفسيًّا لدخول عالم التّحدي الحضاري الذي تكلم عنه مالك بن نبي. وقد وجدت مقال في العدد نفسه يدور حول (التحدي الحضاري في فكر المثقف المسلم) لعبد الواحد علواني، سأختار منه هذه المقاطع: «من منظور تأويلي، يبدو تاريخ البشرية برمته مجرَّد تحدٍّ حضاري مستمر، يستغرق التحدي الحضاري بين الحضارات جلّه، والتحدي داخل الحضارات نفسها ما تبقى منه، فالتدافع الحضاري بأشكاله المتنوعة، لم يكن سوى تحديات حضارية، بين مجتمعات بشرية، أو حضارات متجاورة، أو متنافسة على مكاسب جغرافية أو تجارية، أو في سبيل عقائد أو أيديولوجيات أو غير ذلك. مما يتم وصفه بصراع الحضارات أو صدامها أو غير ذلك.

(٢) الكلمة العدد ٢٤، ١٩٩٩.

ولا شك أن الاعتبارات الجغرافية والتاريخية والاقتصادية، لعبت دوراً كبيراً في تشكيل خارطة التحديات الحضارية، ولكن الشكل الثقافي كان الأكثر تأثيراً وشدة، وهذا عائد إلى طبيعة الإنسان، بوصفه كائناً ثقافيًّا في المقام الأول.

ولكن سؤال التحدي الحضاري إسلاميًّا، لم يثر بشكل مباشر، إذ لم يكن لدى المسلمين خوف حقيقي على هويتهم ودينهم، إنما ظهرت بوادره بُعيد حملة نابليون على مصر، حيث شكَّلت هذه الحملة صفعة شديدة، إذ حملت معها قفزة معرفية أذهلت المسلمين ونبَّهتهم إلى غفلتهم التاريخية الكبرى، فظهرت الأسئلة الكبيرة.. ولكن الإجابات كانت وبقيت ضئيلة!

ومن سؤال إلى سؤال، كان سؤال التحدي الحضاري يتنقل في الثنايا العميقة للأسئلة الحائرة، سؤال التقدُّم، سؤال الحرية والكفاح ضد الاستعمار، سؤال التحرُّر من هيمنة القوى الكبرى، سؤال الهوية، وغير ذلك.. الأسئلة التي بلغت أوجها اجتماعيًّا في مرحلة الكفاح الوطني، والتي بلغت أوجها فكريًّا وثقافيًّا بعد الحرب العالمية الثانية، حيث تسابقت الأيديولوجيات السائدة، في فرض تصورها ورؤيتها لسؤال الهوية، الذي ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالتحديات الحضارية»[٣].

كان نتيجة إعجابي بمجلة الكلمة من حيث محتواها ومضمونها ورسالتها الحضارية أني قررت الكتابة فيها، فبعثت لأسرة التّحرير بأول مقال بعنوان: (آليات التّمكين للإنسان الشّاهد من خلال فكر مالك بن نبي) الذي نشر في العدد ٣٣ سنة ٢٠٠١، ثم أعقبته بمقال بعنوان: (العرب وسؤال الحرية تأملات في أوهام الوعي العربي المعاصر) الذي نشر في العدد ٦٣ لسنة ٢٠٠٩. ثم أعقبته بسلسلة من المقالات لا يتَّسع المجال لذكرها في هذا المجال.

لقد كانت مجلة الكلمة تُحفِّز في كل عدد جديد في ذاتي أثراً بليغاً، وأشعر بأنها تُكلِّفني مهمة حضارية، وتدفعني نحو الولوج إلى حلبة التدافع الكوني، ممَّا دفعني إلى إعداد مجموعة من الملفات، مثل ملف: (إشكالية المنهج في العلوم الإنسانية والاجتماعية)، وملف: (الفن والجمال في الثقافة الإسلامية)....

– ٢ –

تمتاز مجلة الكلمة بمزايا عن غيرها من المجلات المتداولة والمشهورة، فهي أبعد من أن تكون مجلة دعوية أو فقهية، تجترُّ الماضي اجتراراً، وتنسج عوالم سحرية عن إمكانات لا توجد إلَّا عند ضعاف النظر والقاصرين عن فهم حقيقة التاريخ وحركته.

(٣) الكلمة العدد ٢٤، ١٩٩٩.

وتلك المزايا يمكن حصرها فيما يأتي:

١- الأصالة: يعتبر التأصيل فعل وممارسة وليس مجرَّد شعار تلوكه الألسن، فالكلمة تتَّجه نحو تأصيل القيم الإسلامية ضمن نطاق عالمي إنساني، إنه تأصيل ينطلق من نظرة حضارية لا نزعة أيديولوجية، وتحمل بذلك عبئاً تاريخيًّا لا نظير له، فمهمة المُؤصل ليست بالهيّنة ولا السّهلة إنها مهمة تُشبه مهمة الأنبياء في ترسيم التّعاليم والقيم الإلهية.

٢- الواقعية: تقود الحماسة والانفعال في أغلب الأحيان إلى الهروب من الواقع وتداعياته، ورسم معالم طوباوية لغد لن يُدرك أبداً، بيد أن مجلة الكلمة من خلال استراتيجيتها جعلت من الواقع محوراً لها، ومن الواقعية نزعةً ومنهجاً، وبذلك تكون القضايا المطروحة للنقاش في متونها قابلة للتطويع والتشبيع والتربيع والتدوير.

٣- المواكبة: لا أريد أن استعمل مصطلح الحداثة لكونه مصطلحاً يحمل أبعاداً متنوعة ومختلفة، ويحمل في بعض الأحيان خبثاً أيديولوجيًّا، وعليه فأنا أصف مجلة الكلمة من خلال ما تنشره من مواضيع بالمواكبة والمسايرة، فهي تُواكب الفكر العالمي وتُساير العصر ومقتضياته، ولم تتَّجه نحو النكوص الحضاري والتقوقع في الماضي السّحيق.

٤- الإنسانية: يعتبر سلوك الإشادة بالإنسان مهما كان لونه أو لسانه أو عرقه أو دينه عملاً إنسانيًّا رائعاً وبديعاً، فالكلمة هي كلمة الإنسان قبل أن تكون كلمة المسلم، فنحن نتشارك الأرض والكون والله الخالق، فمصيرنا واحد وإن اختلفت رؤيتنا نحو شكله ونوعه، لقد كانت الكلمة منذ تأسيسها تسعى نحو وحدة النّاس نحو القيّم الإنسانية الجامعة، ولعلها بذلك تواصل دعوة ابن عربي الذي جعل الناس كلهم سواء وإن اختلفوا في الدين والنسب.

٥- القصدية الحضارية: أعتقد بأن النّظر إلى أفق المستقبل مطلب قرآني ومنحنى حضاري، وفي الوقت نفسه يرتبط بأبعاد السؤال الأنطولوجي للذات الحضارية، لقد لامست من خلال ما يكتبه كُتَّاب الكلمة تلك القصدية الحضارية الواعية بخبايا المستقبل وقضايا الحاضر، فالخروج من الحضارة أدخلنا في سبات حضاري لم نُفق بعدُ من تأثيره بشكل كامل، إن الهمَّ الذي يحمله كتاب الكلمة لا يمكن أن نختزله في كلمات احتفائية، بل هو هَمٌّ نراه يتجلى من خلال نبض المعاني وألم الحروف ووجع الكلمات ورهبة العبارات.

- ٣ -

لقد ذكرت بعض المزايا لمجلة الكلمة، ولكن هناك مزايا ومزايا لا يسعنا المقام لجردها وإحصائها، ويكفيها فخراً أنها قدَّمت للعالم أقلاماً جديدة من كل الربوع الإسلامية،

فالجزائر –على سبيل المثال لا الحصر– من خلال مجلة الكلمة مُثلت في ثلة من الأقلام الشابة كعمارة الناصر، وأبو بكر الجيلالي، وصايم عبد الحكيم، وحميد حمادي، ورزقي بن عومر، وجمال حمود وغيرهم، ونحن بذلك نمنح آيات العرفان الجميل والشكر الجزيل والود العميق للمفكر زكي الميلاد الذي خلق جسراً للتواصل بين المفكرين والمبدعين، وساعد الشّباب على النّشر والتّواصل، وكفي بالله نعمة أنه قال في التّوراة والإنجيل «في البدء كانت الكلمة».

مجلة الكلمة

التجديد والحداثة الفكرية في ثوبها الأصيل

ذاكر آل حبيل

□ بمثابة مقدمة

التجديد بما هو فعل للمغايرة المفارقة لواقع اللحظة الفائتة، وتجاوز معرفي لما تم استهلاكه من معارف وعلوم تم تجريبها وقياس مدى نجاعتها في عصورها. والتجديد بما هو فعل حضور في الآن وهنا بكل ما تملي اللحظة المعرفية وعلومها من دافعية يجب أن تنجز عدتها لتفي بغرض الحاجة الإنسانية للتقدم والمثابرة في مزيد من البناء الحضاري، ولا يكون للتجديد فعله الزمني المنجز إلَّا بمحاولة التقدُّم والتخطيط للحضور في المستقبل.

والحداثة بما هي فعل تأصيل لواقعية حضور الإنساني في مدرك الفعل الثقافي القار في بنية النسق المعرفي والعلمي القائم بكل مناهجها ومعطياتها، إذ لا تكون الحداثة إلَّا بالأنسني المفعل والمنفعل في آن، وبالحضور المركزي للعقل وعقلانية الكائن الإنساني في الفعل الحداثوي.

والفكر بما هو المنتج المؤطر للسياقات المعرفية ودافعياتها المنجزة، والذي لا بد له من فعل التجديد والمغايرة والتقدُّم وعدم الركون لما كان في تاريخيته بكل غثه وسمينه، أذ لا بد للفكر من التحريك وربما التثوير والقطيعة المعرفية

البينة كي تتجدد حياة الإنسان ككائن ضمني ومحوري للوجود الواعي، والفكر في سياقه المتجدد يشكل الحاضن والدافع المركزي لذلك التجدد من حيث آلياته ومناهجه وعلومه، ومن داخل السياق الموضوعي لمفهوم التجديد الذي يرتكز على أصالته المكتملة بمعاصرة لا تغفل بنيات المعاصرة والحداثة الفكرية في جانبها الرصين والمتقدم.

□ مجلة الكلمة ومشروعها المتجدد

اهتمت مجلة الكلمة في إطار معالم أطروحتها الفكرية المديدة، اهتماماً شاسعاً بمعالم النهضة الفكرية وتقدمها في الوسطين العربي والإسلامي، في جل مسارات موضوعات النهوض والتقدُّم المنشود، والتي تدفقت فيها جل مناحي الكتابات الفكرية التي نشرتها المجلة وفي مختلف الجوانب الفكرية والعلمية والمنهجية، وكانت مطارحاتها وسجالاتها ومتابعاتها في ذات المرمى والهدف، تتغيَّا التكامل في صوغ دافعية المشروع الحضاري للأمتين العربية والإسلامية وفق تطلعات حافزة، وغير مترددة لارتياد نداءات الاجتهاد المتقدم في سبيل نهضة معاصرة تحافظ على حيوية الحضور الإنساني المركزي والتي لا تغيب عن المساهمة فيه الأمتين العربية والإسلامية.

إن المتابع والمتفحص لمشروع مجلة الكلمة، يتلمس العناية الفائقة والاهتمام الجم في مجالات «تجديد الفكر الإسلامي والمعارف الإسلامية، والعلوم الإنسانية والاجتماعية، مع الاهتمام بقضايا المشكلات الثقافية في العالم العربي والإسلامي، والتجديد والبناء الحضاري، وكذلك قضايا الإنماء التربوي والتعليمي، ومستقبليات المشروع الثقافي والحضاري الإسلامي المعاصر، مع الإيمان بقيم الحرية والحوار والافتاح والتسامح -كما جاء في قواعد النشر فيها- ولتلهم بضرورة التركيز على مشروعها الأم والمركزي، والذي تشدد عليه كأولوية، ذلك على أن هم المشروع الحضاري والنهضوي بالنسبة لمشروع مجلة الكلمة لا زال مفتوحاً بإلحاح كي يحافظ إنسان الأمة على حيويته وفاعليته في وجوده الخاص ومع المشترك الإنساني العابر للثقافات بدارية واعية لا تتقهقر، وليسبر غور معارف الحياة والوجود ببسالة مجتهدة لا هوادة فيها، مدركة لسنن التطور والتقدم في خطها المتجه للأعلى، والذي يرتكز على معالم مبدئية أصيلة قوامها ثوابت الأمة، وهدفها تحقيق مصالحها العليا، والخير للبشرية جمعاء.

□ مجلة الكلمة، معالم المنهجية الجديدة

تركز الجانب الفكري المهم في مشروع مجلة الكلمة على توكيد منهجية البحث الفكري المتجدد في عناوينه العديدة، والذي كانت تروم المجلة كي تحافظ على خصوبة حراكها

الفكري في وسط الباحثين في عديد مجالات النشر فيها، وتجلى ذلك في موضوعات محاور نشرها المركزية، فضلاً عن ركائز موضوعاتها الأساسية في كل عدد. وبعيداً عن التقليدية المحافظة لم تعش المجلة هاجس الخوف من التجديد وصدماته ومفارقاته، بل سعت في تقعيد وتثبيت مضامينه وحيثياته، وبوسطية مقبولة عند كل الاتجاهات، الأمر الذي حافظ على منهجيتها من التراجع والاضمحلال، بل سعت إلى ضخ المزيد من موضوعات حافلة بالعديد من مناهج البحث العلمي والمنهجي والفكري للتأكيد على صعود اهتمامها بالمستجد والمعاصر بكل ما تحفل به الدوائر المعرفية والفكرية المتقدمة.

أن الملازمة الفكرية والمنهجية وتفعيل جانبها التواصلي كان جوهر الدافعية الضمنية لمشروع مجلة الكلمة، فضلاً عن المساهمة الفعَّالة والضمنية في إغناء المشروع الحضاري للأمة بالمزيد من الذخيرة الفكرية والمنهجية والعلمية للجهد الذي يبذله الأوفياء من أبنائها المهمومين بهمِّ الصعود إلى الأعلى على نحو التحضُّر والتقدُّم والشراكة الحية بالجديد من المعرفة العلمية والمنهجية والفكرية، وإذ لا يكون حضور الأمم والحضارات في شراكتها الإنسانية في صنع الحضارة، إلَّا بالمزيد من إنتاج رأسمال معرفي قادر على المزامنة الحضارية في شتى مجالات الحاجات الإنسانية، المادية والمعنوية.

□ مجلة الكلمة والمساهمة في المعرفي الناهض

واكبت مجلة الكلمة مشاريع الفكر العربي والإسلامي المعاصر، ولامست حيثيات محاججاته وشتى جدلياته، وساهمت في مقارباته المعرفية بإثرائه بالمزيد من الرفد الموضوعي الحافز لاجتهادات فكرية قادرة على صوغ البدائل الحافلة بالمعنى، وذلك بإذكائها روح الحوار البنَّاء في شتى ملفاتها المركزة ضمن موضوعات ذات قصدية عالية لأجل خصوبة معرفية تتَّجه نحو منجز يدفع بذلك الفكر نحو مستقبلياته الواعدة.

لقد نأت مجلة الكلمة بنفسها عن الوقوع في التجزيئية وغلَّبت الاشتغال على المضامين والآليات على حساب التوجُّهات، ودعت لاستصلاح المشاريع الفكرية والبعد عن الاستعجال الثقافي والظرف السياسي، وتقعيد الفعل الثقافي بتدويره وتقليبه معرفيًّا بالمزيد من التغذية المركزة بالبحث والحوار والمحاججة دون تردد أو مراوغة أو مداراة، فسلامة الفكر في المداومة على تلك الروائز المعرفية، التي ولا بد ستقويه وتفعّله على نحو موضوعي لكي يكون على مقربة من واقع الوجود الإنساني الأكثر نفعاً.

لذلك كله سخَّرت مجلة الكلمة جل اهتمامها لفعل الحوار مع الآخر والتعارف الحضاري بين الحضارات والجدل المعرفي بين التوجُّهات الفكرية المختلفة، بهدفية تمس

مختلف الحقول المعرفية في جانب المنهجي، وبفعل ثقافي تواصلي يرتكز على الرأي والرأي الآخر وضمن مساجلة تتغيَّا المشترك لكي تبني الأمة أصولها المعرفية والمنهجية على أرض صلبة، قوامها ثوابت الهوية ومسارات المعاصرة المجتهدة لأجل حداثة مبتكرة.

□ مجلة الكلمة وتغدية المفاهيم الكبرى

المفاهيم الإنسانية الكبرى، والتي تعد المبادئ والأصول والأسس المعرفية، والتي يرتكز عليها الوجود الإنساني برمته في مختلف علاقته الضمنية كحقوق أساسية، كحق الحياة والحرية والمساواة، والحقوق الفرعية كالأخاء الإنساني والحوار والتسامح وغيرها من مفاهيم تواصلية إنسانية كانت حاضرة وماثلة في أغلب الموضوعات، أما بموضوعات وأبحاث متخصصة، أو بتضمين يذكي حضورها المهم في الثقافة العربية والإسلامية المعاصرة، وبلحاظ حقوقي مدني يتغيَّا للأمة مزيد من التنظيم في المدنية والحقوق الإنسانية المعتبرة كما هو سائد في الثقافة الإنسانية المعاصرة.

□ مجلة الكلمة ومنجزها المتواصل

الدوريات الفكرية المتخصصة في العالم العربي، وبالرغم من قلتها تقديراً، إلَّا أنها تعاني أيضاً من قلة عمرها الافتراضي، فمديد حضور بعضها يتأتى من إصرار القائمين عليها من خلال إيمانهم العميق بالضرورة الفكرية وحراكها الأهم في حياة الأمة، فضلاً عن مدد الباحثين الجادين بالمزيد من بحوثهم وموضوعاتهم من أجل إغناء مساحة الفكر والثقافة والمعرفة في ميدانها العربي والإسلامي، وتطوير مضامينها وآلياتها ومناهجها على النحو الذي يفي بغرض التوثب والنهوض والتقدُّم في حياتنا الإنسانية، والتي لا تتأكد إلا بالمزيد من الجدية في البحث والاجتهاد المنفتح على كل ميادين العلم والمعرفة خصوصاً في عالمنا المعاصر الذي صار رأس ماله المعرفي والفكري عنوان وجود الأمم والحضارات، وقوام وميزان وجودها وحضورها الفاعل.

مجلة الكلمة..

هموم وتطلعات

حسن آل حمادة

أصدرت مجلة الكلمة عددها الأول في خريف ١٩٩٣م، وها نحن نحتفل بعددها الثاني والثمانين، ولي مع هذه المجلة ذكريات جميلة، فعددها الأول وصلني بنسخة مصوّرة في القطيف ثم اقتنيت عددها الثاني من الشام وكنت وقتها مغرمًا بملاحقة الدوريات الفصلية الدراساتية، لأنني كنت في مرحلة البكالوريوس في الجامعة، وقد تخصصت في «المكتبات والمعلومات»، وفي تلك الفترة وجدت ميلًا عندي لأن أكتب الدراسة والبحث، وكانت مجلة الكلمة خير معين لي، وأنا أتتبع منهجية كتّابها الذين أفدت منهم كثيرًا.

ولشغفي بمجلة الكلمة علمت فيما بعد أنها تصل إلى البحرين وتباع فيها مما سهّل عليّ أن أقصدها من القطيف في مدة زمنية لا تتعدى الساعة، وحرصت على أن أبتاع مجموعة من كل عدد جديد لأوفر المجلة لمن يطلبها، ثم تلقيت عرضًا لأن أكون ضمن هيئة تحريرها، وكانت فرصة من الفرص الجميلة في حياتي.

بعد هذه الإشارة السريعة لعلاقتي بالمجلة سأبدأ حديثي عن المجلة، فالمجلة حسب قواعد النشر فيها تهتم: «بقضايا الثقافة ومشكلاتها في العالم العربي والإسلامي، والتجدد والبناء الحضاري، وكذلك قضايا الإنماء التربوي

والتعليمي، ومستقبليات المشروع الثقافي -الحضاري- الإسلامي المعاصر، مع الإيمان بقيم الحرية والانفتاح والتسامح».

وهي اهتمامات -كما رأيتم- تمثل خارطة طريق لكل من يحمل همّ النهوض بواقع مجتمعاتنا العربية والإسلامية، إذ لا نتصور أن تتقدّم مجتمعاتنا إذا كانت القضايا التعليمية والتثقيفية في آخر أولوياتها، وليس بمقدورنا أن نتوقع إصلاحًا ثقافيًّا حقيقيًّا إن لم نؤسس لمجتمع مدنيٍّ، تحترم فيه الحريات، وتسود فيه قيم: التعددية، والمساواة، والعدالة الاجتماعية، والإخوة، التي تذيب كل الحواجز المصطنعة بيننا كشركاء في الإنسانية.

إن مجلة الكلمة هي مجلة فكرية رائدة وسبّاقة؛ إذ استطاعت خلال فترة صدروها التي امتدت لأكثر من عقدين؛ أن تبلور مجموعة من المفاهيم المهمّة التي أصبحت الآن تناقش وتطرح بجديّة في الكثير من المنابر الثقافية؛ على المستوى الرسمي والشعبي، مثل قضايا: الحوار، والتعددية، والعنف، واللاعنف، وحقوق الإنسان، ومفهوم المجتمع المدني، و...إلخ. وباستطاعة أي متابع ومهتم أن يرجع لأعدادها التي فاقت الثمانين عددًا، عبر موقعها الإلكتروني؛ لتتضح له الرؤية بعيدًا عن أي مبالغة في القول.

□ مجلة الكلمة بين النجاح والإخفاق

النجاح

أتصور أن المجلة نجحت في تقديم صورة طيبة عن مثقفي المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية، وقد تفاجأ الوسط الثقافي في المملكة وفي الوطن العربي أيضًا، بالمستوى المتقدِّم لأطروحات المجلة، وأكتفي هنا بمقطع كُتب في صحيفة الوقت البحرينية حولها إذ تقول: «ما يميز مجلة «الكلمة»، بوصفها دورية فكرية دينية، هو قدرتها اللافتة على توفير مواد متنوعة تلبي مختلف الأذواق والتوجهات المراد استقطابها. قد تبدو المهمة يسيرة للوهلة الأولى، فالمسألة لا تتعدى تجميع كم من الكتابات في مختلف الأبواب والاهتمامات، تتراوح بين المعرفي الرصين والمعلومات والمتابعات والأخبار الثقافية إلا أن ذلك لا يُعبِّر عن تمام الصورة. فهناك دوريات عديدة تأخذ بمثل هذا الالتزام التحريري، وتتجه إلى توليف محتوى متعدد المضمون والمستوى، إلا أنها تظل باهتة، ومحكومة بالإهمال وربما الاحتجاب»[1].

ولعلّ من المناسب أن أشير هنا إلى أن رئيس التحرير الأستاذ زكي الميلاد، كرِّم في

(١) العدد: ٦٤، ٧/ ربيع الثاني/ ١٤٢٧هـ.

طهران من قبل المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ضمن شخصيات تقريبية، في الجلسة الختامية للمؤتمر الدولي الحادي والعشرين للوحدة الإسلامية، بعد اختيار مجلة (الكلمة) كأفضل مجلة هادفة في وسائل الإعلام، ونقل الرأي الحر والواعي في هذا العام.

وقد تسلَّم الأستاذ زكي الميلاد درعًا تذكاريًّا تضمن خطابًا من الشيخ محمد علي التسخيري الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، جاء فيه:

«امتزج فكر الدعوة إلى الوحدة وعزمكم الراسخ في بوتقة واحدة، فبذلتم جهودًا مضاعفة ومشكورة في نشر وترسيخ الفكر الوحدوي من خلال مجلتكم (الكلمة) الموقرة.

تثمينًا لهذه الجهود المخلصة والواعية في نشر هذه الأفكار، فقد تم ترشيح مجلتكم الصادقة كأفضل مجلة هادفة في وسائل الإعلام ونقل الرأي الحر والواعي في هذا العام.

وبهذه المناسبة نهديكم لوحًا تذكاريًّا معطرًا بأمنيات التوفيق والنجاح دائمًا في نشر وتأصيل الانسجام والتلاحم وإيجاد الصحوة في صفوف الأمة الإسلامية، نبارك لكم ولزملائكم هذا النجاح، ونبتهل إلى الله لكم بالتوفيق والسداد».

واسترسالًا في الحديث عن النجاح الذي تحققه المجلة، ألفت نظركم إلى أننا قبل أن نعمد لإقفال العدد الذي بين أيدينا عادة، فإننا نُرحِّل مشاركات جديدة قد تكفي للعدد الذي يليه، نتيجة لتزاحم المواد التي تُرسل للمجلة من دول عربية وأجنبية لكتّاب عرب.

ومن دلالات نجاح المجلة أن الكثير من الكتّاب تفاعلوا مع أطروحاتها، وراحوا يبشرون بها في كتاباتهم، وإن لم يُشِر بعضهم لها كمصدر للفكرة، وقد يلحظ القارئ اعتماد بحوث الكلمة كمصدر لعددٍ من الكتابات المعاصرة، ونحن على قناعة أن البناء الثقافي والتغيير يحتاج لأزمنة قد تطول شيئًا ما، والثورة الفرنسية خير شاهد على ما نقول.

ونظرًا للنجاح الذي حققته الكلمة فقد أصدرت سلسلة من الكتب، آخرها كتاب: «مستقبل الثقافة الإسلامية في ظل ثورة المعلومات وتحديات العولمة (إعداد وتقديم حسن آل حمادة)، ط١، بيروت: مؤسسة الفلاح. ٢٠٠٧م»، وقد شارك في كتابته ثلاثة وخمسون باحثًا من مختلف البلدان العربية، وسيصدر قريبًا في طبعة ثانية عن مركز الحضارة في بيروت.

الإخفاق

وإذا كانت كثرة المواد التي تصلنا من الخارج دلالة قوة للمجلة، فهي في الداخل تمثل دلالة ضعف، فبالكاد تصلنا مشاركة واحدة لكتّاب من خارج أسرة التحرير في المنطقة، وربما تكون أكثر المشاركات المحلية وصلت إلينا بناءً على طلب وإلحاح منّا! فالمجلة فشلت في استقطاب الأقلام المحلية، والكرة الآن في ملعب الكتّاب إذ إن المجلة تُرحب بالنتاج

المحلي كما ترحب بأي مشاركة جادة تصل إليها.

ومن إخفاقات المجلة أنها لم تدخل معظم المنازل، ولم تتداولها الكثير من الأيدي، وإن علّل البعض ذلك بعدم وصول المجلة للمنطقة في فترات سابقة؛ فهي الآن تتوافر بشكل منتظم، وأعدادها متاحة على شبكة الإنترنت في موقع خاص بها.

وربما يُعاب على المجلة أيضًا كونها نخبوية في أطروحاتها، وأنا لا أميل لهذه الرؤية؛ فكثير من موادها مُيسَّرة للجميع، وإن غلب عليها الالتزام بالمنهجية الأكاديمية في الكتابة؛ كونها تُعنى بالبحوث والدراسات، وتبتعد عن منهجية المقالات القصيرة.

نقطة على السطر: المجلة أهلية، وهذا يعني أنها تموِّل نفسها بنفسها، وإن شئنا لها ولغيرها من المجلات المحلية الأهلية الاستمرار فهي بحاجة للدعم والمؤازرة، من قبل من يعنيهم أمر النهوض بالمجتمع؛ باعتبار أن الثقافة هي البوابة الأهم لإحداث التغيير المنشود والمرتقب.

مجلة الكلمة

عقدان من التجديد والإبداع والدعوة للحوار والوحدة

محمد تهامي ذكير

قد يقال: إن الشهادة للنفس أو للمقربين مجروحة أو غير مقبولة في ميزان العدالة أو كشف الحقيقة؛ لأن الإنسان مجبول على مدح نفسه وتزكيتها ومراعاة مصلحة المقربين منه أو من يُحب.

لذلك قد تكون شهادت من ساهم منذ البداية -مع كلٍّ من رئيس ومدير التحرير وهيئة التحرير- في زرع بذرة (الكلمة) وسقاها بمشاركاته ومتابعاته وسهره على صفها وتصحيح وتدقيق مواضيعها وإخراجها ومتابعة طباعتها وتوزيعها، والانتظار بشوق مدى انتشارها في العالم العربي، وتفاعل القراء معها.. إلخ، قد تكون شهادته مجروحة أو قد تُتَّهم بالمدح والمبالغة والإفراط والتزكية غير المرغوب فيها. لكن عندما تصبح الشهادة تأريخاً لمسيرة فكرية للذات وللمجلة معاً، فإن الأمر يختلف تماماً؛ لأن من حق أيٍّ منا أن يكتب سيرته الفكرية والعلمية والكتابية، وهنا يصبح المرء مطالباً بالصدق والمصداقية مع نفسه أولاً واتجاه القارئ ثانياً، واتجاه التاريخ ثالثاً؛ لأن أي تأريخ للذات هو تأريخ لواقع ومرحلة زمنية في مجتمع وأمة ما، وأي شهادة أو تأريخ لتجربة ما، كتجربة مجلة الكلمة، هي كذلك تأريخ لفترة زمانية مهمة ومليئة بالأحداث والتطوُّرات على جميع المستويات السياسية والفكرية والدينية والاجتماعية...

إلخ، من حياة هذه الأمة.

وهذا ما يظهر بوضوح في تتبع الملفات الفكرية والدراسات والمواضيع والمؤتمرات والإصدارت التي كُتب عنها في مجلة الكلمة منذ انطلاقها.

عندما تأسست المجلة سنة ١٩٩٣م كنت قد بدأت قبلها بسنوات قليلة بالاهتمام بالكتابة بشكل متقطع وغير متنظم، لكن مع صدور العدد الأول أوالثاني والتزامي بالمشاركة فيها كتابة وتحريراً، بدأت أنتقل تدريجيًّا من الهواية الى احتراف الكتابة، حيث طرقت باب مجمل أنواع الكتابة الصحفية، من المقالة إلى الدراسة الأكاديمية المحكمة، إلى القراءة في كتاب أو تغطية مؤتمر أو ندوة، وصولاً إلى الكتابة عن الإصدارات الحديثة والحوارات.

واليوم وبعد عقدين من الكتابة في المجلة، أستطيع أن أتتبع مسيرة تطور الكتابة لديَّ من أول مقالة أو قراءة في كتاب أو تغطية لمؤتمر، كتبتها في العدد الأول أو الثاني، إلى هذا العدد الأخير. وقد فعلت ذلك يوماً عندما قارنت بين ما كتبته سنة ١٩٩٣ م وما كتبته سنة ٢٠٠٣م، لقد كان الاختلاف واضحاً، في الصياغة والأسلوب، وفي الأخطاء المرتكبة، وفي طريقة تناول القضايا والإشكاليات المكتوب عنها، وعمق المعالجة والمنهجية، والقدرة على إيصال الفكرة التي أريد إيصالها الى القارئ بعبارة سلسة لا تخلو من محسنات بلاغية، تكشف عن حجم المعجم اللغوي والبلاغي المكتسب عبر عقد من القراءة والكتابة، كما تكشف المتابعة لأعداد المجلة القضايا التي كتبت عنها وفيها، والمواقف التي اتخذتها لحظة الكتابة، وهذا بدوره يكشف مدى تطور الوعي الشخصي بالقضايا والإشكاليات الفكرية والسياسية والاجتماعية والدينية التي طرحت أو تمت مناقشتها في هذه المرحلة الزمنية.

أكتفي بهذا الحديث المقتضب عن علاقة المجلة بالتأريخ للسيرة الفكرية والكتابية، لأنتقل الى مجلة الكلمة وأنطلق من الشعار الذي رفعته المجلة هدفاً استراتيجيًّا لم تحد عنه قيد أنملة، وهو الاهتمام والعناية بشؤون الفكر الإسلامي وقضايا العصر والتجدُّد الحضاري. وقد ترجم هذا الشعار والهدف:

أولاً: في الملفات الفكرية التي أنجزتها المجلة، والتي ركزت على تجديد الفكر والخطاب الإسلامي في جميع المجالات والأصعدة..، وهنا نشير الى عدد من الملفات والدراسات الكثيرة التي نشرتها المجلة عن تطور الفكر الإسلامي المعاصر، وحقوق الإنسان في المنظومة الحقوقية الإسلامية، وقضايا الاجتهاد والتجديد والنهضة، والأصالة والمعاصرة، والتغطية لمؤتمرات وندوات خاصة بهذه القضايا والمواضيع.

ثانياً: المساهمة في علاج ومناقشة جميع القضايا والأزمات التي تتخبط فيها الأمة، مثل الحوار الإسلامي – الإسلامي، وقضايا الوحدة والتقريب بين المذاهب، والصراع

المذهبي والطائفي والسياسي داخل الأمة، والثورات العربية ومستقبل الربيع العربي.. إلخ. وهنا لا بد من الإشارة الى نقطة مهمة جدًّا، وهي شهادة تستحق الإشارة إليها والإشادة بها، وهي الحيادية التي اتَّصفت بها المجلة، فخلال عقدين من الزمن لم تنخرط أبداً -عبر دراساتها وملفاتها الفكرية ومتابعتها الثقافية- في أي صراع أيديولوجي أو سياسي أو مذهبي أوطائفي يجتاح الساحة العربية والإسلامية.. إلخ.

بل بقيت وفيَّة وملتزمة بمفهوم الأمة الواحدة، و الخطاب العقلاني وضرورة التركيز على نشر قيم الحوار والتعارف والتقارب والتسامح والتعايش بين جميع مكونات الأمة الدينية والمذهبية والسياسية والفكرية.

وأن تنصب جهود الجميع في إيجاد أفضل السبل لإدارة مظاهر وأشكال التعدد والتنوع والاختلاف التي يموج بها بحر هذه الأمة، كي يساهم الجميع ودون استثناء في التجدد الحضاري وبناء النهضة من جديد.

ثالثاً: أولت المجلة اهتمامها الخاص بتجديد الفكر الإسلامي، عبر التركيز على التشجيع على النقد البنَّاء، والمراجعات الفكرية، وفتح باب الاجتهاد وإعادة النظر في جميع القضايا المطروحة قديمها وحديثها، والتشجيع على المبادرات الجديدة، كل ذلك في محاولة منها لتفعيل العقل الإسلامي عله ينخرط بجد في اجتراح الحلول الجادة لأزمات الأمة المستعصية. وقد أنجزت المجلة ونشرت الكثيرمن الدراسات والبحوث في هذه المجالات المهمة والحساسة.

رابعاً: إلى جانب الاهتمام بالداخل الإسلامي وبكل ما يموج فيه من تيارات فكرية وسجالات أيديولوجية، واكبت المجلة التيارات الفكرية والفلسفية والأيديولوجيات الوافدة من الخارج، وما أحدثته من تأثير وكيف تفاعل العقل الإسلامي معها وما كانت ردود الفعل تجاهها، مثل قضايا: العولمة الثقافية والغزو الثقافي، صدام الحضارات، نهاية التاريخ، حوار الحضارات.. إلخ.

خامساً: واكبت المجلة أيضاً جميع الأحداث الكبرى التي غيَّرت وجه العالم والتي كان لها الأثر الكبير في صناعة الرأي العام العالمي وتوجيهه، مثل العولمة وثورة الاتصالات.

وبشكل عام، كانت مجلة الكلمة خلال هذه العقدين من عمرها، حاضرة في الساحة العربية والإسلامية، تستجيب -من خلال كُتَّابها وقرَّائها- للواقع المحلي والعالمي وما يطرحه من قضايا فكرية ودينية وأيديولوجية، متفاعلة بإيجابية معه، وهذا هو الذي يبرر بقاءها واستمراريتها وتفاعل القراء معها إلى الآن، وإلَّا كلنا يعلم مقدار التحديات التي تواجه المشاريع الفكرية والثقافية في العالم العربي، ومجلة الكلمة ليست استثناء من هذه

القاعدة، فلولا الجهود الشخصية الكبيرة التي يبذلها الطاقم المشرف على إدارتها وتحريرها، وأخص بالذكر رئيس تحريرها الأستاذ زكي الميلاد ومدير التحرير الأستاذ محمد المحفوظ، لما كتب لها أن تستمر في العطاء إلى الآن.

وكما تحدثت في البداية عن مساهمت المجلة في التأريخ لمسيرتي الشخصية في مجال الكتابة، أستطيع أن أدَّعي وأقول: إن مجلة الكلمة قد أرَّخت ولا تزال تؤرخ لمرحلة فكرية وفترة زمنية من حياة هذه الأمة، ومن يتتبع أعدادها سيكتشف ذلك بسهولة، سيتمكن من التعرُّف إلى جميع التيارات الفكرية التي ماج بها واقع الأمة في هذه الفترة الزمنية، وما كان ردّ فعل العقل الإسلامي تجاه هذه الأحداث ومقدار مساهمته وتفاعله معها، ويمكن من خلال ذلك أن يستشرف المستقبل.

لقدعملت المجلة ممثلة في طاقمها التحريري بالمثل القائل: بدل أن تسب الظلام أوقد شمعة أو أصلح المصباح، وهذا ما فعلته المجلة ولا تزال –ليست لوحدها طبعاً وإنما بقرائها وكتَّابها الذين هم في تزايد وتكاثر.. فأوقدت (٨١) شمعة وسط هذا الليل الدامس من الجمود والتقليد والتبعية، والجهل واللاعقلانية والتعصب الذي تحوَّل إلى حفلة جنون وصراع دموي سيقضي –لا محالة إن استمر– على ما تبقى من تماسك وتواصل اجتماعي بين مكونات هذه الأمة، وما أُنجز من تنمية وتقدم ونهضة...

مجلة الكلمة وصناعة الأفكار

الشيخ عبداللَّه أحمد اليوسف*

إن صناعة الأفكار من الأعمال العقلية الصعبة والمهمة؛ فالمجتمع بحاجة دائمة لأفكار جديدة، وبلورة أفكار مبثوثة، ومعالجة قضايا فكرية وثقافية مستجدة؛ بما يُسهم في تكوين الرأي العام، وتوجيهه نحو أفكار نابعة من قيمنا وثقافتنا بحيث تكون سيدة في عالم الأفكار والآراء، وقادرة على التأثير الإيجابي في تفكير الناس وأفكارهم وقناعاتهم.

وإيصال الأفكار إلى الناس يتمُّ بوسائل متعددة ومتنوعة، ومن أهمها: المجلات الفكرية المحكمة التي تهتم بإنتاج الفكر والثقافة والمعرفة، وتقديمها لأهل العلم والرأي والفكر. وتأتي في عداد هذه المجلات الفكرية الرائدة مجلة الكلمة التي بلغت العشرين عاماً من العطاء الفكري والثقافي، وساهمت في صناعة التجديد الفكري والتجدُّد الثقافي، وتقديم الأفكار والآراء سواء كانت جديدة أم مُتجدِّدة أم ناقدة.

ولمزيد من البيان والإيضاح سأركز على محورين مهمين في مسار المجلة وهما:

* كاتب وباحث من السعودية.

□ المحور الأول- سمات مجلة الكلمة

لأي مجلة فكرية كانت أم سياسية سمات وخصائص تعكس سياسة القائمين عليها، ويمكن الإشارة إلى أهم سمات مجلة الكلمة في النقاط التالية:

١- العلمية

اتَّبعت المجلة في دراساتها المنشورة فيها سمة العلمية، وهي سمة لا غنى عنها في أي مجلة فكرية محكمة؛ إذ يجب أن تقوم أي دراسة علمية على المنهج العلمي الرصين، سواء من حيث توثيق المصادر والمراجع، أو استخدام اللغة العلمية أو الكتابة وفق المنهجية الموضوعية، وهذا ما نلحظه في الدراسات العلمية والفكرية المنشورة في المجلة.

٢- الاعتدال

ونقصد به الاعتدال في الطرح، ومناقشة الأفكار بهدوء، والنقد الموضوعي، وتجنُّب الألفاظ الحادة، ولغة القطع والجزم، والابتعاد عن التشنُّج في معالجة ونقد الأفكار.

وهذا ما نلاحظه بوضوح في مجلة الكلمة، حيث نجد أن الاعتدال هو من السمات البارزة فيها، بعيداً عن اللغة التصادمية، أو العبارات الجارحة، أو تسقيط الأشخاص، فالتركيز على مناقشة الأفكار باعتدال واتزان هو المنهج المتبع في سياسة تحرير المجلة كما يلمسها أي متابع لها.

٣- الانفتاح

البحث عن الأفكار الجيدة لا يتوقَّف عند جماعة خاصة، أو مذهب خاص، أو تيار خاص، بل تجده عند كل العقلاء والحكماء فـ«الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق»[1] كما ورد عن الإمام علي عليه السلام.

وسمة الانفتاح بارزة في منهج مجلة الكلمة، حيث نجد أنها تنشر لكُتَّاب من مختلف المذاهب الإسلامية، ومن مشارب وتوجهات مختلفة، ومن بلدان عديدة، ولا ينحصر كُتّابها في توجُّه معين، أو مذهب واحد، أو تيار خاص، بل نشرت للجميع، وهذا يؤكد انفتاحها الفكري على الجميع فالفكر لا حدود له، وهو سر نجاحها واستمرارها وانتشارها في معظم البلدان الإسلامية.

---

(١) نهج البلاغة، ج٤، ص ٤٨١، رقم ٨٠.

٤ – التجديد

في ظل عالم تتزاحم فيه المنظومات والأنساق الفكرية والثقافية المتباينة، وتتدافع فيه الأفكار المتغايرة، ومع ملاحظة أن الأفكار لم يعد بالإمكان محاصرتها بعد التطوُّر الهائل في نقل وتبادل المعلومات والمعارف والأفكار... نحتاج إلى من يُغربل هذه الأفكار، ويُجدِّد فيها بما يتلاءم مع القيم الدينية والأخلاقية. ويلمس كل متابع للساحة الفكرية الحاجة إلى التجديد والتطوير، وصياغة خطاب فكري وثقافي قادر على مواكبة لغة العصر، وإنتاج المزيد من الأفكار الجديدة القادرة على مواكبة مستحدثات العصر، والإجابة عن إشكالياته وتساؤلاته وشكوكه.

ومجلة الكلمة ساهمت -إلى حدٍّ ما- في هذا السياق، واهتمت بدرجة كبيرة بهذا الأمر؛ وإن كان التجديد مسألة تحتاج للمزيد من العطاء المتواصل، والتأمُّل العقلي الناقد، والقدرة على إنتاج أفكار جديدة.

□ المحور الثاني – اهتمامات مجلة الكلمة

المتابع لمجلة الكلمة يُلاحظ تركيزها على مواضيع مهمة تكشف اهتماماتها الفكرية التي أخذت مساحة واسعة على صفحاتها، والتي أبرزها ما يلي:

١ – تناول القضايا الكبرى للمسلمين

اهتمت مجلة الكلمة بتناول القضايا الكبرى للمسلمين، ولم تنزل إلى القضايا الصغرى أو المسائل الخلافية الحادَّة، بل ركَّزت على ما يُشغل العقل المسلم في كل مكان، وتناولت قضايا المسلمين الفكرية والثقافية ذات الأهمية الكبرى كمسألة الحضارة الإسلامية، والفكر الإسلامي في ظل التحدِّيات الفكرية الكبرى، وثنائية التراث والحداثة، والاجتهاد والتجديد، والتغيير والجمود، وحقوق الإنسان، والمواطنة... وغيرها من المواضيع التي تشغل بال المسلمين في كل مكان.

٢ – التعريف بالأعلام والمفكرين

التعريف بالأعلام والمفكرين من مختلف المذاهب الإسلامية، ومن مدارس فكرية مُتعدِّدة، من أهم المواضيع التي لاقت اهتماماً لافتاً في مجلة الكلمة، فقلَّما يخلو أي عدد من أعدادها عن التعريف بشخصية بارزة من الأعلام المتميزين.

فقد تناولت المجلة شخصيات وأفكار كوكبة من الأعلام، منهم: السيد محمد باقر الصدر، الإمام شرف الدين، الإمام موسى الصدر، الإمام الشيرازي، الشيخ محمد مهدي

شمس الدين، محمد إقبال، الشيخ محمد عبده، الشيخ محمد جواد مغنية، مالك بن نبي، مرتضى مطهري.. وغيرهم من الأعلام والمفكرين الذين تركوا بصمات واضحة في الفكر والثقافة.

٣- الوحدة الإسلامية

من المواضيع التي اهتمت المجلة بها مسألة الوحدة الإسلامية والتقريب بين أتباع المذاهب الإسلامية المختلفة، باعتبار أن الوحدة هي السبيل نحو عزة وقوة المسلمين، وأن الفرقة تُؤدِّي إلى الضعف والتخلُّف، ولذلك أمرنا الله تعالى بالاعتصام بحبله، ونهانا عن التفرُّق والتشتُّت، يقول تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِّ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[٢].

والوحدة الإسلامية لا تعني إلغاء الخصوصيات الدينية والمذهبية والفكرية، وإنما تعني التوحُّد في إطار التنوُّع، والحفاظ على التنوُّع في دائرة التوحُّد والوحدة.

ونقرأ في مجلة الكلمة العديد من المواضيع التي اهتمت بموضوع الوحدة الإسلامية، فعلى سبيل المثال نجد في العدد (٥٢) ملفًّا كاملاً بعنوان: (حوار المذاهب الإسلامية في المملكة العربية السعودية)، وقد ضم مجموعة من العناوين المهمة في هذا السياق. ونقرأ في العدد (٤٠) ملفًّا عن (الأنا والآخر والصورة النمطية) شمل مجموعة من المواضيع التي تدخل في سباق فهم الآخر المخالف.

٤- مناقشة الفكر الغربي

بين الفينة والأخرى يطرح بعض المفكرين الغربيين نظريات فكرية، أو أفكار مثيرة للاهتمام والجدل، وكان لمجلة الكلمة رصد لتلك النظريات والأفكار التي يُقدِّمها مفكرون غربيون، ويكون من الأهمية مناقشتها ونقدها؛ حتى لا تؤثر سلباً في العقول والأفكار.

وعلى سبيل المثال نُشير إلى مناقشة المجلة لبعض تلك النظريات الفكرية، فنقرأ في العدد (٤٧) ملفاً بعنوان: (الأيديولوجيا.. الإشكال المعرفي والوظيفة الاجتماعية) تناول فيه كاتبوه مجموعة من النظريات عند بعض مفكري الغرب فيما يخص الأيديولوجيا، وإن كان يغلب عليه العرض دون النقد وهو ما نحتاجه في مثل تناول هذا الموضوع الهام. كما نجد في العدد نفسه حواراً مع البروفيسور (فرنسيس فوكوياما) صاحب نظرية نهاية التاريخ.

ونقرأ في العدد (٤٤) مراجعة لنظرية (هينتغتون) التي تسمى بـ(صراع الثقافات) أو صراع الحضارات.. وفي العدد (٥٠) نقرأ عن المستشرق البريطاني (هاملتون جيب)

---

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

ومناقشة ما قدمه في ميدان الأدب والدين والتاريخ.

وهكذا نجد أن مجلة الكلمة أولت عناية بالنظريات الغربية في مجال الفكر والثقافة، وعرضها ونقدها ومناقشتها، وإخضاعها للتقويم العلمي الهادئ.

٥- تغطية الأنشطة الفكرية والثقافية

قامت مجلة الكلمة وعلى مدى سنوات عمرها بتغطية الأنشطة والناشط الفكرية والثقافية من ندوات ومؤتمرات ومحاضرات فكرية وثقافية ضمن عنوان: (متابعات وتقارير). كما تقوم المجلة بإيراد وتعريف بالإصدارات الحديثة المهمة التي لها بُعد ثقافي وفكري ضمن عنوان: (إصدارات حديثة)... وهو الأمر الذي يجعل القارئ على تواصل مع الحركة الثقافية في مختلف بلدان العالم.

□ وخلاصة القول

إن المجلة استطاعت أن تشقَّ طريقها إلى مختلف بلدان العالم، وأن تصل إلى النخبة الفكرية أينما كانت، وأن تُساهم في صناعة الفكر والثقافة. وأظن أن هذه المجلة الفكرية المحكمة بحاجة -بعد أن بلغت سن العشرين- إلى المراجعة والتقويم العلمي بهدف التجدُّد والتطوُّر كي تستطيع مواصلة طريقها بثبات وقوة في عالم أصبح فيه صناعة المعرفة يخضع لمنافسة قوية، لكن يبقى الاستمرار والبقاء للفكر الحي والمتجدِّد، والقادر على مواكبة مستجدات الزمان ومتغيرات المكان، مع الاعتماد على لغة العلم، ومنطق الدليل والبرهان.

ويكفي مجلة الكلمة فخراً استمرارها لعشرين عاماً رغم قلة إمكاناتها، واستقلالها الاقتصادي، لكن قوة ما يطرح فيها من أفكار، وهمَّة وإرادة المشرفين عليها، ساهم في بلوغها لعقدين من الزمن لم تنقطع رغم حوادث الزمان، وطوارق الحدثان، وعلى أمل أن تحتفل بمرور مئة عام على صدورها، وأن تتحوَّل إلى مؤسسة مكتملة البنيان بما يضمن استمرارها وبقاءها.

وقفة عند «الكلمة»

الدكتور محمد علي آذرشب*

من الصعب جدًّا كتابة أسطر محدودة للحديث عن هدف كبير، ومشروع ضخم كالذي نراه في «الكلمة». لست مبالغًا حين أتحدَّث عن هذه المجلة بهذه اللغة، فهذا ما أشعره من أعماقي، خاصَّة حين أرى هذه الشمعة تضيء وسط مجلات تدّعي الأكاديمية والتحكيم والعلمية، وما هي غالبًا إلَّا لتسويق بضاعة يستطيع صاحبها أن يحصل على ارتقاء أو ترفيع أو وسام في جامعته أو مركز أبحاثه.

قلتُ غالبًا ولم أعمّم لأنني أعرف أن للكلمة أخوات تسعى على الطريق الذي تسعى عليه الكلمة وتتجَّه نحو الهدف ذاته. أُلخص مشروع الكلمة فيما أراه بمنظومة أهداف تجتمع كلها في تحقيق بلورة خطاب إسلامي، من شأنه أن يُوجّه أفكار الأمة نحو غد أفضل، هذه المنظومة هي:

أولا: التعارف

وهو هدف إسلامي كبير، أكدت عليه الآية الكريمة باعتباره هدف التعددية «الجنسية» و«الإثنية» للبشرية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ وهو تعبير يستحق

* أستاذ الأدب العربي في جامعة طهران، ورئيس تحرير مجلة ثقافتنا.
البريد الإلكتروني: dr.azarshab@gmail.com

الوقوف عنده طويلاً، إذ لا يخاطب المسلمين فحسب، بل «الناس» كلهم.

﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى﴾ وهذه هي التعددية في الجنس البشري ذكر وأنثى.

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ وهذه هي التعددية الإثنية.

﴿لِتَعَارَفُوا﴾ وهو تعبير على غاية من الأهمية في الفهم الحضاري، والتعارف من باب التفاعل، ويفيد التبادل، والتبادل هنا ينصبُّ على المعرفة. إذن التعددية الجنسية والإثنية هدفها «التبادل المعرفي»، والتبادل المعرفي وقفت عنده «الكلمة» طويلاً فيما قدَّمته من زاد فكري.

ثانيا: الاستماع

من أهم عناصر البناء الحضاري، والتأكيد عليه في القرآن كثير، والاستماع يعني الانفتاح على الآخر بل الآخرين، مع امتلاك القدرة على التمييز واختيار الأفضل.

قد لا يبدو هذا العنصر مهمًّا باديَ الرأي، لكننا لو ألقينا نظرة على واقع تخلفنا لوجدناه يعود أكثر ما يعود إلى غياب «الاستماع»، نحن نتكلم ونتكلم، ولا نسمع غالبًا.

حتى «الحوار» الذي نشاهده في فضائياتنا ليس فيه استماع، بل هو كلام، أحدهم يتكلم بلسانه، والآخر يتكلم بدماغه كي يردّ ويُفحم. الطرفان غارقان غالبًا في ذاتية لا يخرجان منها، غارقان في «طاغوت» الذاتية، وهي طاغوت لا يبلغه طاغوت آخر. ولا يمكن أن يتحقَّق الاستماع إلَّا أن تحصل نقلة حضارية من التقوقع في الذات إلى الخروج من شرنقة الذات والاتِّجاه نحو الكمال، وأعظمه الكمال المطلق (الله سبحانه).

انظر إلى الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ هذه الخطوة الحضارية الأولى.

﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾ وهي الخطوة الرحبة نحو الكمال المطلق.

﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ هؤلاء يبشرهم ربّ العالمين بقدرة الاستماع:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ...﴾.

و«الكلمة» حاولت كثيرًا أن تدفع نحو «الاستماع» استماع الآراء المختلفة، ورفع قدرة تمييز القارئ، كي يختار الأفضل والأجمل.

ثالثا: العزّة

أصل أصول الدين، العزّة هي الحياة، والذل هو الموت الأكبر، لفظة الحياة تختزل كل

المشروع الإسلامي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

بالحياة يتحرَّك الإنسان ويتكامل ويبني حضارة، وإذا ذلّ تعطَّلت قوى التطوير والإبداع والإنتاج كلها، من هنا كان شعار إمام الإحيائيين: «هيهات منا الذلّة».

الحديث عن دور العزّة في الحركة الحضارية قديم في الفكر البشري، أفلاطون تبنّى فكرة «الثيموس» باعتباره وراء حركة التاريخ، وتبنّى ذلك هيغل، ومن المعاصرين من أحيا هذه الفكرة ومنهم فوكوياما في «نهاية التاريخ»، والثيموس هو الرغبة في الاعتراف، وتفاصيل الفكرة تبين أنها «العزّة».

و«الكلمة» تجعل الإنسان المسلم يشعر بالعزّة حين يقرأ خطابًا إسلاميًّا أصيلاً ومعاصرًا، خطابًا يُجابه الهزيمة النفسية لدى المسلم المعاصر، ويُقدِّم الإسلام بأسلوب يُوحي بتعالي المشروع الإسلامي على المشاريع الأرضية، وتعالي الفكر الإسلامي على الفكر الغربي. وهذه العزّة تُحيي النفوس المهزوزة، وتُحرّك الهمم الفاترة، وإذا كان «الفتور» هو سبب تخلُّفنا كما يقول الكواكبي، فالكلمة تقاوم هذا الفتور بحركة نحو العزّة، ونحو العزيز المطلق سبحانه.

وبعدُ: فتعارف الحضارات الذي يتميز به مشروع رئيس تحرير «الكلمة» وزملائه، وأُمنية التقريب والوحدة التي يعيشونها، والمستقبل الحضاري الذي يتطلَّعون إليه، قد انعكست في أهداف المجلة وتطلعاتها.

دامت المجلة وكُتَّابها للعمل على إبقاء جذوة النار في الناي الذي تحدَّث عنه جلال الدين الرومي، وإبقاء العشق الذي تحدّث عنه العرفاء الإحيائيون في مختلف العصور.

خطاب الحداثة والتجديد في الكلمة

الدكتور عمارة الناصر*

يتجلّى حضور كل ثقافةٍ في الخطاب المعرفي الحامل لها، وتبرز كثافة ذاك الحضور في خاصية «التدوين»، إذ إن التدوين، خارج السجال البراغماتي فيه، هو تسجيل للحضور، فألّا نغيب يعني أن نكتبَ، والكتابة هنا تعني لوغوس الثقافة ضمن مدارك العقلانية ومدارج التاريخ. فإن كان التدوين مدفوعاً بالعقل ومسكوناً بهواجس التاريخ ومقتضيات الحضارة فهو عتبة من عتبات التطلّع إلى المستقبل الذي ليس إلّا حاضر الكتابة نفسها، وما التطلّعُ إلّا انقذافٌ للكتابة أمام نفسها في مشروعٍ لإسكان الزمن في الوجود.

لا نكاد نعرف الزمن الذي نعيشه، ولا الوجود الذي نثوي إليه، إلّا بتسجيل اللحظة العقلانية التي نستشعرها عندما نريد أن نجدّد علاقتنا بكينونتنا وأن نُحدث في أمرنا ما يُوجب الدخول في الصيرورة التاريخية، ولا يكون ذلك، والتاريخُ يتسارع، بالانغماس في الفعل مباشرة بل بالنظر فيما قبل الفعل أي بالنظر في الكوْن الحامل للفعل والعالم المؤسِّس للفاعلية، وفي اللغة بما هي حالٌ للكينونة ومقذافٌ للأفعال، أي بأن نبدأ بالإصغاء إلى قول العقل فينا

* أستاذ الفلسفة المعاصرة، قسم الفلسفة، جامعة مستغانم، الجزائر. البريد الإلكتوروني: amara_naceur@yahoo.fr

والانتباه إلى صوت الزمن في كينونتنا، فلقد كانت أكبر أخطاء حضارتنا العربية الإسلامية في إفلات اللحظات الفاعلة في تاريخنا وفي تملّص الحاضر من بين أيدينا، وفي الصَّمَم الذي أصاب عقولنا، فلم نعد نسمع شيئاً في داخلنا، ومن لا يَسمع لا يَكتب، ومَنْ لا يكتب لا يَعقل.

إنّ ما لا نُسجِّله يضيع بين اللحظات ويتسرَّب من التاريخ، وليس التسجيل هنا تأريخاً (Historiographie) أي «كتابة التاريخ» بل هو «كتابة للتاريخ» أي تسجيل اللحظة العقلانية المؤثرة والفاعلة في تحرير التفكير، وتنوير المعتّم والمظلم من قِوانا الساكنة في الذات، والمنسيّة تحت تسارع مخادع للحداثة التقنية وتصورٍ مزيّف عن بنية التاريخ ومساراته، تسارعٌ لا يدعنا نقف لنكتبَ ونكتب لنفكر ونفكر لنحيا، الحياة كما نكتبها ونتكلمها. فيتجلى الماضي غير بعيد عنّا بعكس الشكل الذي كنّا نتوهَّمه، ويُبرز نور الحاضر في المكان الذي كنّا نظنّه معتّماً إلى الأبد ونستبق المستقبل الذي كنّا نعتقد أنه قدرٌ قادم، فإذا هو قدرٌ حاضر ولن يكون إلّا ما نجعله حالنا الذي نكون عليه.

إن الكتابة قبضٌ وإمساكٌ لِما يُفلت ويتملَّص في الزمن، ومن ثمّة كانت كُلّيتها من كُلّية العقل، أي بوصفها لوغوساً، بل إن الكتابة ملازمة للخَلق، إذ هي سابقة في الكينونة، ومن ثمَّة كان فعل الأمر «إقرأ» (في سورة العلق) تحصيلاً لفعل سابق في الزمن على القراءة وأعلى شأناً منه حتى قبل أن يُعرف مضمون القراءة، هو الفعل «اُكتُب»[1]، أي أنَّ تجلّيّ المكتوب هو تجلٍّ للزمن في حضور جديد.

وتحت كُليّة الكتابة هذه أمكننا الحديث عن مجلة «الكلمة» (على مدار عقدين من الزمن، وضمن خطها الحضاري والمعرفي) كلحظة عربية إسلامية لتجلّي وجهٍ من وجوه العقلانية في الخطابات التي تتناول موضوع الحداثة والتجديد كرؤية لمشروع معرفي وحضاري، هو في صلب هواجس النخب الثقافية والأكاديمية بما أنه مؤسَّسٌ على علاقة عميقة بين وجودنا والزمن الذي نعيشه، بين الذات وصورتها لذاتها والذات وصورتها في الزمن.

فهل دَوَّنَتْ «مجلة الكلمة» حضوراً حداثيًّا للأمة العربية الإسلامية؟ هل كَتبت زمناً جديداً للفكر العربي والإسلامي المعاصر؟ وكيف تجلّى خطاب الحداثة والتجديد فيها؟

(١) قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّ أوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلمَ قَالَ له: اكتُبْ، قال: مَا أكْتُبْ؟ قَالَ: اكتُبْ القَدَرَ، مَا كان، وما هو كائنٌ إلى الأبد». رواه الترمذي، (صحيح الجامع: ٢٠١٧).

□ منظورات الحداثة والتجديد في نصوص مجلة الكلمة

لقد قدّم رضا دلاوري من إيران توصيفاً دقيقاً لمفاهيم الحداثة وما بعد الحداثة، والتي يمكن أن نتَّخذها قاعدة لتحديد الأطر النظرية والمفاهيمية لتوصيف هذا الموضوع ضمن السياق العام الذي تندرج ضمنه المجلة، وقد قال دلاوري: «حظي التحديث بانتشار واسع في أوروبا عقيب عصر التنوير (Enlightement)، وفي تلك الحقبة نفسها، أظهر الإنسان الغربي اعتماداً أكبر على عقله، وقد اتخذ هذا الاعتماد على العقل في مجمله طابع العقلانية الشكلية (Formalistnationality).

لعلَّه يُمكن -وبصورة إجمالية- تعداد الخصائص الأيديولوجية الرئيسة للحداثة، التي تُمثِّل بدورها خصائص التنوير على الشكل التالي:

- الاتِّكاء على قدرات العلم والعقل الإنساني بهدف معالجة الأمراض الاجتماعية.

- التأكيد على مفاهيم من قبيل التقدم (Progress)، والطبيعة (nature)، والتجارب المباشرة (Direct experience)...

- أصالة الإنسان، أي أنسنة المجتمع، وكذلك أنسنة الطبيعة (Antropomorphism).

- الاتِّكاء بشكل أساسي على المنهج التجريبي والحسي قبال المنهج القياسي والفلسفي.

- الوضعية بوصفها البنية المنهجية للحداثة»[٢].

وهي الخصائص التي تقودنا إلى وضع تصوُّر معرفي عن الشروط الحداثية في المجتمع الغربي التي يُمكن أن نضعها في محور مقارنة مع الإمكانات والخصوصيات الحداثية في العالم العربي الإسلامي.

غير أن بناء حداثة عربية إسلامية على قاعدة هذه الخصائص ينطوي على مخاطر تمسّ بشكل وهوية الحضارة والأبعاد الحقيقية للإنسان العربي، التي يتجلَّى من خلالها وضعه الكوني، «بحيث يمكن أن نميّز بين نمطين من دعوات التجديد:

- نمط كان يهدف في مشروعه إلى نقض أطروحة الدين باسم الدين، والطعن في الفكر الإسلامي من خلال دفاع أصحابه المستميت عن فكرة فصل الدين عن السياسة، وإقصاء الدين عن الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية والتربوية.. إلخ.

- وهناك نمط آخر حمل لواءه علماء الإسلام كان يعمل على إحياء دور الدين في

(٢) رضا دلاوري، الحداثة وما بعد الحداثة.. التعريف، الميزات، الخصائص، ترجمة: حيدر حب الله، مجلة الكلمة، العدد (٤٤) - السنة الحادية عشرة - صيف ٢٠٠٤م/ ١٤٢٥هـ.

السياسة واستيعابه لمستجداتها المتنوعة، وصياغة فهم معاصر وسليم لقضايا العقيدة والشريعة، حتى يُتاح للدين أن يمتدَّ لسائر مناشط الحياة، ويعمَّ الإسلام في مرافق المجتمع. كما عمل هذا الصنف على تحقيق أسلمة المعارف والعلوم والمؤسسات الاجتماعية وغيرها.

على أن هذا النمط هو التجديد المشروع؛ لأنه ينبثق من تراث الأمة وعقيدتها، ونسقها الحضاري وتاريخها.. ويعمل على تكثيف عناصر وأدوات محلية ذاتية لحركته التجديدية بحيث تستمد روحها من الماضي.

ولا تعدم تلك الأدوات الإفادة من مُنجزات العصر وأدواته، بغية تطوير الواقع الإسلامي المعاصر اعتماداً على الوحي باعتباره إطاراً مرجعيًّا وضابطاً منهجيًّا»[٣]، ومن ثمّة نقرأ التجديد الذي تفرزه حداثة عربية إسلامية ضمن الطابع الحضاري الذي تتَّخذه الثقافة الأصيلة فيها، أي إن التجديد الحداثي لا يعني قلباً للقيم، إذ القيم العربية الإسلامية هي قيّم حداثية في الأصل، بل يعني إعادة تجسيد تلك القيم ضمن حدود اجتماعية وثقافية وسياسية مختلفة، وإعادة التجسيد تلك هي مهمة في غاية التعقيد؛ لأنها تتطلَّب جهداً عقلانيًّا غير تقليدي، وغير التقليدي هنا هو صناعة بشرية خالصة لا علاقة لها بالأسس الدينية والمبادئ الأخلاقية من حيث الشكل والطريقة.

فالتجديد يعني إيجاد طريقة مختلفة لظهور الأفكار نفسها، دون «الميل إلى خلق مناخ عام يتَّخذ مواقف معادية ومناوئة للإنجازات المعرفية التي لم يجدوا لها تأصيلاً في التراث الإسلامي، بما ساهم في خلق غربة نفسية عن العالم الحديث رغم اختلاطهم به وتماهيهم مع أكثر إنتاجاته وإنجازاته. فقد أصبح المسلم المعاصر يسكن في العصر الحديث والحضارة الجديدة ولا يعيشها، بل إن متابعة موضوعية لإنتاج العديد من المفكرين في العالم الإسلامي تُظهر لنا مدى التضارب الفكري عند الشخص الواحد حيث تتنازعه رغبتان: إحداهما تدعوه إلى التجديد الفكري وصعود موجاته بكل قوة، وأخرى تضغط عليه للعودة إلى الفكر التقليدي والتزام تحفظاته بكل حزم»[٤].

ولكن هذا لا يعني أن نتصوَّر أن الحداثة مسألة معطاة بالضرورة في التاريخ، أي إنه ليس كل أمّة تلوَّنت بلون الحداثة فهي أمة حداثية، إذ «إن الحداثة نفسها قد تُصبح عائقاً ضد الحداثة، متى ما تحوَّلت الحداثة إلى أيديولوجيا جوفاء كاذبة وإلى خطاب سياسوي

---

(٣) الحسن حمدوشي، التجديد الفكري: قراءة في المفهوم، مجلة الكلمة، العدد (٥٠) السنة الثالثة عشرة، شتاء ٢٠٠٦م/ ١٤٢٧هـ

(٤) أحمد شهاب، تحديث أبنية الفكر الإسلامي، مجلة الكلمة، العدد (٥١) السنة الثالثة عشرة، ربيع ٢٠٠٦م/ ١٤٢٧هـ.

مغرض يستهدف الاستئصال والاستئثار، ما يساعد على وضع عالمنا أمام خطر حروب أهلية لا تُبقي ولا تذر»[٥].

ومن ثمَّة اهتم كُتّاب الحداثة والتجديد في مجلة الكلمة بتبيين الالتباس والغموض، أو سوء الفهم الذي يمكن أن يلحق بالتعامل مع خصوصيات الحداثة وتجلياتها في السياق العربي والإسلامي.

□ تجلّيات لغة الحداثة والتجديد لدى كُتَّاب الكلمة

إن القارئ المتابع لنصوص مجلة الكلمة يرى ذلك التحوّل النوعي في آداء الخطاب لغويًّا أي في بناء منظومة من المفاهيم النقدية والتحليلية التي تتناول موضوع الحداثة والتجديد، ممَّا يجعل هذه اللغة نفسها لغة حداثية وتجديدية، إذ إن تجلّي الحداثة في الخطاب يكون في بناء المفاهيم والتصوُّرات التي تتجاوز التصورات التراثية واللغة التراثية، وليس التراث بوصفه شيئاً يمكن تجاوزه بمجرَّد التلوّن بلون لغة حداثية وغريبة عن الأوساط التقليدية في الكتابة والتدوين، إذ «إن التراث لا يموت بالتقادم، بل قد يمتد فينا، في وعينا وفي مؤسساتنا وهياكلنا. وقد يتحوَّل إلى عائق للحداثة»[٦].

ومنه فإن أول تجاوز لعائق التراث هو تجاوز لغته، ليس المقصود باللغة التراثية تلك المضامين التي هي جزء من ذاتنا، شئنا أم أبينا، والتي تخص التصوُّرات الأساسية عن العالم والحياة والإنسان والدين...، بل اللغة المقصودة هي تلك الهياكل الاصطناعية من الألفاظ والتعابير التي تحجز الفكر في مناطق ضيقة من الوجود ولا تدعه ينطلق في وراء حدود الفهم الواحد والتصوُّر المُفرد أي في اتِّجاه الاجتهاد بما هو منحى من مناحي التجديد.

لقد جاءت خطابات الحداثة في مجلة الكلمة تُدقِّق في المفاهيم وتُنظِّر في التصوُّرات وتُحلِّل الإمكانات التي يُمكن أن يُوجد عليها خطاب حداثي من منظور قضية جوهرية، هي قضية بناء أمةٍ يمكنها أن تُجدِّد نفسها دون أن تفقد هويتها، وهو رهان صعب عمليًّا ولكنه يبدأ ضمن التصوُّرات التي تنشأ في خطابات بنَّاءة، فالتجديد يبدأ في اللغة بما هي الوسيط الأقوى بيننا وبين العالم الذي يُمكن أن نُغيّر من خلاله رؤانا الجامدة والملتبسة عن تراثنا، وعن ذاتنا وعن الآخر.

والأخذ بهذا الخطاب التجديدي على مستوى اللغة هو رهان بحدّ ذاته، عندما

---

(٥) إدريس هاني، صدمة الحداثة أو ميلاد إشكالية الحداثة في الخطاب العربي والإسلامي، مجلة الكلمة، العدد ٤٨، السنة الثانية عشرة، صيف ٢٠٠٥م / ١٤٢٦هـ.

(٦) المرجع نفسه.

يصطدم بالخطابات الموازية التي ترى في اللغة الحداثية مغامرة غير محسوبة العواقب؛ إذ فيها توظيف غير دقيق، دينيًّا وأخلاقيًّا. فـ«خطاب التجديد الذي ظهر -فيما يبدو- منذ بداية القرن الماضي أو خمسينياته على رأيين في ذلك، وحال هذا الخطاب كحال سائر المفردات التي ظهرت في القرنين الأخيرين هو الالتباس والغموض، ففريق أخذ بالمفهوم مفسّراً له بتفسيرات عدّة، فيما رفضه فريق آخر، حذراً منه متوجساً تسكنه إزاءه الهواجس والمخاوف، فرُبط بالنهضة والتقدّم هنا فيما رُبط بالبدعة والابتداع والاغتراب هناك، وبينما قبلته أغلب المعاهد والجامعات العلمية الجديدة بدعم من الدول العلمانية والقومية، ظلّت المؤسّسة الدينية -في الغالب- حذرةً منه أو رافضة له بشدّة»[٧].

وعليه نجد أن خطابات الحداثة والتجديد في مجلة الكلمة اضطلعت بمهمة أولية هي تبديد المخاوف والهواجس التي يُمكن أن تكون ملازمة لأي فهم أولي للغة جديدة ومختلفة حول قضايا الإنسان المسلم في الزمن المعاصر.

ويتجلَّى هذا التبديد في تحليل وتوصيف وتعريف وتدقيق في المفاهيم والمصطلحات التي تبني المنظومة الاصطلاحية للحداثة وتجلياتها، مثل: الحداثة، العقل، التراث، العلم...، مثلما فعل الأستاذ زكي الميلاد في مقاله حول «الإسلام والمدنية» من توضيح وتبيين للمفاهيم الإصلاحية والتمدنية المختلفة وتاريخ معناها[٨].

كما ساهمت الكثير من النصوص في مجلة الكلمة، ضمن خطها المعرفي العام، في رفع اللبس عن المفاهيم والتصورات التي لازمت حركة التحوُّل الفكري والمعرفي نحو الحداثة ومن بينها:

- رضا دلاوري، الحداثة وما بعد الحداثة.. التعريف، الميزات، الخصائص.
- حيدر حب اللَّـه، مشروعية تجديد الفكر الديني: هواجس ومسوّغات.
- إدريس هاني، صدمة الحداثة أو ميلاد إشكالية الحداثة في الخطاب العربي والإسلامي.
- الحسن حمدوشي، التجديد الفكري: قراءة في المفهوم.
- أحمد شهاب، تحديث أبنية الفكر الإسلامي.
- عبد العزيز بن عثمان التويجري، ما السبيل لنهوض الثقافة الإسلامية نحو العالمية.

---

(٧) حيدر حب اللَّـه، مشروعية تجديد الفكر الديني: هواجس ومسوّغات، مجلة الكلمة، العدد (٦٢) السنة السادسة عشرة، شتاء ٢٠٠٩م/ - ١٤٣٠هـ.

(٨) زكي الميلاد، الإسلام والمدنية: تقدم وتراجع فكرة المدنية في مرحلتي الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر، مجلة الكلمة، العدد (٦٢) السنة السادسة عشرة، شتاء ٢٠٠٩م/ ١٤٣٠هـ.

□ الآفاق الحداثية لمجلة الكلمة

إن حركة الكتابة في مجلة الكلمة على مدى عقدين من الزمن، كفيلة لوحدها بإبراز الجهد الحضاري الذي بذلته في إطار تجديد الخطابات (الإصلاحية، الثورية، السلفية...) لتأخذ طابعها المعرفي والمنهجي بما أن المعرفة والمنهج هما من أهم خصائص خطاب الحداثة، وعليه فإن التأسيس المعرفي لخطاب «الأمة» هو الطريق الصحيح إلى التأسيس الحقيقي للحضارة في صورتها الإبداعية، إذ إن الإبداع (المعرفي بالخصوص) ليس شكلاً من أشكال التغيير فقط، بل هو طريقة في الوجود، أي إن حضارة ما لا تبقى حيَّة وموجودة، بالمعنى الأنطولوجي، إلّا إذا أبدعت، أي أوجدت شكلاً مختلفاً لوجودها عبر منظورات الخطاب والتصوُّر.

وتُشير النصوص التي تحتويها مجلة الكلمة في هذا السياق إلى نمو آفاق حداثية وتجدُّد لغة معرفية، من خلال تعدُّد الاختصاصات المعرفية المشاركة، ومن خلال مستوى النضج المعرفي قياساً بالأعمار والظروف التي يشتغل فيها الباحث العربي المسلم، وهو ما يعني أن تجديد الخطاب وتحديث المعرفة واللغة انعكس على جيل كامل من الباحثين الذين يتَّخذون من مجلة الكلمة مجالاً لتفعيل قراءاتهم وتصوُّراتهم الحداثية، وهو ما يعني أن المجلة لم تنغلق على نصوص بعينها شكلاً أو مضموناً، أو على خط معرفي محدَّد، وإن اندرج الكل في مشروع حضاري نهضوي.

قد يعتقد البعض أن الخطاب الحداثي لا يُقدِّم شيئاً للأمة العربية والإسلامية بما أنه يبقى حبراً على ورق، وهذا رأي مجانب للصواب؛ لأن تراكم الخطابات والنصوص هو تراكم للتصوُّرات والنماذج والبراديغمات المعرفية في الشعور الجمعي للأمة، ممَّا يعني أن النصوص الحداثية ستُؤتي أكلها حينما يتشبَّع القارئ بالصور الجديدة عن العالم والمجتمع والدين والمعرفة، ممَّا يسمح له بتغيير أفكاره وقناعته وفقاً للتصوُّرات التي تكون قد ترسَّبت في ذهنه لحظة التحليل والمراجعة والنقد، بل إن ممارسة النقد نفسها هي حصيلة مهمة بالنسبة إلى خطاب يُريد تجديد نفسه وتجديد العالم الذي يفتحه.

لقد قدّمت مجلة الكلمة آفاقاً للبحث في موضوعات تتقاطع في بؤرة فاعلة للتفكير، إذ تقدِم المعطيات الضرورية للنقد، التجاوز، الحوار، القراءة والتأويل...، وهي الآليات الأساسية لتجديد الفكر، ومقاربة قضايا الأمة من منظور معرفي أكثر منه منظور أيديولوجي، أو رؤية أحادية، وهو المشروع الذي ينضج في كل عدد من الأعداد من خلال الموضوعية التي تتبناها إدارة المجلة وخطها المعرفي.

من التجديد إلى التجديد

الشيخ فيصل العوامي*

لهذه المجلة الرائدة إضافات لا تُغفَل على مستوى الفكر والثقافة، يمكن لكل متابع أن يقف عليها وعلى مدى انسجامها مع لحظتنا الفكرية، ولعل واحدة من أهمها العناية بمسألة التجديد في حقل الفكر الديني من حيث الفكرة والتطبيق.

يُلمَس ذلك من خلال تناولها لمحاور كثيرة في هذا المجال، أهمها:

١- الملاحظات النقدية للمنهجية المتداولة في البحوث الفقهية، كالدراسات التي أُسس في بعضها لنقلة من مخاطبة الفرد إلى مخاطبة الجماعة في عملية الاستنباط، وقُدِّم في بعضها الآخر مقترحات جديدة لوظائف الفقه.

٢- فرضيات التجديد في علم الكلام، سواء ما ارتبط منها بالتأسيس النظري للمفاهيم، أو العملي المتعلق بآثار التجديد في هذا المجال العلمي على العلاقات في الوسط الإسلامي.

٣- جدلية العلاقة بين الحداثة بصفتها مشروعاً فكريًّا بديلاً، وبين أنماط

* كاتب وباحث من السعودية.

صناعة الأفكار في الوسط الديني الكلاسيكي.

٤- استعراض الجدل الدائر حول بعض الجزئيات المتعلقة بالبعد التطبيقي للفكر الديني الجديد، كالديمقراطية بصفتها مادة جديدة تتطلَّب دراستها روحاً وأفقاً فكريًّا إسلاميًّا جديداً.

٥- تتبع الندوات والمؤتمرات الفكرية المختصة بمناقشة قضايا التجديد في الفكر الديني.

وقد تمخّض هذا الجهد المتواصل عن تغيّرات على مستوى التفكير عند المهتمين بالفكر والثقافة، كما شجّع على الإكثار من تناول هذا البعد الهام. وهكذا دائماً ينبغي أن يكون التنظير الذي يتم إبداعه في العمل الفكري، فدائماً ينبغي أن يكون ناقلاً من مرحلة إلى أخرى أكثر تطوراً.

ولذلك ينبغي مواصلة هذا الجهد وانتقاله إلى مراحل أخرى. أقصد أبعاداً أخرى في مشروع التجديد، ويمكن لي هنا أن أقدم رؤية مختصرة، لتشكيل ما ينبغي أن تكون عليه اهتمامات هذه المجلة الرائدة في اللحظة القادمة.

□ مقدمتان في البدء

الأولى: ماذا نعني بالتجديد وما هي أهدافه؟

التجديد: استبدال المناهج والأدوات العلمية القديمة المعمول بها في مقام التأصيل والاستنباط -بمعناه الواسع- بمناهج وأدوات علمية جديدة. ولا يعني ذلك بالضرورة تغيُّر الأفكار والاستنتاجات، إذ ربَّما تُثمر المنهجية الجديدة أفكاراً جديدة وربَّما تزيد القديم رسوخاً.

الهدف: كشف الحقائق. فإنما نعمد إلى استبدال الأداة القديمة لقصورها في عملية تحصيل الحقائق. وإنما تقترح أداة جديدة للتعتقاد بجدوائيتها على هذا الصعيد. وهو هدف العلم تماماً.

فافتراض عدم وجود الحقيقة، أو عدم القدرة على تحصيلها، يجعل مشروع التجديد مشروعاً ترفيًّا، (١) لحتمية وجود الحقيقة بحسب بناءات الذهن البشري، (٢) وعدم قدرة العلم على التحصيل يعني فشل الجهد العلمي وَلَغْوِيَّته، (٣) كما أن عدم قدرة العقل على

ذلك يعني أنه كائن ناقص لا فائدة منه.

وبالتالي فإن فرضية دريدا التي يتكئ عليها الدكتور أركون في كثير من بحوثه (لا وجود لما هو خارج النص)، أو ما ينادي به بعض المعاصرين -كالباحثة التونسية ألفة يوسف- من القول بضياع المعنى الإلهي إلى الأبد، توافقاً مع مقولة نيتشه (موت الإله) والمؤلف. لا يمكن أن يصمد أمام تيار من الإشكالات العلمية النقضية والحَلِّية.

الإطار العام لسؤال التجديد: (هل ثمة أدوات ومناهج جديدة لقراءة النص الديني؟).

هذا السؤال بقي راكداً في الوسط الحوزوي الشيعي، وأكثر ركوداً في الوسط العلمي السُّنِّي.

لأن المناهج المتداولة في الفقه السُّنِّي ما زالت حبيسة لما توصَّل إليه الآمدي والعضدي والغزالي، كما هو ملاحظ، بل كما يؤكده بعض العلماء المعاصرين على المستوى السُّنِّي.

والمنهج الأصولي في الحوزة الشيعية مع أنه أكثر تطوُّراً، إلَّا أنه توقف عند المدارس الخمس الحديثة (الأنصاري، الآخوند، النائيني، الأصفهاني، العراقي).

وما يطرح على أنه تجديد مع أنه محاولات رائدة ومقدمة ضرورية للتجديد على مستوى المنهج، إلَّا أنه لم يتجاوز التجديد في:

١- اللفظ وليس المنهج.

٢- تغطية موضوعات جديدة بالأداة القديمة نفسها.

نعم، هناك ادِّعاءات كالكلام حول أصول القانون الديني، ولكنها في ظني ليست من التجديد في شيء، إضافة لأنها غير مُقعَّدة. وهناك مشاريع -كأصول علم العقائد وأصول علم التفسير- لكنها لم تُنجز بعدُ بالمستوى الذي يجعل منها نقلة نوعية في البحث المنهجي.

سؤال التجديد الفعلي: بناء على ذلك يصبح سؤال التجديد في صيرورته أحد فرضيتين:

١- (هل في العلم الحديث والمعاصر ثمَّة مناهج مؤهلة لتحل محل المناهج القديمة؟). ما هي، وكيف تطبق؟

٢- (هل في حوزة الفقيه افتراضات جديدة على صعيد الأداة المنهجية؟). ما هي، وكيف تطبق؟

وعلى الفرضية الأولى يُمكن استبدال عنوان التجديد بـ(الحداثة) التي تعني في المقام: اعتماد مناهج العلوم الحديثة في قراءة النص الديني. بينما على الفرضية الثانية يبقى عنوان التجديد هو الأصح.

هناك إجابة عند بعض المفكرين المعاصرين بالإيجاب، لكن بالنسبة للفرضية الأولى فقط:

• نموذج أركون، كما هو واضح في كتابيه: (الفكر الأصولي واستحالة التأصيل)، (والقرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني).

• نموذج شحرور، خصوصاً في كتابه: (نحو أصول جديدة للفقه الاسلامي: فقه المرأة).

وإنما مثّلتُ بهذين النموذجين، لتوافر بعض الشروط فيهما، وذلك لأن المختص في أي حقل علمي إذا طُولب بالتجديد، فإنه لا يكتفي بالشعار، وإنما يُطالَب أولاً بمنهج جديد واضح، وثانياً بتجارب تطبيقية لذلك المنهج تُبيِّن الثغرات العلمية للمنهج القديم، والحلول المقترحة لها.

ولهذا يُؤخذ على الأول: عدم ملاحظته الدقيقة للمادة العلمية التي يقترح لها منهجاً مغايراً.

كما يُؤخذ على الثاني: بالإضافة لما ذكر في الأول، عدم وضوح الضوابط والقيود، وعدم شموليته في التواصل مع الثقافة الاسلامية.

ومع ذلك فإن هذين النموذجين يُقدِّمان بعض التساؤلات التي يتطلع لمثلها الباحث العلمي.

وربما يكون بعض ما جاء في البحث الاستشراقي العلمي وليس المؤامراتي، وكذلك بعض البحوث المصنَّفة على الاتِّجاه الحداثي، ذات فائدة بنسبةٍ هنا، لما تحمله من تساؤلات منهجية جريئة، يمكن أن تُشكّل مادة علمية بحثية هامَّة للفقيه. ولهذا اعتنت الحوزة بها من خلال ترجمتها للغة الفارسية في الدوريات العلمية –كمجلة نقد ونظر–. مع أن أغلب افتراضاتها محل للبحث والمناقشة.

بهذا فإن عدم تشخيص مفهوم التجديد في كتابات الكثير من دعاته كان وراء عدم إثارة أسئلته المهمة.

الثانية: بين تجديد الفكر وتجديد الخطاب

مع تصاعد الحركات والهموم الشبابية في أواسط القرن العشرين وما فوق، واجتياح الأفكار اليسارية والتغريبية لعقول الجيل الشاب، بدأ جيل من العلماء يتحسَّس أهمية مخاطبة الجيل الجديد بلغة تتناسب مع ثقافته وتُجيب عن تساؤلاته، وذلك كان يتطلَّب تغيير الخطاب الحوزوي القديم لأنه غير مفهوم وغير مستساغ لهذا الجيل، فتمَّ العمل في بعدين:

١- صياغة المادة القديمة بألفاظ جديدة وفي قوالب جديدة ليتسنَّى للجيل الجديد التعاطي معها بسهولة (كما هو ملاحظ في كتاب الفكر الاسلامي للسيد المدرسي، وفلسفتنا للسيد الصدر، والعدل الإلهي للمطهري).

٢- تغطية الكثير من التساؤلات الطارئة في المجال الاسلامي في حقل الاقتصاد والسياسة والاجتماع، وذلك من خلال قراءتها على ضوء المباني العلمية المتداولة في الوسط الحوزوي (من قبيل الفقه السياسة والاقتصاد للسيد الشيرازي، واقتصادنا للسيد الصدر).

لكن هذا العمل كان منحصراً في تجديد الخطاب ولم ينتقل إلى تجديد الفكر، أي ما أُنجز في هذا المجال وإن كان يستبطن همًّا لدى الباحث يرمي إلى التجديد في خصوص الفكر إلَّا أنه لم يتجاوز مجال الخطاب، ولعل السبب في ذلك أن تجديد الخطاب بذاته يتطلَّب مشقة خاصَّة كفيلة بإلهاء الباحث واستنزاف طاقته، وأما تجديد الفكر فيتطلَّب تفرُّغاً كاملاً للبحث والتحقيق، وانشغال أكثر الطامحين للتجديد بالهمِّ السياسي والاجتماعي حال دون تفرُّغهم للنشاط الفكري التحقيقي.

بناءً على ذلك فإن الكثير من الانتاجات الفكرية التي تُصنَّف اليوم في مجال التجديد الفكري إنما هي تجديد للخطاب وليس الفكر. ولهذا لا بد في المرحلة القادمة من الانتقال من الخطاب إلى الفكر.

إذن يتَّضح لنا من خلال هاتين المقدمتين الشروط الأولية لتجديد الفكر، أهمها التركيز على الفكر نفسه لا على كيفية عرضه، وتشخيص مفهوم التجديد الذي يعني التجديد في الأدوات المنهجية على وجه الخصوص.

□ آلية التجديد

حتى يكون العمل التجديدي جادًّا وليس صوريًّا، لا بد من اقتحام دوائر ثلاث،

ولو قلنا: إقحام؛ لما كان في ذلك مجازفة، أي ينبغي إشغال العقل الديني –الحوزوي بالذات بصفته المتخصص في إنتاج الفكر الديني– بالتفكير في أبعاد ثلاثة:

البعد الأول: السؤال الفكري الجديد

لقد استطاع علم الأصول –وهو الأداة المنهجية الحوزوية المسؤولة عن إنتاج الفكر– القفز من مرحلة إلى مرحلة أخرى أكثر تقدُّماً ببركة انفتاح الشيخ الأنصاري على تساؤلات عصره وإقحامها في البحث الأصولي الأكاديمي كمادة نقاشية قابلة للمناقشة العلمية.

لكن المشكلة اليوم تكمن في ترديد تلك التساؤلات القديمة والإغراق في مناقشتها، مع أنها اكتفت بحثاً وتحقيقاً. لهذا تجد الأصولي اليوم ينطلق في بحثه من تساؤلات قديمة ويُكرِّر كيفية مناقشتها من غير أن يقترب من التساؤلات الجديدة الأكثر إلحاحاً.

ويمكن لي أن أُقدِّم بعض الأمثلة الواقعية في المقام:

المثال الأول: من حجية الظواهر إلى النسبية وتعدُّد القراءات

أُثير تساؤل قديم من قبل الإسترآبادي ومَنْ جاء بعده حول إمكانية تناول الظهورات القرآنية والبناء عليها في الاستنباط، وهو ما عُرف بعد ذلك بحجية الظهور، وقد كان هذا التساؤل في زمنه يُعتبر إشكالية هامَّة، لهذا استجاب لها مثل الشيخ الانصاري وأقحمها في البحث الأصولي باعتبارها مادة علمية قابلة للمدارسة، ولهذا أُشبعت بحثاً إلى أن استقرت الرؤية فيها تقريباً. وما عاد في هذا الزمن من يتوقَّف طويلاً عند هذه الإشكالية، بل لا تُشكّل همَّا علميًّا.

أما الذي يُشكّل همًّا علميًّا في هذه اللحظة الفكرية، من الجهة نفسها، فليس حجية الظواهر وإنما حجية تعدُّد القراءات، وبالتالي النسبية المعرفية، وهو سؤال هامٌّ تنشغل به فعلاً الدوائر العلمية في العالم الاسلامي والغربي، ومحوره (هل يمكن اكتشاف الحقيقة من خلال النص أم لا؟)، والذي يُستند فيه إلى مثل فرضيات الهرمنوطيقا وغير ذلك.

بالتالي فسؤالنا اليوم ليس أن الظاهر من النص حجة أم غير حجة، وإنما هل كل الظهورات حجة أو أن كل الظهورات ليست حجة من رأس؛ باعتبار أنها ظلال لأفق القارئ للنص وطبيعة ذهنيته وقبليَّاته، لا أنها كاشفة عن المراد الجِدِّي للمتكلم، ما يعني استحالة معرفة الحقيقة، أي إن كل ما يُحرزه الفقيه أو المفكر إنما هو نسبي غير مطابق للواقع.

المثال الثاني: من العُرْف القديم إلى الزمكان

عند قراءة الفقيه للنص وخصوصاً عند تعدُّد الاحتمالات، كثيراً ما يلجأ للتمسُّك بالمتعارف في عصر الصدور، ومن خلاله يتبنَّى فهماً خاصًّا للنص، وآنئذٍ يأتي الكلام حول مفهوم العرف وشروط التعويل عليه.

كان هذا هو السؤال القديم، وهو يفترض سحب الحالة المتعارفة من زمان إلى آخر ومن مكان إلى آخر، لكن السؤال اليوم حول مدخلية الزمان والمكان في التشريع، والعمدة فيه ما جاء به علم تاريخ الأديان الحديث من استحالة وجود فكرة فوق الزمان والمكان، ومعنى ذلك أن كل ما جاء به النص لا يمكن سحبه بنحو مطلق إلى جميع الأزمنة والأمكنة، وإنما لا بد من تأطيره بزمانه ومكانه.

المثال الثالث: مِنْ لا خصوصية الوارد إلى الأنثروبولوجيا.

من القواعد التي تكاد تبلغ مستوى البديهية العلمية ما يقال عند التمسُّك بعموم النص بأن المورد لا يُخصِّص الوارد، أو ما هو متعارف عليه في علم الأصول السُّنِّي من أن العبرة بعموم اللفظ لا خصوص السبب. فعلى هذه القاعدة اتَّكأ الفقيه في استنباطه للكثير من المعاني والأحكام من غير أن يتقيَّد بالمورد الذي صدر فيه النص.

ولا شك في أن لهذه القاعدة استثناءات، كما هو واضح لكل من له أُنس بالبحث الفقهي، بل جرى الاختلاف بين الفقهاء في بعض المسائل الفرعية من حيث إنها خاصة بموردها أم هي عامَّة.

كان هذا هو السؤال القديم الذي أسَّست له أدلة خاصَّة، أما السؤال اليوم فهو حول إمكانية التمسُّك بمثل هذه القاعدة مع ما افترضته بعض العلوم الحديثة، فالأنثروبولوجيا مثلاً افترضت مراعاة المتكلم للنفسية الاجتماعية للمخاطَبين، وبالتالي فكل ما يُنتجه من مقولات لا يتجاوز تلك النفسية، ما يعني أن ما تحمله تلك المقولات من أفكار وقيم إنما هو صالح لتلك النفسية لا غير، ولا يُمكن أن يتواءم مع نفسية اجتماعية أخرى، لأن كل نفسية اجتماعية لها مُتطلَّبات خاصَّة وطبيعة خاصَّة وميول خاصَّة، فالنفسية الاجتماعية للمجتمع المكي مُتطلَّباتها وطبيعتها تفترض تشريعات من نوع خاص وهي ما جاء بها النص فعلاً، ولا يُمكن أن تتطابق هذه النفسية مع النفسية الاجتماعية للإنسان الأمريكي أو المصري مثلاً الذي يعيش في القرن الواحد والعشرين، ولهذا فالأخيرة تتطلَّب تشريعات من نوع خاص، ومن غير المعقول أنثروبولوجيًّا تطبيق التشريعات المعالجة لإشكالية نفسية عند الإنسان المكي على إنسان القرن الواحد والعشرين.

المثال الرابع: بين القضية الحقيقية والمتغيرات

عادة ما يفصل الفقيه بين قضيتين في قراءته للنص وفي الفتوى أيضاً، القضية الحقيقية والقضية الخارجية، ويقال حينها بأن الأصل في الخطاب كونه على نحو القضية الحقيقية، ولهذا فهو قابل للدوام والاستمرار.

وإنما جرى التمسُّك بهذا الأصل لأدلة من نوع خاص كانت تُعالج إشكالية وسؤالاً مرحليًّا، أما سؤال المرحلة الراهنة فيتعلَّق بالثابت والمتغيِّر من ناحية الإمكانية والضوابط، بمعنى هل يمكن أن يكون في التشريع ما هو قابل للثبات كما هو متسالم عليه فقهيًّا، أم كله في حيِّز المتغيرات كما قال به بعض المفكرين المعاصرين، وبناء على القول باستيعاب النص للثابت والمتغيِّر فما هي الضوابط الفاصلة بين الاثنين.

هذه أسئلة أربعة ذكرتها للتمثيل لا أكثر، وإلَّا فالبحث المنهجي تتكاثر فيه الأسئلة الجديدة التي تجعل التكلُّم في السؤال القديم أشبه بالحالة الترفيّة. وبناء عليه فالتجديد على مستوى الفكر لا يكون جادًّا ما لم يُقدِّم مناقشات واضحة تطال الأسئلة الجديدة.

والنقص الموجود هنا خلو البحث الأصولي المعاصر من مواد علمية مُقعَّدة لهذه الأسئلة والموضوعات، بل لا يكاد الأصولي يمرُّ عليها من أساس مع أنها أسئلة العلم الحقيقية اليوم.

البعد الثاني: إنجازات البحث المنهجي الحديث

لو نُمعن النظر في بعض مواد الفرائد للشيخ الأنصاري، نجد فيها مناقشات لبعض الأفكار الجديدة -بالنسبة لعصره- التي أُثيرت في بعض العلوم كالفلسفة، من بينها مثلاً مسلك التأويل عند ظهور التعارض بين النقل والعقل، الذي تعرَّض له الشيخ الأنصاري في مبحث القطع، فهو استجابة لما طرحه بعض الفلاسفة المتأخرين كابن رشد في كتابه فصل المقال. ومثل هذه الاستجابة أكسبت البحث الأصولي روحاً جديدة انتقل بسببها من مرحلة إلى أخرى.

لكن تلك الأفكار أضحت قديمة وليست محلًّا للبحث اليوم إلَّا بشكل نسبي، وفي الغالب على نحو الإخبار بنمط المناقشات العلمية القديمة، أما المناقشات الجديدة فهي فيما أنتجه البحث المنهجي الحديث من مناهج وأدوات في العديد من العلوم، وهي تتطوَّر بشكل مستمر، ومع ذلك فالبحث الأصولي في غفلة عنها، وتجدُّده مرهون بإقحام هذا البحث الحديث، وإدخال استنتاجاته كمواد علمية في صلب علم الأصول، لمناقشتها

من جانب واستخلاص بعض موادها المتناسبة مع هذا العلم؛ وذلك لأن ما تُنتجه الثقافة الإنسانية متجاوز لحدود الانتماءات العقدية بالذات بالنسبة للبحث المنهجي، ويمكن أن تُصنَّف ضمن هذا السياق محاولة الشهيد الصدر في بحثه حول حساب الاحتمالات.

فحتى تحصل حركة تجديدية في مناهج البحث العلمي الحوزوي، يتحتَّم الانفتاح على ما أنتجه البحث الحديث والمعاصر من أدوات منهجية لا أقل في الحقول القريبة من مجال الاختصاص الحوزوي، ومن أهمها الألسنيات التي ما زالت منذ منتصف القرن العشرين وإلى الآن تشهد تطوُّراً ملحوظاً، وتمرُّ بمنعطفات نقدية هامَّة، من البنيوية إلى التفكيك والسيميائية، وكذلك علم التاريخ الحديث، والهرمنوطيقا، والإنسية أو الأنسنة، وما إلى ذلك.

وبالانفتاح على هذه المواد البحثية، سينشغل البحث الأصولي بموادَّ ومناهج جديدة، ومن خلال ذلك ستتولد وبشكل تلقائي نظريات أكثر تطوُّراً، وشيئاً فشيئاً يتجدَّد البحث المنهجي في الفكر الديني.

البعد الثالث: النقد العلمي الجاد

إن ما يُنتجه البحث الحوزوي من علوم ومناهج هو في متناول النقاد على المستوى الإنساني، وليس على المستوى المذهبي فقط، ولهذا فقد خضع الكثير من الإنتاج العلمي على المستوى الفقهي والأصولي لنقد قوي من قبل جهات علمية كثيرة.

وحركة التجديد الجادة لا بد أن تمرَّ من هنا، مهما كانت قساوة النقد، ولا أستثني في المقام جهة، بدءاً بالبحث الاستشراقي والحداثي بل والعلماني، والسبب في ذلك أن هذا النقد يحمل إلينا تساؤلات جرئية حول إنتاجنا، لأنه تفكير من خارج القبيلة كما يقولون، فابن القبيلة أقل جرأة على ذاته، بينما غيره لا تحدُّ حركته قيود وقوانين القبيلة، لهذا تجده يُنتج نقده في فضاء مفتوح. ونحن يهمنا نقده إذا كان موضوعه إنتاجنا العلمي.

فنحن علينا أن نأخذ ما يُنتجه هذا النقد من تساؤلات، ونجعلها مواد علمية في بحوثنا الأكاديمية، نُخضعها للبحث والمناقشة، وهذا من جانب يجعل المنهج المعمول به عندنا أكثر رسوخاً وقوة، ويضيف إلينا ربما نكاتاً أو أفكاراً وتصوُّرات وإن كانت من خارج الدائرة المعهودة، كما أنه يُضفي مسحة تجديدية على البحث المنهجي الحوزوي.

فهذه الأبعاد الثلاثة هي جزئية من بين جزئيات كثيرة ينبغي أخذها بعين الاعتبار لإحداث حركة تجديدية في البحث العلمي المتعلق بالفكر الديني. وما لم نتعامل بهذه

الكيفية ستبقى أطروحة التجديد مجرَّد شعار لا يُنتج جديداً، وستبقى المناهج راكدة وغير مولِّدة لفكر جديد.

أظن أن هذا ما ينبغي أن تكون عليه هذه المجلة المُوقَّرة في الجهد القادم، من خلال اهتمامها باستدعاء أقلام مُتخصصة حوزوية وحداثية قادرة على تناول مثل هذه الأسئلة الهامة، وعقد مؤتمرات فكرية لزيادة التفاكر في شأنها. هذا وإلى مزيد من النجاج والتفوّق.

عندما تكون الثقافة كلمة

الشيخ ليث عبد الحسين العتابي*

لقد شهدت الساحة الفكرية العربية تحوُّلات وتغيُّرات عديدة في تاريخها الحديث، و شهدت تأثرات واضحة وجلية بنظريات مختلفة منها ما كان موجوداً لكنه يتبدَّل و يتلوَّن، ومنها ما هو طارئ وجديد.

حتى جاء عصر الحداثة، وما بعدها، وما بعد بعدها، وما رافقه من تحوُّلات، وتغيُّرات، وتبدلات في البنية الفكرية العربية والإسلامية، رافق ذلك نزاع فكري، وتنظيري، وكتابوي كبير بين ثلاثة اتِّجاهات فكرية طفت على سطح المشهد الثقافي، والفكري العربي، الذي كان وفي أكثره يمثل الصدى الارتدادي لما يجري في الغرب. وهذه الاتجاهات الفكرية هي:

الأول: ما يريد أن يفرض قطيعة على التراث بأجمعه، تصل إلى حد المقاطعة التامة في أغلب جوانبه.

الثاني: ما يُريد أن يُؤسلم المعرفة، و كأنه لا بد للعلوم أن تشهد الشهادتين، وإلَّا فهي كافرة.

الثالث: ما يريد أن ينظر للأمور بتعقُّل من جانب، و بتوفيقية، و باعتراف

* باحث من العراق.

بالآخر من جانبٍ آخر.

فكان أن برز في وسط هذا (النزاع الفكري) كُتَّاب، وكتابات، وصحف، ومجلات، إذ لا يخفى على أحدٍ ما للمجلات من مكانة في الواقع الثقافي، وما لها من دور في تكوين النخب الثقافية، وتنشيط المناخ الثقافي، ورفده بشتى المعارف، والأفكار، والنظريات، وباقي الاتجاهات التي لا تتَّسع لها الكتب، فالكتاب وصناعة الكتاب بشكل عام أصبحت صعبة فكريًّا و ماديًّا، وليس بمقدور الأكثرية المثقفة أن تُترجم أعمالها إلى كتب بسبب العائق المادي، فكانت المجلات هي المُتنفَّس الوحيد لهم.

كما ولا يخفى ما لعبتة المجلات وبشكل عام من دور في النهضة العربية إبَّان مسيرتها، و خلال انطلاقتها الأولى.

وهنا لا بد أن نقف مع مجلة (الكلمة) بما احتوته صفحاتها من دراسات معاصرة فكرية، ودينية، وثقافية عامة، كُتبت، ونُشرت بكل حِرفية وإتقان.

فكان لمجلة (الكلمة) الدور البارز في مواكبة معطيات وإفرازات المشهد الثقافي العربي، وأطروحات (الحداثة) و (العولمة) و (ما بعد الحداثة) بكل ما رافق ذلك من مفاهيم ونظريات، وناذج فكرية، سواء كانت تنموية، أو تجديدية ممَّن تأثر بواقع النهضة العربية الذي انطلق في نهايات القرن السابع عشر الميلادي، ذلك العصر الذي كان له أبلغ الأثر في تفعيل عوامل النهوض في عالمنا العربي والإسلامي، لكن ومع بالغ الأسف أنه قد رافق ذلك بروز صراعات أيديولوجية، وعرقية، ومذهبية ما غيب سؤال النهضة في خضم أزمات تخلفية في أكثر من زمان و مكان، ممَّا ترك بصمته السوداء على الواقع العربي والإسلامي بشكلٍ عام.

لقد كان للمقالات التي تناولتها هذه المجلة في: (قضايا الثقافة، والحضارة، والقضايا النقدية، والوعي العربي، ومشروع المرأة في الواقع العربي والإسلامي، والدراسات التي تناولت أعلام الإصلاح ومفكري النهضة، وقضايا الإسلام والغرب، والمناهج، والنظريات، والمصطلحات، والمفاهيم).

كان لها الأثر الكبير في تحسُّن الواقع الثقافي العربي ولو بنسبةٍ ما.

ولقد جذبني إلى هذه المجلة ما جذبني قبل ذلك من إعجاب بكتابات بعض كُتَّاب هذه المجلة كـ(العلامة الفضلي، وإدريس هاني، و زكي الميلاد).

فكان إعجابي بكتابات (الشيخ العلامة عبد الهادي الفضلي) بكل ما احتوته من نظرة تجديدية على مستوى المناهج، والأساليب، ونبذ التقوقع، والسير مع الواقع، والانطلاق

نحو فضاء الثقافة الرحب.

وكذلك إعجابي بكتابات (الأستاذ و السيد المحترم إدريس هاني) بما احتوته كتاباته من نقد، وصراحة، وحزم، وواقعية، فقد تميَّزت بالعمق، والسعة، والنظرة الاستراتيجية ذات الخلفية التاريخية غير المنفكة عن التراث.

وكذلك كتابات (الأستاذ الفاضل زكي الميلاد) بما احتوته من نظرة توضيحية، وتصحيحية، وتوفيقية، بما لها من دفاع عن التراث الإسلامي.

لقد كان لكتابات من ذكرت، مضافاً إلى كتابات رواد التجديد، الأثر الكبير عليّ، وعلى إخوتي في مركز الفكر الإسلامي المعاصر، الذي تأسس في النجف الأشرف عام (٢٠١١ ميلادي) والذي أصدر الجزء الأول من (معجم مصطلحات الحداثة) و ذلك في صياغة، وبلورة، وشرح الكثير من المصطلحات التي عملنا عليها بدءاً بنظرية المعرفة، وانتهاءً بمفردة الإصلاح.

تُعدُّ المجلات هي المنابر الفعلية لاستجماع الرأي، وتحريك الاتجاهات، وتوليدها، ودفعها. كما وأن لكل مجلة حضورها، ولادتها، وجمهورها، وموضوعاتها.

إن الثقافة عبارة عن كلمات، وجمل، ومحاور، وكل محور له تجلياته الخاصة به. يترجم من الثقافة ما يكون كتاباً، وما يكون غير ذلك، فكيف يمكن أن يتجلى بالكتاب التنوُّع من جانب، و الاستقلالية، وعدم التعرُّض للنقد بسبب تعدُّد أذواق الكتابات بتعدُّد كاتبيها.

لا يمكن أن يتصوّر مثل هذا الكتاب إلَّا لو كان مجلة، و يمكن اختصار كل ذلك بكلمة، و باللزوم يمكن أن نختصر الثقافة في كلمة، حينها تصبح الكلمة (كلمة).

في البدء كانت «الكلمة»

من الصدفة إلى الترصد

عبد العالي العبدوني*

أستطيع أن أتذكَّر أول مرة اشتريت فيها مجلة «الكلمة» لأنها شكَّلت بالنسبة لي منعطفاً معرفيًّا جديداً، جعلتني أعود إلى عطاء لغة الضاد، كانت مشكلة من هم على شاكلتي يتعقبون المجلات والكتب الأجنبية الناطقة باللغة الفرنسية أو الإنجليزية لقيام قناعة شخصية بأن المعرفة الإنسانية الصلبة توجد هناك، من فرط ما أتخمتنا الخطابة والدلال النظري، وغياب المعنى لفائدة جمالية المبنى. أغلبية جيلي طلَّق لغة الضاد طلقة بائنة بينونة صغرى ولم يرَ في كتاباتها إلَّا رجع صدى للمعطيات الفكرية الغربية، فكان الأولى الذهاب إلى المنبع رأساً والاستغناء عن الواسطة.

كانت هذه قناعتي التي عشت عليها لسنوات ليست بالقصيرة، إلَّا أنه وفي إحدى الأيام التي أعتبرها مباركة وأنا أقتني مجموعة من المجلات الغربية في إحدى الأكشاك بمدينة الدار البيضاء أثار انتباهي «فتح معرفي» مجلة متوسطة الحجم تميل نحو الخضرة يعلوها اسم «الكلمة»، تعقبت عناوين المقالات المدرجة بها، فلاحظت دراسة تُناقش سؤال التأريخ وأزمة المؤرخين تحمل عنوان «محنة الكتابة التأريخية العربية بين التأريخ والمؤرخ» للأستاذ إدريس

* باحث من المغرب.

هاني، كما أثار انتباهي تنوُّع العناوين العميقة واقعاً، لكن أيضاً نوعية المواضيع التي تناقش، فقرَّرت أن أضمها إلى قائمة مشترياتي على أن أقرأها لاحقاً، وعندما أقول لاحقاً يعني بعد أشهر، لكن حيوية المواضيع المُضمَّنة بها جعلتني ألتهمها في ليلة واحدة فور عودتي للبيت.

لأكتشف بأنني وقعت صريعاً لجمال الأفكار التي طُرحت وباحترافية، جعلتني أراجع معتقدي الأساسي بأن المجلات العربية لا يُمكن أن يخرج منها المرء بشيء، إلى معتقد أساسي بأن المجلات العربية ليس فقط يُمكن أن تناطح المجلات المعرفية العالمية، بل بإمكانها أن تتجاوزها بانضباط تنظيري أكبر.

فقرَّرت أن أضعها على رأس قائمة مشترياتي عند ورودها الأسواق المحلية، ليزداد تصوُّري ارتكازاً وقناعتي صلابةً.

تمكّنت مجلة «الكلمة» من إزاحة ستار أنطولوجي من الجهل بالمقدرة الفكرية العربية على بناء حضارة في العصر الرقمي الذي نعيشه، وتفتح آفاقاً نقدية متينة تجاه ما نتشربه كما الماء والهواء من أفكار وافدة من الشمال.

لذلك عندما أقول: كانت في البدء «الكلمة» فإنني أعني ما أقول، هي مناسبة وعي جديد تُولد في ذهني، ومفتاح معرفي تحوزته بعد طول فقدانه، فكان لها الأثر الأجلى على مساري البحثي والفكري.

ولتتحوَّل النظرة التصادفية مع هذه المجلة إلى ماراثون ترصدي لها، أتعقَّبها في أكشاك المدينة، أخاتلها.. أداعبها.. وأتمعَّن فيها برفق حتى تجود عليَّ بعطاياها، أرتشف منها حتى تتحوَّل الكلمات إلى مذاق نظري وبنية تكوينية في عقلي تُخالط المادة الرمادية، وتُعيد تلوينها مع كل عدد جديد.

قد يتبادر إلى الذهن أنني مبالغ، لكن لا يهمني ما يسكن أذهان البشر، بقدر ما يهمني صدق ما أبوح به.

مجلة «الكلمة» عندما اتَّصلت وتواصلت مع العقل الفعَّال جعلت من نفسها موجوداً متوحداً في عالم زخم الإصدارات وقلَّة العطاءات، لتضحي «نابتا» من النوابت القليلة في عالمنا العربي، تسعد وتجلب السعادة للعقول التوَّاقة للمبنى العقلاني والعمق الإبيستمولوجي، والمهجوسة بحركة المعرفة الإنسانية بعيداً عن الأسقف الأيديولوجية المتدنية عن فضاء الحقيقة.

التقائي بمجلة «الكلمة» كان لقاءً عرفانيًّا جمعني مع ثلة الباحثين الساهرين عليها، لأكتشف قامات ثقافية فتحت لي الطريق على أسماء جديدة، ومع كل عدد تتولَّد إنارة، مع

كل عدد جديد يتولَّد طريق.

إنه لحقيقة كانت «الكلمة» هي البداية، وكانت هي الدليل في دروب المعرفة، وكانت هي الصديق الذي يُلازمني كما الظل الذي يرقص مرحاً وتفاؤلاً أمام بدن أنهكه الهجران.

لذلك أقول لمجلة الكلمة وللفريق الساهر عليها: شكراً من القلب، بل شكراً من أعماق العقل، أنتم نوابت هذا العصر، ولو عاش الفيلسوف ابن باجة إلى هذا التأريخ لجعل من منبركم منبره، ولما تغيَّا غيركم، بوركتم وبُوركت الأنامل التي تخط حسن المسير لمن هم على شاكلتي.

مجلة الكلمة وروح التوّاصل الحضاري

الدكتور عبد الرزاق بلعقروز*

إنها العبارة الخالدة التي جاءت بها لغة القداسة إلى الإنسان، من أجل أن تكون «الكلمة» هي الرَّافعة والحافزة نحو أفق القداسة والمعنى، إن «الكلمة» لمن روح القدس، إنها تدخل قلب الإنسان فتُحوِّله إلى إنسان ذي مبدأ وذي ورسالة كما قال فيلسوف الحضارة الجزائري مالك بن نبي.

عرفنا مجلة «الكلمة» من خلال إشراقاتها الحضارية التي نُبصر فيها نوراً من فيلسوف الحضارة الجزائري مالك بن نبي، استأنسنا لها؛ لأن عناوين حركتها تمتح من معجم المرحوم، وتنخرط في إشكالاته وتُفكِّر معه.

إن مجلة «الكلمة» بروحها الفكرية، قد أسهمت في تكوين رؤية فكرية حضارية، تنبني على ضرورة ترسيخ العنصر الثقافي الحضاري، كأداة رافعة للإنسان المسلم إلى مستوى الحضارة، ومُدركة لأهمية البناء الفكري للإنسان، وتكوين منظومة من المعرفة لا تقطع مع الرؤية الكونية التَّوحيدية، وإنما تُؤسّس عليها رؤيتها؛ ومفاهيمها؛ حول الإنسان والأشياء، فـ«الكلمة» نور معرفي يفيض في أفق العالم الإسلامي، ويتغذّى على رحيق الجهود المعرفية والفكرية

*أستاذ فلسفة القيم، جامعة سطيف٢، سطيف – الجزائر.

لأبنائه الذين يمتلكون الرؤية السليمة، والمنهج القويم، والمعرفة الرّشيدة والقيم الرفيعة.

إن مجلة «الكلمة» قد فتحت أفق التواصل بين المغرب الإسلامي والمشرق أيضاً، إنها وإلى اليوم جسر معرفي تحكمه روابط الانتماء إلى الأمة، ووحدة الهم الحضاري، وقد وجد الكثير من أبناء المغرب بخاصة في الجزائر، وجدوا شعوراً استئناسيًّا في «الكلمة»، فاندفعوا ينشرون فيها حول قضايا النهضة والحضارة وهموم الفلسفة الإسلامية القديمة والراهنة.

ووجدت «الكلمة» إدارة وهيئة مشرفة عليها؛ وجدت في أقلام الجزائريين ركيزة وجهداً معرفيًّا يستأهل مقام النّشر والتّعريف به، وتوسيعه إلى العالم الإسلامي ككل، لقد توجّهت هذه الأقلام نحو مجلة «الكلمة»؛ لأنّها وجدت فيها روح قصدية المعرفة الخالصة؛ وهمَّ بناء فكر ومنهج هذه الأمة، وما عدا ذلك من اختلافات في المذهب أو الانتماء الجزئي، لم يكن ذا فضاء ضمن هذه المساحة من التعارف، وهكذا تحقق هذا التكامل بين إرادة معرفية ذات حماسة للمعرفة مثّلتها جهود الكُتّاب الجزائريين؛ وبين مجلّة جعلت من مقاصدها نشر هذا الوعي المنهجي والفكر الحضاري الذي يتوفر على مواصفات المعرفة العلمية القوية.

والكلام عن «الكلمة» كأفق للتواصل، يقودنا إلى الكلام عن رئيس التحرير زكي الميلاد، التي نشأت بينه وبين النخبة في الجزائر وشائج قوية من المحبة والود والاحترام المتبادلين، لقد وجدوا فيه واحداً من ذرية مالك بن نبي؛ بخاصة وأن زكي الميلاد قد أخرج كتاباً عن المرحوم؛ وهو من أجود الكتب التعريفية بفكر مالك بن نبي وبمشروعه، وليس التعريف فحسب، وإنّما التفكير معه واستئناف مشروعه.

إن زكي الميلاد لا يهدف إلى معرفة مالك بن نبي فقط، وإنّما التفكير معه أيضاً، وبالتالي فالصّلة كانت حضارية في جوهرها؛ وبعيدة عن أيّة نزعة تصنيفية تفاضلية بين المشرق والمغرب، وهكذا فالمجلة تحقق فعليًّا مشروع زكي الميلاد في التعارف بين الحضارات؛ الذي يجوز لنا تسميته بالحوار الدّاخلي بين الحضارات.

إن التواصل رهان مركزي من رهانات مجلة «الكلمة»، وهي ترحّب بما يتوفر على الشروط العلمية والمنهجية، ويدخل ضمن هذا الفضاء من الاهتمام، وشخصيًّا نشرت فيها مقالاً عن حدود النّظريات التواصلية والحاجة إلى مشروع التعارف باعتباره فضاءً بديلاً عن لغة التواصل المحدودة بحدود دوائر الانتماء الغربية التي تنظّر لها، وزكي الميلاد يرغب في الارتكاز على المضامين التي تجد مستنداتها النّظرية من المعجم المعرفي القرآني في زيادة التعريف والتوسيع برؤيته في تعارف الحضارات، كيْما ينتقل من طور الأخذ إلى طور

العطاء، ومن طور التلقي إلى طور الإنتاج والتّوجيه.

أما عن تحقيق التواصل بين المعارف وتكاملها، فإن مجلة «الكلمة» قد أسهمت وبقسط وافر في استقبال المادة المعرفية الفلسفية؛ وعملت على نشر نصوص مترجمة كالذي قامت به في محور الأيديولوجيا، لبول ريكو وغيرهم، وهذا يدل على رغبة «الكلمة» في تحقيق التكامل المعرفي، وفي ترسيخ مبدأين أساسين هما:

- مبدأ بلوره ابن رشد: الذي سوّغ التكامل المعرفي من منطلق حاجة العلوم بعضها إلى بعض.
- مبدأ أبو حامد الغزالي: الذي سوّغ مشروعية التكامل من الطبيعة الماهوية للمعرفة في حدّ ذاتها، من أنّها تحتاج إلى التّكامل.

وانفتاح «الكلمة» أو بالأحرى تواصلها مع الدّرس الفلسفي، قد أثمر خصوبة في نوعية الطّرح ومستوى الّتفكير، وما هذا إلّا لإيمانها بتعدُّد المناهج ووحدة الحقيقة كقوانين ناظمة للمعرفة، ومن المعلوم أن المجتمعات الإسلامية المعاصرة بدأت تدرك وعلى نطاق واسع؛ محورية الدّرس الفلسفي المعرفي في بناء العقول، وبناء المنهجية الفكرية التي تُكوِّن الإنسان النّاقد لذاته والنّاقد لغيره، الذي يمتلك جرأة على استخدام فكره بمعزل عن قيادة الآخرين له.

وللفلسفة ركن ركين في محاور «الكلمة» بخاصة في الأعداد الأخيرة التي أضحت الفلسفة فيها، مقدمة المقدمات وشبكة العلاقات بين المعارف، لأن مجلّة «الكلمة» هنا تدرك ما قاله ابن باديس المصلح الجزائري عندما جرى نقده من منحى أن العامة لا تفهمه، فقال ليس الغرض هو النزول إلى العامة، وإنما العلم يُسعى نحوه ويُرتفع إلية لا العكس.

حقيق بنا إذن القول: إن «الكلمة» ليست مجرّد مجلة تطّرد أو تتواتر فصليًّا، وإنّما هي روح ومشروع حضاري يهدف إلى إصلاح الفكر وبنائه بناء منهجيًّا سليماً، ويهدف إلى إعادة الصلة الممزقة بين الفكر والحياة، والانفتاح الواعي والذكي على الإنتاجية الفكرية الغربية، وفضلاً عن هذه الملامح المعرفية، فإن التواصل بين الخصوصيات الثقافية في العالم الإسلامي، ملمحاً جوهريًّا ضمن دوائرها ورهاناتها.

ونحن بدورنا نؤكّد أهمية مواصلة مقصد التعارف الذي هو العنوان المركزي لمجلة الكلمة، ونؤكد ضرورة أن تكون الكلمة فضاءً تطبيقيًّا من أجل تحقيق التكامل المعرفي بين العلوم والمعارف، ضمن رؤية توحيدية حضارية؛ لأن التكامل في مجالاته المتنوعة: التكامل

المعرفي وتكامل القيم، مداخل استراتيجية لإصلاح التعليم وإصلاح الفكر، الذي لا يمكن أن تكون هناك أية نقلة حضارية من دونه، لأن التعليم هو الحمض الذي يُحوِّل مادته إلى الصورة التي يبتغيها، أي إن الفكر أيضاً هو حمض تحويل الإنسان إلى نموذجه وصورته؛ وبالتالي فحري بالكلمة مضاعفة النشر الذي يخدم أفق التكامل المعرفي، والبحث عن المسالك الفكرية والعملية التي تنقل الإنسان المسلم من طور السكون إلى طور الحركة، ومن طور الفتور إلى طور الفعالية والإنجاز والإبداع.

البحث في مستقبل العلاقة بين الحضارات
في خطاب الكلمة

الدكتورة بن دنيا سعدية سعاد*

من الأطاريح الفكرية التي استعر الجدل حولها في أوساط العلماء والمفكرين نظرية صدام الحضارات[1] The clash of civilisations لصاحبها صاموئيل هنتنغتون، ولقد ظهرت هذه النظرية أول ما ظهرت على شكل مقالة علمية في مجلة «Foreign Affaires» وهي تُعنى أساساً ببحث مستقبل العلاقة بين الحضارات المختلفة، في محاولة لرصد واستكشاف ما يحكم هذه العلاقة ويوجهها.

* أستاذة بقسم الفلسفة، جامعة مستغانم – الجزائر. البريد الإلكتروني:
bendeniasaadia@yahoo.fr

(١) لقد أثار هذا المؤلف ضجة واسعة وجدلاً كبيراً في الأوساط العلمية والفكرية في العالمين العربي والإسلامي على حد سواء، هو لصاحبه صمويل هنتنغتون أحد كبار رجال الفكر والسياسة في الولايات المتحدة الأمريكية، والكتاب هو في الأصل خلاصة أبحاث ودراسات قام بها هنتنغتون، ونشرت في مجلة فورين أفيرز، في صيف ١٩٩٣م، وخلقت ردود أفعال عديدة ومتباينة لما تحمله من رؤى استشرافية جريئة للمستقبل، ولمزيد من التفصيل يراجع هنا:

Samuel.P. Huntington, «Le choc des civilisations», traduit de l’anglais, par Jean. Luc. Fidel, éd.Odile Jacob, paris, 1997.

بيد أن مسألة صدام الحضارات في الواقع ليست فكرة جديدة في حد ذاتها، ذلك أن الجدل حول صراع الحضارات وصدامها جدل قديم، لكن لم يُنظر له ولم تُوضَّح معالمه في الأفق الذهني على النحو الذي قدَّم له هنتغتون وأخرجه، كما لم يجد أيضاً الزخم الإعلامي اللازم لإخراجه وتصديره على نطاق أوسع كما حدث مع مشروع هنتنغتون الذي حظي بتناول إعلامي وسياسي مكثف.

□ هنتغتون وإشكالية الصراع الحضاري

ينبري هنتنغتون إلى تفسير أسباب النزاع والصراع الدائر في العالم من منطلق البرهنة أولاً بأن الحضارات ليست واحدة[٢]، حيث إن لكل حضارة خصوصياتها ومقوماتها التي تجعلها تتميَّز من غيرها، بل إن في الحضارة الواحدة حضارات فرعية متداخلة وممتزجة، فللحضارة الإسلامية على سبيل المثال صورتان متغايرتان: العربية والتركية والماليزية[٣]، والحضارات على اختلافها وتمايزها، تعرف حركية وديناميةً متواصلة، فهي تنمو وتتطوَّر، وتضعف وتشيخ، ليكون مآلها أخيراً الانهيار، كما من الممكن أن تنقسم وتندمج، وكم هي كثيرة الحضارات التي اضمحلَّت وتلاشت في لجج العدم على مر التاريخ.

وهكذا فإن «الفروق بين الحضارات ليست فروقاً حقيقية فحسب، بل هي فروق أساسية»[٤]، والفكرة الأساسية التي يُدافع عنها هنتنغتون هنا هي محاولة تغطية السيطرة والتفوُّق الغربي بدافع التمايز الحضاري، إذ يرى أن «الغرب حاليًّا، في أوج قوَّته، مقابلة بالحضارات الأخرى...، والقوة العسكرية للغرب بلا منافس»[٥]، وهو بهذا لا يقف عند حدود تحديد الفوارق بين الحضارات، وإنما يتعدَّاها إلى تمجيد الذات الغربية وتأكيد مركزيتها (Centralisation).

ويُواصل هنتنغتون استشرافه لمستقبل العلاقات الحضارية قائلاً بأن «صدام الحضارات يحدث على مستويين، فعلى المستوى الجزئي تتصارع المجموعات المتجاورة

(٢) يعتقد أرنولد تونبي في دراسته للتاريخ أن البشرية عرفت واحداً وعشرين حضارة، لم يبقَ منها سوى ست حضارات، وامتداداً لذلك يرى هنتنغتون أن التفاعل بين الحضارات، والذي سيزداد حدة في المستقبل، يتم بين سبع أو ثماني حضارات كبيرة تشمل الحضارات الغربية والكونفوشيوسية واليابانية والإسلامية والهندية، والسلافية الأرثوذوكسية والأمريكية اللاتنية وربما الإفريقية.

(٣) صامويل هنتنغتون، «الصدام بين الحضارات»، مجلة شؤون الأوسط، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، لبنان، ط١، ١٩٩٥، ص ص: ١٨-١٩.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٠.

(٥) المرجع نفسه، ص ص ٣٢ - ٣٣.

-على امتداد خطوط التقسيم بين الحضارات بصورة عنيفة- عادة على السيطرة على أراضي بعضها البعض، وعلى المستوى الكلي تتنافس دول من حضارات مختلفة على القوة العسكرية، والاقتصادية النسبية، وتتصارع على السيطرة على المؤسسات الدولية والأطراف الثالثة، وتتنافس على ترويج قيمها الدينية والسياسية الخاصة»[٦]، ويمكن عموماً اعتبار خطوط الانقسام الثقافية والفكرية مصدراً رئيسيًّا لتأجيج فتيل النزاعات المقبلة في العالم والتي ترتسم معالمها بأكثر وضوح في المستقبل.

وأعنف هذه المواجهات وأخطرها النزاع القائم بين العالمين الغربي والإسلامي حيث إن «التفاعل العسكري الذي يمتد عمره قروناً بين الغرب والإسلام من المرجح ألَّا ينحسر بل قد يصبح أكثر خطرا»[٧]، وذلك لأن الصدام في رأي هنتنغتون لا يتم بين تجمعات أو أقليَّات بعينها، وإنما بين حضارتين مختلفتين أيما اختلاف، وهذا الاختلاف الجوهري هو الذي يُذكي الصراع ويلهبه.

هذا، ولقد وُجِّهت إلى هذا الطرح انتقادات لاذعة وشديدة لجملة من الدعاوى والأسباب أهمها الدعوة المستترة لهيمنة الحضارة الغربية وما تتضمنه من أفكار عنصرية تحكم سيطرة النموذج الغربي على باقي الحضارات، وتخضع الكيانات الحضارية الأخرى للسياسة وتعتبرها أسباباً للصراع والصدام، في حين أن الحضارات ككيان روحي وثقافي كانت دائماً وأبداً نقطة التقاء الشعوب والأمم المختلفة لما تحمله من قيم حضارية وأبعاد ثقافية.

في مقابل ذلك طرح المفكر العربي زكي الميلاد نظرية مغايرة تحت اسم «تعارف الحضارات» التي حاول من خلالها مناقشة العديد من القضايا الجوهرية كالحوار بين الأديان، الذات الحضارية، التنوع الحضاري...، والتي تُفضي في عمومها إلى ضرورة تفعيل سبل استيعاب الآخر الحضاري وتحديد طرق التعاطي معه، بنظرة شمولية واسعة وأفق فكري منقطع النظير.

□ الحضارات لا تتصارع وإنما تتعارف: (زكي الميلاد نموذجاً)

لقد نشر الأستاذ زكي الميلاد بحثاً دقيقاً في مجلة الكلمة سنة ١٩٩٧ [٨]، وطرح من

---

(٦) المرجع نفسه، ص ٢٣.

(٧) المرجع نفسه، ص ٢٥.

(٨) راجع: زكي الميلاد، «تعارف الحضارات»، مجلة الكلمة، السنة الرابعة، العدد ١٦، صيف ١٩٩٧، ١٤١٨هـ.

خلاله نظريته «تعارف الحضارات» وشرح مرتكزاتها ومبررات صياغتها، وأجرى مقارنة جِدُّ دقيقة بين مفهوم تعارف الحضارات والمفاهيم الأخرى المقابلة، التي دأب الباحثون على تداولها في بحثهم للعلاقة مع الآخر الحضاري كصدام الحضارات وصراعها، وحوار الحضارات وتحاورها، ونهاية العالم والتاريخ، ولقد ارتسمت معالم هذا المشروع واتَّضحت أكثر بعد نشر الأستاذ الميلاد لمؤلفه «المسألة الحضارية»[٩] والذي ضمّنه نظريته تعارف الحضارات وشرح أسسها ومرتكزاتها العلمية الرصينة.

إن الأفكار التي يدعو إليها الأستاذ زكي الميلاد إنما تصطبغ بصبغة إسلامية واضحة، ذلك أنها «تستند على أصل القرآن الكريم، وهو الأصل الأول، وأصل الأصول كما يقول أهل الأصول»، ويتمثَّل ذلك تحديداً في آية التعارف الواردة في سورة الحجرات[١٠].

وذلك مؤداه أن الإسلام ككيان حضاري وعقائدي حدَّد بجلاء ووضوح علاقة المنظومة القيمية الإسلامية بالآخر من زوايا وأبعاد مختلفة، كما أرسى مرامي التواصل والتقارب الحضاري، وذلك على وجه التحديد انطلاقاً من الخطاب العالمي إلى التعارف التي توجهه الآية الكريمة إلى الإنسانية جمعاء، ففي هذا الطرح اعتراف بالآخر وبخصوصيته الثقافية والفكرية، وتأكيد على سماحة مبادئ الدين الإسلامي التي تنبذ دعاوى الصدام والصراع وتمحو خطوط التفرقة والصراع.

وتأسيساً على ما سبق غدت فكرة تعارف الحضارات عند الأستاذ الميلاد أبلغ تعبيراً، وأحكم صياغة في التبليغ عن الرؤية الإسلامية للعلاقة بين الحضارات،إذ تحدَّد علاقة الإسلام بالآخر من زوايا وأبعاد مختلفة، ناهيك عن دقتها في التعبير عن أشكال العلاقات بين الحضارات المختلفة، وهذه النظرية لا تلقي الضوء على واقع العلاقات الحضارية المختلفة في العالم، وتحدّد سبل التعامل والتفاعل مع الآخر فحسب، بل تمنع أيضاً الصدام والنزاع بين الحضارات المختلفة، وتفضي إلى إحلال التعارف والتقارب بين الكيانات الحضارية على اختلافها وتنوعها، ونتاج ذلك كله ترسيخ مبادئ السلم والحوار.

□ جدل العلاقة بين الأنا والآخر الحضاري في خطاب الكلمة

لقد رحبت مجلة الكلمة بمختلف الأبحاث والدراسات التي تُعنى بالمسألة الحضارية، وفتحت المجال واسعاً أمام العديد من الباحثين والمفكرين العرب والمسلمين على حد

(٩) انظر: زكي الميلاد، «المسألة الحضارية: كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير؟»، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٩، ١٤١٩.

(١٠) سورة الحجرات، الآية ١٣.

سواء، لتناول هذا الإشكال بغض النظر عن توجُّهاتهم الدينية ومقاصدهم الفكرية. وهي «الكلمة» لا تتعامل فقط مع ذوي الاختصاص والأسماء اللامعة في سماء الفكر، وإنما تُتيح الفرص أيضاً أمام الباحثين الشباب للكتابة والنشر عبر صفحاتها.

فضلاً عن ذلك ساهمت مجلة الكلمة بتعريف القارئ العربي بآخر مستجدات الطرح الأكاديمي المتعلِّق بموضوع العلاقات الحضارية، وما يُنجر عنه من جدل وسجال، حيث أنها لم تتوانَ عن نشر العديد من العناوين الأكاديمية التي تصدر حديثاً في المكتبات والأروقة الفكرية، كما تُقدِّم من حين لآخر توثيقات مهمة للندوات والمؤتمرات الفكرية التي تتناول الإشكال عينه.

ومن هذه الدراسات الكثيرة والمتنوعة التي نشرت عبر صفحات مجلة الكلمة وتناولت آفاق في المسألة الحضارية، نورد على سبيل الذكر لا الحصر:

دراسة رشيد أبو ثور، العالم الإسلامي والتحديات الحضارية

يؤكد الكاتب من خلال مقالته أن الإسلام هو النموذج الحضاري الأكثر دقَّة وملاءمة من أي نموذج حضاري، و«المؤهل أكثر من أي بديل آخر لاقتراح حل مناسب، ومخرج للإنسانية من المخاطر التي تُتهدِّدها»[١١]، كما يقوم باقتراح عدة حلول يُسمِّيها بالواجبات، ويرى أنها تُفضي إلى الإعلاء من قيمة الإسلام شريطة أن يلتزم بها المسلمون في خوضهم لتجربة التحدِّي الحضاري.

وإن كان الكاتب يُشدِّد على ضرورة الاعتزاز بالهوية الذاتية المسلمة، فإنه من جهة أخرى يُشيد باعتراف الإسلام بحق الآخر الحضاري في الاختلاف والتمايز، إذ يُلح على أهمية «إقامة بناء التعايش، لبنة لبنة، مع احترام الاختلاف والتنوُّع، ومع استحضار التاريخ والذاكرة الجماعية والفردية»[١٢]، كما يقوم بعرض شروط التمكين التي تُؤدِّي بالمنظومة القيمية الإسلامية إلى الوثوب الحضاري، وإحراز التقدُّم والتميُّز على مختلف الصعد.

دراسة هاني إدريس، الحلقة المفقودة ما قبل تعارف الحضارات

يُقدِّم الكاتب قراءة في مشروع تعارف الحضارات كما طرحه الأستاذ زكي الميلاد، وهو يرى أن هذه الفكرة قمينة بأن تحظى بمكانة مميَّزة لسببين أساسيين: «أولاً لأنها جاءت ضمن سياق، لا يزال السجال فيه على أشده بخصوص إحدى أكبر الموضوعات الإشكالية

(١١) رشيد أبو ثور، العالم الإسلامي والتحديات الحضارية، مجلة الكلمة، العدد ٢٢، السنة السادسة، شتاء ١٩٩٩، ١٤٢٠هـ.

(١٢) المرجع نفسه.

التي ابتُلي بها العصر، وهي مسألة الأنوية الغربية والطابع القلق للعلاقة بين الغرب والآخر المختلف على أطرافه، والثاني لأنها وجهة نظر تستدمج موقف الفكر الإسلامي، بما هو أساس الأنا العربية والإسلامية وعنواناً لرؤية تنطلق من الذات في تقييم الآخر...»[١٣].

ويرى هاني إدريس أن طرح زكي الميلاد يتميَّز بجانب كبير من التأصيل والجدة، وذلك لأن مجريات الواقع المعاصر المستمرة في التغيُّر أثبتت حتمية التعارف والتواصل بين الهويات والقوميات المختلفة، بدلاً من صدامها وصراعها.

وهو ما أفاض الميلاد في شرحه وتفصيله حيث إنه يحيلنا «إلى عدد من المعطيات المعاصرة التي شكَّلت الشرط الموضوعي الذي بموجبه تحتَّم نوع من التقارب المفروض بين الشعوب والحضارات»[١٤].

وإن كان الباحث هاني إدريس[١٥] يُؤاخذ المفكر زكي الميلاد على عدم التطرُّق للخلفيات التاريخية لأزمة الحوار الحضاري بين الغرب والإسلام من جهة، فإنه من جهة أخرى يُثمِّن المقاربة المهمة والدقيقة التي أجراها زكي الميلاد بين «نظرية نهاية التاريخ» لفوكوياما، و«نظرية صدام الحضارات» لهنتنغتون، وأطروحة «حوار الحضارات» للمفكر الفرنسي المسلم روجيه غارودي ونظريته أي الميلاد «تعارف الحضارات».

دراسة رسول محمد رسول، من صدام الحضارات إلى حوار الحضارات[١٦]

يقدم الباحث قراءة نقدية في مقولة صدام الحضارات لهنتنغتون، كما يُجري موازنات بين طرح هنتنغتون وأفكار باحثين آخرين تناولوا مسألة صراع الهويات الثقافية والحضارية كفرانسيس فوكوياما.

ويُسلِّط الباحث الضوء على الحقل الدلالي اللغوي الذي استمد منه هنتنغتون دعائم أطروحته، ويرى أن استدعاء هنتنغتون لمفهوم التغيُّر إلى جانب مفهوم صدام الحضارات

---

(١٣) هاني إدريس، الحلقة المفقودة ما قبل تعارف الحضارات، مجلة الكلمة، العدد ٢٣، السنة السادسة، ربيع ١٩٩٩، ١٤٢٠هـ.

(١٤) المرجع نفسه.

(١٥) يرى هاني إدريس أن ثمة أسباب عدة حتمت الصراع بين الغرب والإسلام كان أهمها: أن موقف الغرب كان دائماً محكوماً بالعنف والإقصاء، إذ خاض حروباً صليبية عنيفة وشرسة، ثم تلتها حركة الاستعمار والاستيطان، ولا تزال السيطرة والاستلاب على العالم مستمرة إلى يومنا هذا، وعلى مختلف الصعد الثقافية والاقتصادية وكذا العسكرية، انظر المرجع نفسه.

(١٦) دراسة رسول محمد رسول، من صدام الحضارات إلى حوار الحضارات، مجلة الكلمة، العدد ٢٤، السنة السادسة، صيف ١٩٩٩، ١٤٢٠هـ.

هو الذي أعطى لهذا المفهوم الأخير قوة ومناعة، حيث إن التغيُّر المتسارع يدعم منطقيًّا حالة الصدام كما هو في أرض الواقع، وقد أشار الكاتب أيضاً إلى المزالق الخطيرة التي خلَّفتها قراءة هنتنغتون للحضارات.

دراسة محمد دكير، الإسلام والغرب.. عشر سنوات من المواجهة، المثاقفة، الحوار[١٧]

يفتتح الكاتب مقالته بمقولة لهنتنغتون، ثم يُعرِّج بعد ذلك إلى عرض الخلفيات التاريخية والواقعية للعلاقة بين الإسلام والغرب، وهذا البحث في الأصل هو إحصاء توثيقي ببلوغرافي للكتب والندوات والمؤتمرات، التي تناولت إشكالية الحوار والمثاقفة بين الإسلام والغرب من سنة ١٩٩٠ إلى سنة ١٩٩٩.

وهذه الدراسة ليست مجرَّد عمل منظم ضمّن إحصاءً ترتيبيًّا دقيقاً للكتب والندوات الفكرية وفقط، وإنما قراءة نقدية عميقة لأهم الإشكاليات والهواجس الفكرية التي تم طرحها في هذا الشأن الفكري.

دراسة محمد مراح، نحو رؤية إسلامية لتعارف الحضارات

يسعى الكاتب من خلال هذا البحث إلى تبيان ملامح الرؤية الإسلامية للعلاقات بين الحضارات، مؤكداً أن أنسب صيغة لهذه الرؤية: «تعارف الحضارات»، بحيث يبدأ أولاً بعرض مبررات تنظيره لهذا الطرح، كما طرح مقاربة مفاهيمية مهمة أدَّت إلى اعتماده مفهوم «تعارف الحضارات» كأنسب مفهوم للتعبير عن الرؤية الإسلامية، وهو يقول[١٨] في هذا الصدد إننا «نختار مصطلح التعارف للتعبير عن رؤيتنا الإسلامية حول إنجاز هذا التوجه الحضاري الواعد».

ثم مضى الكاتب بعد ذلك إلى بيان مشروعية تعارف الحضارات استنادا إلى آي القرآن الكريم، كما قدم شرحا مستفيضا لبواعث ومرتكزات ومؤيدات دعوته إلى تعارف الحضارات وتقاربها، هذا ولقد أشاد الباحث بفضل الأستاذ زكي الميلاد في التأسيس لهذه النظرية، كما احتوى العدد ذاته من مجلة الكلمة على ترجمة لإلياس بلكا لتأليف جون كلود روانو بوربلان: هل يمكن الحديث اليوم عن الحضارات؟ بالإضافة إلى فعاليات الندوة

---

(١٧) دراسة محمد دكير، الإسلام والغرب: عشر سنوات من المواجهة، المثاقفة، الحوار، مجلة الكلمة، العدد ٢٦، السنة السابعة، شتاء ٢٠٠٠، ١٤٢٠هـ.

(١٨) محمد مراح، نحو رؤية إسلامية لتعارف الحضارات، مجلة الكلمة، العدد ٤١، السنة العاشرة، صيف ٢٠٠٣، ١٤٢٤هـ.

الدولية حول: حوار الثقافات هل هو ممكن؟ بقلم إدريس الكنبوري.

ومن المرامي التي تسعى مجلة الكلمة إلى تحقيقها من خلال هذا الكم الهائل من كتابها المبدعين، تغيير النظرة الضيقة في التعامل مع الآخر، وتقديم رؤية شاملة، ونظرات واعية رصينة لإشكالية الصراع الحضاري، وكذا تبيان سبل التعامل والتفاعل مع الآخر، مع الحفاظ على الهوية الذاتية المسلمة، وتثمين البحث في العلاقات الحضارية، رافعة في ذلك كله شعار الحوار، والتجديد، والتعددية، فمزيدا من التألق والاستمرارية.

خطاب التعارف والتواصل الحضاري والإنساني في الكلمة

الدكتور: محمد الناصري*

بداية أعبر عن مدى سعادتي بهذا الدعوة الكريمة من لدن مجلة الكلمة -في شخص رئيس تحريرها الأستاذ زكي الميلاد الفاضل- القاضية بتقويم أثر المجلة في تجديد الفكر الإسلامي.

وأبادر بالقول: إن مجلة الكلمة قد أصبحت لها مكانة راسخة في الوسط الفكري العربي والإسلامي، كما غدت من أهم الدوريات الفكرية التي ينتظر صدورها المهتمون بشأن الفكر الإسلامي.

اهتمام الباحثين بالمجلة؛ راجع بالأساس إلى تضمن أعدادها دراسات تحليلية لقضايا تشكِّل إشكاليات مركزية في الفكر الإسلامي المعاصر: فلسفة الفقه، مقاصد الشريعة، قضية حقوق الإنسان والتنمية، مشكل التأويل، مشكلة الثقافة، نظرية المعرفة، المسألة التربوية، الإسلاميون وقضية الحكم، العلاقة مع الغرب...كما أنها تطرح أرضية لمجموعة من المشاريع الفكرية الناقدة، وغالبية مواد أعدادها هي أوراش فكرية نقدية في المواضيع والإشكالات السابقة

* أستاذ باحث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال، المغرب. البريد الإلكتورني: mohammedennassiri@yahoo.fr

الذكر.

ينضاف إلى إيجابيات المجلة هامش الحرية الواسع جدًّا فيها، فهي تستوعب الرأي والرأي الآخر، كما يُسجَّل في هذا الصدد انفتاحها غير المشروط على الأقلام الفكرية المختلفة عبر امتداد العالم الإسلامي حيث إن الحكم في النشر عندها مدى اتسام المادة الفكرية بالعلمية، والموضوعية والجدية في الطرح. فالأقلام التي تظهر في المجلة لا تجمعها هيئة سياسية، أو تنظيم حزبي، أو انتماء مذهبي، أو موقع جغرافي، يظهر ذلك من خلال تشكيلة الهيئة الاستشارية للمجلة، التي تضم مختلف التيارات الفكرية والمذهبية.

ولعل من أهم عوامل نجاح المجلة في تحقيق أهدافها، استهداف مختلف القراء في العالم الإسلامي، شيعة وسنة دون تحيُّز. وأعتقد أن هذا سر النجاح التي تحظى به. كما لا يفوتني التنويه بالشكل الجمالي للمجلة، بحيث إن أعداد المجلة تخرج في شكل جمالي رائع، مع كتابة جيدة، ممَّا يعطي جاذبية للمجلة.

أرجع وأقول: إن بداية تعرُّفي إلى المجلة تعود إلى بداية اهتمامي بموضوع العلاقة مع الآخر في بعديها الديني والحضاري، فمعلوم أن العلاقة مع الآخر شكَّلت موضوعاً من أهم الموضوعات التي عرفها الفكر الإنساني عموماً، فبعد سقوط الاتحاد السوفييتي؛ برزت رؤيتان تفسران هذه العلاقة؛ رؤية صدام الحضارات مع صمويل هنتنجتون، ورؤية حوار الحضارات مع روجيه جارودي. لنتعرَّف ومن خلال مجلة الكلمة إلى رؤية ثالثة، موسومة بـ: «تعارف الحضارات». ويُعدُّ الأستاذ زكي الميلاد، أول من نحت مفهوم (تعارف الحضارات) ودافع عنه، حيث قام بنشر بحث في مجلة «الكلمة» في صيف سنة ١٩٩٧، العدد السادس عشر، شرح فيه قيمة وتميَّز هذا المفهوم واختلافه عن مفهومي صدام الحضارات وحوار الحضارات، واتِّصاله بالمنبع القرآني وشرح أبعاد ومكونات هذا المفهوم ومقاصده.

ولقد وجدت في كتابات الأستاذ الميلاد دعوةً صادقةً إلى تطوير البحث والنقاش حول العلاقات بين الحضارات، وتأكيد ضرورة أن نتعامل بثقة مع الأفكار التي نُبدعها ونُعطيها من الأهمية ما تستحق، دون انبهار أو سحر يأخذنا إلى الذوبان في الآخر خاصة النموذج الغربي.

حيث يرى المفكر الميلاد أن البحث عن مفهوم بديل عن الصدام والحوار هو من مقتضيات التجدُّد والاجتهاد والفاعلية وعدم الجمود، أو التوقُّف لفتح مجال التفكير نحو مفهوم جديد ليدخل إلى دائرة النظر والتحليل، ومن منطلق تجربة المسلمين في بناء الحضارة يفترض أن يكون التصوُّر الإسلامي ذا رؤية أو مفهوم يُحدِّد شكل العلاقات مع الأمم

والمجتمعات والحضارات الأخرى، والقرآن الكريم جاء للناس كافة ورحمة للعالمين، هو الرسالة الخالدة للبشر بكل تنوعاتهم، يقول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾.

ومعنى ذلك أن هناك تعدُّداً وتنوُّعاً في الاجتماع البشري، كما تُقرُّره الآية الكريمة بمعنى التعارف، ومنشأ هذا المفهوم من القرآن، وآية التعارف تحديداً من الآيات التي تكرّر ذكرها والحديث عنها والالتفات إليها في الكتابات العربية الإسلامية، وجاءت فكرة تعارف الحضارات في إطار تجدُّد واجتهاد الفكر الإسلامي، وتأكيد معنى التواصل والانفتاح الحضاري على الآخر.

وتعارف الحضارات -عند الميلاد- ليس مجرَّد تعبير فحسب، وإنما هو مشروع حضاري تبدو صياغته قريبة المعنى من مفهوم التواصل عند الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس، لأن فكرة التواصل عنده تقوم على تجاوز ما يصطلح عليه بفلسفة الذات والعمل على الوصول إلى فلسفة الآخر، من خلال بناء معرفة وتعارف.

والفارق بين المفهومين أن التواصل عند هابرماس يرتبط بحقل المعرفة، أما التعارف فيرتبط بحقل الاجتماع، أي علاقته بالمجتمع والجماعة والناس، ويدعم هذه الرؤية المفكر المعاصر إدريس هاني بقوله: إن خطاب التعارف موجَّه للحامل الاجتماعي، أي للإنسان والشعوب والقبائل.

ومن هنا حاول زكي الميلاد ربط التعارف بمفهوم التواصل الذي يمثل في جوهره وصفاً للعلاقة بين طرفين ما توصف بعدم الانقطاع، وتنطلق من الاعتراف بوجود الآخر، ويهدف التواصل إلى الانتقال من المستوى الفردي إلى الجماعي، وتكون اللغة رمز التواصل بين الذات والآخر، ويكون التعامل بينهما وفق ما يمتلكه الطرفان من مشتركات بلغة التقبل تعارفاً.

ومن خلال التواصل يكتسب الفرد وعيه بذاته، من خلال استبطانه لتجارب الآخرين والاستفادة من سلوكيات ودروس الغير، من خلال الاحتكاك والتفاعل وهذا نفسه هو المقصد من التعارف في تفاعل أمتين أو مجموعة من الشعوب.

إن التواصل يقتضي التعريف بالمجهول، وهذا ما يبتغيه تعارف الحضارات من كسر لحواجز الجهل واللامعرفة بالآخر، وتصفية المعرفة المشوشة عن الآخر في المتخيل الإسلامي والمتخيل الغربي.

كما أن التواصل يتعامل مع أزمة الإنسان في نظرته لذاته وللآخرين، فالتعارف

يعتبر منهجاً وأداةً وغايةً لمخاطبة الآخر والتعرُّف إليه، وإذا كان التواصل عند الفيلسوف الألماني هابرماس هو الفاعلية الوحيدة التي بإمكانها إعادة ربط الصلة بين أطراف هذا العالم المتقطع الأوصال، فالتعارف يريد جمع شتات التمزق الحضاري، وتحييد المتنوع الحضاري بعنوان تقبل الآخر، دون إلغاء الذات في الحفاظ على الهوية، وعدم فرضها وهذا هو تعارف الحضارات.

ويرى زكي الميلاد أن مفهوم تعارف الحضارات اليوم، قد تجاوز مرحلة بناء المفهوم واكتسب قوة التماسك والتحديد، ودخل مجال التداول، وأضحى معروفاً في حقل الدراسات الحضارية، وفي مجال العلاقات بين الحضارات بصورة خاصة.

أيَّدت الباحثة المصرية الدكتورة نادية مصطفى استخدام مصطلح التعارف، وعدَّته معترفاً به، ويُمثِّل وجهة النظر الإسلامية تجاه أنماط التعامل مع الآخر الحضاري، وتقول: لماذا لا نقول: إن مفهومنا من الدائرة الإسلامية عن نمط العلاقة بين الحضارات هو تعارف الحضارات؟ (أنا هنا أستخدم ذلك المصطلح الذي قدَّمه الأستاذ زكي الميلاد.. وليس حوارها أو صراعها يُمثِّل استجابة إيجابية، وليس مجرَّد ردّ فعل لما أثارته أطروحات صراع الحضارات، تلك الأطروحات التي جاءت من خارج الدائرة الإسلامية تعبيراً عن الاهتمامات الفكرية والعلمية في الغرب، في حين أن الرؤية الإسلامية على مستوى المعرفة والفكر أسبق إلى أي طرح آخر).

ومن هنا تتَّضح فكرة أن التعارف الحضاري هو حوار الحياة والواقع، بمعنى أن التعارف والتفاعل المباشر والعمل معاً وسويًّا؛ لأن الآخر لحمة في صميم الوجود والعلاقة معه من أهم أسس الوجود.

ويمكن أن نستفيد من فكرة التعارف من جانبين آخرين هما: التعارف أولاً يساعدنا على فهم ذواتنا أكثر فأكثر؛ لأن معرفة الآخر تلفت نظرنا إلى ما عندنا وإلى ما ليس عندنا، ويعرفنا على عناصر قوتنا وعلى عناصر ضعفنا، ومعرفة ما لدى الآخر من قوة وضعف، ودون التعارف يتعذَّر علينا الانتقال إلى المراحل الأخرى في العلاقات بين الحضارات.

وبسبب التعارف لا يبقى الآخر مجهولاً، فنحن نخشى الآخر ما دمنا نجهله، وإذا عرفناه لم يعد كذلك، ونتحرر من عقدة الخوف اتِّجاه الآخر، فأمكننا تقبُّل وجوده بل قبول التعايش معه.

ومن أهم أسس التعايش السلمي الإنساني هو التعارف، لأن التعارف هو السبيل لكسر الجهل المتبادل، وتعميق التآلف الاجتماعي البشري، واختلاف البشر لا يعني الاستعلاء بل من أجل التعارف، وكسر حواجز الجهل، وتجذير أواصر الوئام والشراكة

ليحصل المشروع الأساسي وهو التعارف عبر الفهم المتبادل.

كما أن قضية الاختلاف والتنوُّع العقائدي والإنساني عموماً لا تحمل في طياتها بالضرورة فكرة الصراع، وإنما يمكن استثمارها لتحقيق التكامل الذي هو ضرورة وظاهرة طبيعية مشهودة، لذلك لا بد من تشجيع التعارف وتعبيد طرق التواصل.

إن مقولة تعارف الحضارات جديرة باهتمامنا ومناقشتها لإغنائها، فهي مقولة عربية إسلامية مؤسسة على أساس تكوين الهوية والثقافة الأصيلة فيها خطاب موجَّه لمعالجة إشكاليات إنسانية تتَّصل بجوهر الوجود البشري في هذا الكون، ومعالجة مفاهيم تتعلَّق بنظرة المسلمين والعرب إلى أنفسهم ونظرة الآخرين إليهم.

إن مفهوم تعارف الحضارات هو أوسع وأشمل وأعمق من مفهوم حوار الحضارات، لأنه ينطلق من أرضية تكوين المعرفة والتأسيس عليها، فالتعارف هو الذي يُحدِّد شكل العلاقات وحدودها ومستوياتها وآفاق تطوُّرها.

ومن الغايات الأساسية لحوار الحضارات الوصول إلى التعارف، أو إلى قدر معقول منه أو تصحيح الصورة، وإزالة عدم الثقة إلى غير ذلك من معانٍ ودلالات تكشف أن التعارف يُمثِّل قيمة أكبر من الحوار.

ويُركِّز زكي الميلاد على مبررات التنظير الفلسفي لتعارف الحضارات، ويرى أنه مبدأ استراتيجي ومنظوراً للعلاقات في الإسلام، ورد ذكره في القرآن الكريم واضحاً وبدلالة قطعية، والحاجة إلى صياغة بديل إسلامي عن نظرية الصراع والصدام بين الحضارات التي طغت على الخطاب السياسي والفكري والفلسفي والإعلامي، وحتى الشعبي خاصة في ظل الظروف التي يمرَّ بها العالم، وتعارف الحضارات هو الصيغة البديلة التي حاولت تصحيح الرؤية وحل بعض المشاكل في العلاقة مع الغير. (عن: بن حليلم شوقي، الجزائر نيوز).

لقد أسهمت مجلة الكلمة بنشرها لدراسات الأستاذ الميلاد المتعلِّقة بتعارف الحضارات باعتبارها رؤية إسلامية لمجال العلاقات بين الحضارات، في تجديد رؤية الفكر الإسلامي لطبيعة العلاقة بين المسلمين وبين غيرهم ممَّن لا يدينون بدين الإسلام.

إجمالاً تبقى مجلة الكلمة من المجلات الفكرية القليلة في العالم الإسلامي، التي أخذت على عاتقها مسؤولية تجديد الفكر الإسلامي، ونجحت في ذلك إلى حد بعيد.

كلمة في مجلة «الكلمة»

الدكتور صايم عبدالحكيم*

من فضائل العولمة أنني اكتشفت مجلة «الكلمة»، ونشرت فيها بعض المساهمات بالرغم من أنها لا تُوزَّع في الجزائر، ولكن إرسال رئيس تحريرها لصاحب المقال نسخة مصوَّرة جعلها عنواناً حضاريًّا بامتياز، لأن بعض أدعياء الحداثة لا يسرقون جهد الباحث بل لا يبلغوا صاحب الموضوع بنشر بحثه.

ومن عجائب الزمان أن البعض يضطر لشراء تلك المجلة لأنها تحتوي على مساهمته، في حين وجدنا المفكر زكي الميلاد يُسلِّم النسخة الورقية بكل سرور كلما سنحت له فرصة اللقاء بصاحب المقال.

ومؤخراً كنت سعيداً، وبالتحديد في الصالون العاشر للكتاب بوهران من ١ إلى ١٠ أبريل ٢٠١٣م عندما وجدت مجلة «الكلمة» مع أخواتها من المجلات مثل: عالم الفكر والغدير والمنهاج.

لقد وجدت الكلمة منذ البدء، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ما جاء في إنجيل يوحنا، أو انتصرنا لموقف مالك بن نبي القائل: «إن الكلمة من روح القدس، إنها تُساهم إلى حد بعيد في خلق الظاهرة الاجتماعية، فهي ذات وقع

* مدير مخبر التراث والفكر المعاصر: (الفلسفة والفنون والممارسات الاجتماعية) جامعة وهران – الجزائر. البريد الإلكتروني: saimabdelhakim@yahoo.fr

في ضمير الفرد شديد.. لتحوِّله إلى إنسان ذي مبدأ ورسالة».

وهذا دليل على أن اختيار عنوان المجلة جعل منها «كلمة ليست كالكلمات» التي تنتهي إلى قصر من الوهم، يزول في لحظات كما ذكر الشاعر نزار قباني، أو مثل «كلمات» الفيلسوف الفرنسي جون بول سارتر التي تروي سيرته الذاتية في حدود معينة، لأن مجلة «الكلمة» مرجعيتها الرسالة الخالدة التي تُوضِّحها سورة إبراهيم في الآية الكريمة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾.

وفي عقدها الثاني تُورق شجرة الكلمة الفرع العشرون لأنها حسب لسان العرب، هي لفظة حجازية، «وجمعها كلم، تُذكَّر وتُؤنَّث، يقال هو الكلم وهي الكلم، التهذيب». فكانت وما تزال مجلة مفتوحة لجميع الكفاءات من الجنسين، والكلمة «تقع على الحرف الواحد من حروف الهجاء، وتقع على لفظة مؤلفة من جماعة حروف ذات معنى».

وفي ضوء ذلك اختارت المجلة المعاني التي تبحث فيها، وهي (الفكر الإسلامي وقضايا العصر والتجدد الحضاري)، وهذه الثلاثية الفكرية يُمكن اختزالها في عبارة «الاجتهاد»، لأن مسؤولية الذات الإسلامية تكمن في واجب التكيُّف مع قيم العصر لبناء وجودها الحضاري المستقبلي.

وإذا ما أردنا تفسير قيمتها نقول مع الأستاذ فتحي العشري بأن «الإنسان.. كلمة»، ومع الثقافة الشعبية الجزائرية «الكلمة رصاصة»، ليعبر صاحبها بأنها وعد لا يمكن نكوثه، ومع الأديب البرازيلي باولو كويلو بأن «الإنسان أنتج ما هو أصعب من القنبلة النووية، أنتج الكلمة».

وفي هذا السياق وجدنا الأستاذ عبدالكريم بن أعراب في كتاب «مناهج إعداد الرسائل الجامعية» الصادر عن جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة عام ٢٠٠٩ يذكر عنواناً «من الكلمة إلى الكلمة، المغامرة الإنسانية الجميلة»، مُحلِّلاً مستوياتها الاصطلاحية والاشتقاقية أو الإتيمولوجية والسيميائية والنقدية – الفلسفية، ليخلص إلى أن الكلمة مسؤولية.

إن مجلة الكلمة منذ البداية تبدو منفعلة بمثل هذه القيم الجميلة، لأنها تنتصر للكليات على حساب الجزئيات، وتحتضن الرسالة قبل المذهب، وثقافة الرد الجميل وليس خطاب الفرق بين الفرق، لأن الأهداف التي أعلنتها تُراعي مصالح الأمة لعلَّها تحقق المشروع الحضاري المرتقب.

فهي من المشاريع الفكرية النادرة في العالم الإسلامي، التي تسمو على الأقاليم

المحدودة، وعلى أطروحات الصراع، لأن رؤيتها تشتغل في ضوء محور طنجة – جاكرتا، الغني بعالمي الأشياء والأشخاص، والفقير في عالم الأفكار، لعلَّها تسهم في تجاوز ثقافة جلد الذات إلى بنائها، وتُحقِّق الفعالية العلمية في مسارها الملتزم بقواعد المنهج القرآني القائم على الحكمة والموعظة والجدل بالتي هي أحسن.

إنها تنوير فكري لصناعة «فريضة التفكير» كما كتب الأديب محمود عباس العقاد، ورواق حضاري لبناء الإنسان لأنه «ذلك المعلوم» كما كتب الفيلسوف عادل العوا، أو لأنه هو «الكامل» كما أشارت دراسة مرتضى المطهري، لعل تلك الصناعة وذاك الرواق يعملان على «منع تسرب عقدنا وأزماتنا التاريخية إلى واقعنا المعاصر، بحاجة منا إلى الوعي العميق بمبدأ الوحدة والتعاون على البر والتقوى، وتجاوز كل الإحن النفسية التي تحول دون تنمية المشتركات والاستجابة الفعَّالة لكل التحديات»، كما جاء في كلمة المجلة في عددها ٧٤ (السنة التاسعة عشرة) شتاء ٢٠١٢م/ ١٤٣٣هـ.

الإنتاج الثقافي من التكرار إلى التراكم المعرفي
مجلة الكلمة مثالاً

أحمد شهاب

□ مدخل

المهتمون برصد التحوُّلات السياسية كثيراً ما يُنظِّرون لأسباب ومفاعيل التغيير في العالم العربي، بوصفها نتيجة إلى ما آلت إليه بعض التجارب العربية المتعثرة، ونظراً لإخفاق أنظمة الحكم فيها، وما استتبعه من ردَّة فعل شعبية انتهت إلى إحداث جملة من المتغيرات في الحياة السياسية العربية، ويعتقد هؤلاء أن العامل الحاسم في إجراء التحوُّلات على الأرض إنما هو نتيجة تراكم عمل ونضال التيارات والجماعات السياسية التي أحدثت شرخاً في المنظومة الرسمية للدولة، ممَّا سهل انهيارها أو تفكُّكها كما شهدنا ذلك خلال العامين المنصرمين.

لا شك في أن هذا التحليل يحفل بالكثير من المصداقية، لكنه لا يكشف كل أبعاد مشهد التغيير والتحوُّل في العالم العربي، إذ لا يمكن إغفال التأثيرات الثقافية والفكرية في إرفاد المجتمع العربي بمقومات النهوض والتحدِّي، كما لا يُمكن التقليل من شأنية الأفكار في تغيير نظرة الأفراد إلى أنفسهم ومساندتهم في مشروع بناء الذات الفردية المعتدة بنفسها وفكرها والمتمايزة عن سلطة الدولة، وكذلك دورها في تعزيز ثقافة النقد بما وضع كل المنظومات الفكرية

السائدة التي اعتمدت عليها الأنظمة الحاكمة كمساند لقوتها وشرعيتها تحت المجهر، وتم تفكيكها وبالتالي تفكيك منظومة الاستبداد العربي.

□ الفعل الثوري في الثقافة

يجادل بعض الباحثين في أن دوافع الحروب التي تقع بين فينة وأخرى ليست بالضرورة اقتصادية وسياسية، وإنما يمكن أن يُنظر إليها باعتبارها نموًّا للمنافسة الفكرية، وتستهدف في هذا الإطار تغيير المدارك عند الشعوب، نُلاحظ في هذا السياق أن ما يسبق الحروب هو شنّ حملة فكرية وثقافية تنتهي بالفشل، فتبدأ الآلة الحربية بالتحرُّك لتغيير الظروف وتهيئة بيئة لها قابلية الاعتراف بالأفكار المراد تمريرها، وعادة ما تنجح الدول والتوجهات التي تمتلك أدوات تسويق فعالة.

إن استباحة المنطقة العربية والإسلامية لشتى أنواع الصراعات والنزاعات بالصورة التي نلحظها، لا يستهدف فقط وضع اليد على المقدرات المادية لهذه الدول والمجتمعات، وإن كانت هذه من ضمن الاستهدافات الكبرى، لكنها على القدر نفسه تستهدف تهيئة مناخ ملائم لفرض هيمنة ثقافية تفسح المجال لما أسماه المرحوم مالك بن نبي «بالقابلية للاستعمار»، لذا فإن فعل المقاومة الثقافية لا يقلُّ أهمية من المقاومة العسكرية والسياسية، بل الأول هو الحافز الرئيس لكل أنواع النضال الوطني.

هكذا يكون مفهوماً تحوّل الفعل الثقافي إلى «فعل ثوري» يستهدف اقتحام أبواب المعرفة، وإعادة الاعتبار إلى العقل الانساني، من خلال مقارعة ثقافة الاستبداد والاستعمار، ومعالجة جذور التخلُّف والتقهقر الحضاري، وتقويم العجز الفكري، وتنسيج مبادئ العدل وحقوق الانسان والديمقراطية، وترسيخ قيم التسامح الديني في قلب هذا العالم، بلحاظ أن ضعف المناعة أمام أي هجمة حضارية إنما مردَّه هزال الجسد الثقافي، وفق فرضية مفادها أن توطن الاستبداد في هذه المنطقة يُعدُّ عاملاً رئيساً في خوار القدرة المجتمعية على المقاومة وإثبات الذات.

من هذا المنطلق أجد أن دور المؤسسات الثقافية والمجلات الفكرية بالضرورة لا يقف عند تسويق أفكار محدَّدة، وإنما يمتدُّ إلى ميدان الفعل التغييري عن سبق إصرار وترصُّد، فالمؤسسات الثقافية هنا تمثل «منصات وعي» تتحمَّل مهام جسيمة وشاقَّة، في مقدمتها إعادة تأسيس المنظومة الفكرية لأفراد المجتمع، والتعامل مع الفكر بصور أكثر تجريدية. واستظهار تجليات الحقيقة للتفكر في كيفية استثمارها ووسائل توظيفها.

لقد ساهمت مؤسسات عديدة في إحداث تحوُّل فكري يُناظر التحوُّل في الفكر

السياسي، بل يرفده ويُعزِّزه ببناء قواعد فكرية صلبة، تنبض مفرداتها بالجِدَّة في قراءة النص الديني، وتُعزِّز النزعة العلمية في البحث والتنقيب، وترفع من قيمة النقد العلمي. ونُشير على سبيل المثال لا الحصر إلى الجهود الفكرية التي أسهمت بها مجلة الاجتهاد، ومجلة الفكر الجديد، ومجلة الفكر العربي، ومجلّة المنهاج، ومجلّة قضايا إسلامية، ومجلّة المحجّة، ومجلّة التوحيد، ومجلّة قضايا إسلامية معاصرة، ومجلة نصوص معاصرة، ومجلة الوعي المعاصر، ومجلة الاجتهاد والتجديد، وغيرها من دوريات ومجلات فكرية رصينة.

على وقع هذه الجهود الفكرية يمكن أن نصف مشروع «مجلة الكلمة للدراسات والأبحاث المتجدِّدة» الذي سعى منذ انطلاقته إلى تقديم إضافة نوعية للجمهور العربي والاسلامي عموماً، حاول من خلاله أن يتجاوز العقبات التي صادفت بعض التجارب الفكرية والثقافية الأخرى، التي على رأسها دخول بعض النماذج والمؤسسات الثقافية في الحلبة السياسية بقرار ذاتي أو لمبررات موضوعية، أو بقاء بعض تلك المشاريع في حيِّز مدرسة فكرية محددة تنافح عنها وتلتمس لها الأعذار على طول الخط، ممَّا أفقدها حياديتها المنتظرة وقراءتها النقدية المتوخاة من أمثالها.

□ مستويات الإنتاج الثقافي

يمكن التمييز بين عدة مستويات من الأنتاج الثقافي في العالم العربي والإسلامي عموماً، هناك مستوى «التعبئة الأيديولوجية والسياسية» التي اهتمت بتقديم خطاب تعبوي يُعزِّز من حالة الانتماء إلى جهة ما أو يُعاديها. ويعتني أصحاب خطاب التعبئة بتكريس جملة من الأفكار في المجتمع ممَّا يعتقدون أن له أثراً مباشراً في التسويق لفكر معين، أو دعم توجهات فكرية أو مشاريع سياسية محدّدة. وبإطلالة على مجمل الإنتاج الثقافي الإسلامي منذ نصف قرن تقريباً نلاحظ أن الكثير منه يكاد يصب في هذا المستوى، ويتمركز في خانة البحث عن الذات والدفاع عن الهوية. ويغلب عليه أنه خطاب تكراري، يعيش في ثوب الماضي، سواء كان الماضي العربي والإسلامي وما أنتج في قرون سابقة، أو الماضي القريب الذي أنتجته الإصلاحية الإسلامية في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وهو لا يزال خطاب له حضوره ومؤسساته ومنابره الثقافية والدينية.

والمستوى الثاني هو مستوى «الحداثة الفكرية والسياسية» ويبرز فيه التوجُّه العلماني الذي حاول أن يُقدَّم قراءة حديثة للواقع العربي والإسلامي من خلال ما اكتسبوه من ثقافة غربية، ورغم جدة هذا الفكر، إلَّا أن ما يعيب تجربة رواده من العرب انقطاعهم عن الفكر الإسلامي، وعجزهم عن قراءة الإسلام من الداخل، فطرحوا العلمانية كمقابل للدين، وأضحت العلمانية أيديولوجية تقف ضد كل ما هو إسلامي ومحافظ، ولم ينجحوا في تقديم

الحداثة التي بشَّروا فيها بالصورة التي تسمح لها بالتحوُّل إلى أيقونة تغيير حقيقي في المجتمع، بل ظلت حالة من القلق تسود المجتمعات العربية والإسلامية تجاه أطروحات هذا التوجُّه على الرغم من قبول بعض مقولاتهم النقدية.

أما المستوى الثالث فهو توجُّه «الإبداع الفكري والثقافي والتجدُّد الحضاري» الذي يهتم بعملية التراكم المعرفي، ومحاولة إنتاج ثقافة إنسانية جديدة، والسعي لتقديم قراءة فكرية معاصرة للدين يتحرَّك من خلالها مشروع نقد التراث الاسلامي، ونقد التجربة الإصلاحية الإسلامية، والسعي نحو فهم أعمق للنصوص والمفردات الإسلامية وفقاً لمقتضيات التطوُّر، وشخص هذا الفريق العلة التي تعيق تقدُّم المجتمع العربي والإسلامي في التكرار السلبي للآراء والمقولات، والتوقُّف عند ما أنتجه السابقون، من دون القدرة على إعمال العقل، أو الغوص في المفاهيم بما يتناسب مع التطورات الفكرية المعاصرة.

وعلى وقع هذا الفهم انفتح هذا التوجُّه على مختلف الثقافات الإنسانية، مستفيداً من أداوت البحث التي أنتجتها العلوم المعاصرة، في قراءته النقدية للتاريخ الإسلامي، والثقافة الإسلامية، والفكر الديني، والمجتمع المحافظ، من أجل الخلوص إلى ثمرة فكرية ومعرفية تتسم بالجدة، وهذا الاتجاه تمثلته «مجلة الكلمة» إلى حدٍّ كبير.

□ ملامح الإبداع الثقافي في مجلة الكلمة

منذ الكلمة الأولى التي صدَّرت بها «الكلمة» عددها الأول، رسمت المجلة لنفسها خطًّا واضحاً في الانتصار لقيم التعايش السلمي والتعدُّدية والحوار، وتبنَّت مقاربة قضايا الإصلاح والمواطنة وحقوق الإنسان، وتقدَّمت خطوات في معالجة أزمة الحوار الداخلي الإسلامي – الإسلامي، كما طرقت أبواب التجديد في النظر الفقهي والشرعي، كما لم يتوانَ الكُتَّاب والبحَّاثة في «مجلة الكلمة» من وضع المفاهيم المتداولة في الحقل الإسلامي والحداثي على طاولة التشريح الهادئ، وكان الهدف المعرفي والعلمي هو الهاجس الوحيد الذي يُحرِّك الأسئلة ويبعث على البحث والتعمُّق في المعالجة.

ويمكن إجمال ملامح الإبداع في تجربة مجلة الكلمة بالآتي:

١- تشكيل رؤية مرجعية: بدا واضحاً أن «مجلة الكلمة» في كل عدد جديد تزداد تعمُّقاً في حقول البحث بكل ما يرتبط بالفكر والتراث والدين والحداثة والمجتمع، فلم يكتفِ كتَّابها بملامسة العناوين الثقافية العامة، بل ثمَّة مساعٍ دؤوبة بدت جلية في اتجاه تناول كل قضية من زوايا متعددة، في محاولة لإنجاز رؤية معرفية واضحة يمكن أن تُشكِّل إضافة جديدة لموضوع البحث، في هذا المجال يبرز موضوع التعايش والتعددية والحوار

الإسلامي كمثال للقضايا التي تنوَّعت زوايا النظر اليها من قِبل الباحثين والمختصين في المجلة، ممَّا أمكن من تشكيل رؤية مرجعية في مجالها، لا يمكن لأي باحث منصف إغفالها أو تجاوزها.

٢- التجديد الفكري: تركّز مشروع «مجلة الكلمة» على استئناف النظر الديني الإبداعي، عن طريق تحريره من أسوار البحوث التقليدية، وبُذلت جهود بحثية ملموسة في إعادة النظر بالمفاهيم والقضايا الدينية التقليدية وإعادة قراءتها من جديد برؤية تحليلية، على غير التأليف الديني السائد، ويُمكن أن نُشير في هذا السياق إلى قدرة المجلة على فتح البحث في قضايا مشاركة المرأة المسلمة في الحياة العامة، وتناول هذه القضية الشائكة والمعقدة بعقلية منفتحة تنوَّعت فيها أداوت البحث من تاريخي إلى سوسيولوجي، ومن فقهي إلى سياسي، ومن زوايا نظرية إلى معالجات تطبيقية.

٣- النقد المعرفي: نجحت «مجلة الكلمة» إلى حدٍّ كبير في تفعيل أدوات النقد العلمي بكل حرفية ومُكنة من دون أن تدخل في صدامات مفتعلة مع توجهات فكرية أو دينية أو اجتماعية مغايرة، فتعاطت النقد بوصفه سعي لمعرفة الممكنات الموجودة في النص لتفعيل مساحات الوعي عند الفرد وتعرية الأوهام التي تستوطن العقل، وهو الأمر الذي أسهم في استكمال المجلة لمشروعها النقدي باعتباره أحد أداوت البناء والإسهام في الثقافة المعاصرة، وعلى الرغم من الحساسية الكبيرة التي كانت تصبغ الكثير من البحوث والدراسات التي كانت تتصدَّى لمعالجتها، إلَّا أنها استطاعت أن تُعيد موضعة التأويلات أو التفسيرات أو الشروحات للنصوص في حجمها الطبيعي، ومن أمثلة هذه البحوث المسألة الطائفية في الدولة العربية، والاتجاه المعنوي في الدين، وتجديد الفكر الديني، وقضايا الدولة الدينية.

٤- التكامل المعرفي: اختطت «مجلة الكلمة» لنفسها مساراً معرفيًّا يتكامل مع بقية الجهود المعرفية والمشاريع الفكرية المؤثرة بغض النظر عن التصنيفات المذهبية والمدرسية، فراكمت وطوَّرت قراءتها لما أنتجته المدارس الفكرية والثقافية المختلفة، في محاولة ناجحة للخروج من أسر القراءة الأحادية، فقدَّم كُتَّابها قراءة تتَّسم بالجِدَّة لمشاريع فكرية رائدة في مجالها، فكان المشروع الحضاري للسيد جمال الدين الأفغاني، والمشروع الثقافي للشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا، وقدَّمت تكثيفاً فكريًّا لمناهج الإصلاح عند كلٍّ من الميرزا محمد حسين النائيني والشيخ عبدالرحمن الكواكبي ومالك بن نبي ومحمد إقبال وعلي شريعتي والشيخ مرتضى مطهري، كما انفتحت على تجربة السيد محمد باقر الصدر والإمام الخميني والسيد محمد بن مهدي الشيرازي والشيخ محمد مهدي شمس الدين والسيد محمد حسين فضل الله والشيخ محمد الغزالي والشيخ عبدالهادي الفضلي وغيرهم.

٥- الاتزان العلمي: لم تتوانَ «مجلة الكلمة» عن تقديم معالجات فكرية للقضايا الساخنة التي أثارت الكثير من الجدل في العالم الإسلامي، والتي كان مُلحًّا التقدُّم نحو تفكيكها وإعادة تركيبها بصورة لا تخلو من طابع علمي قوامه البحث والاستقصاء والمقارنة والاستنتاج بشكل منهجي، ومن أمثلة تلك القضايا مسألة العولمة التي شغلت الأوساط الثقافية والسياسية ردحاً من الزمن، وظاهرة العنف والإرهاب التي تفشَّت في العالم الإسلامي بصورة غير مسبوقة، ومسألة الإصلاح السياسي وشرعية الدولة التي مثَّلت مطلباً مُلحًّا في ظل التطوُّرات السياسية والاجتماعية في المنطقة العربية، وكان الهاجس الذي يُسيطر على جميع البحوث السابقة هو الخروج برؤية معرفية أكثر من السعي لتسجيل مواقف، الأمر الذي مكَّن المجلة من مقاربة هذه المواضيع وأمثالها بالكثير من الاتزان والنضج العلمي.

□ مجلة الكلمة ومهمة الكلمة

لم يكن الفعل الثقافي الذي لازمته «مجلة الكلمة» خلال مسيرة ٢٠ عاماً متقوقعاً على الذات والهوية في أضيق معانيها، وإنما عبَّر عن مهمة إنسانية خلَّاقة في دائرة الحوار الحضاري، والتواصل المعرفي، وكان عنوان هذه المهمة هو تحويل الثقافة إلى أداة لتجسير قيم التصالح بين الأمم والشعوب، فالثقافة وفقاً لهذا المنهج تتوق دوماً لاقتحام الأفق العالمي عبر تمثُّل رسالة إنسانية أخلاقية، لا تضيق بالرأي الآخر، وتُثبِّت التعددية بوصفها قيمة أساسية في كل تفاصيل مشروعها الثقافي.

وعلى الرغم من كل الفتن المذهبية التي عبرت سماء المنطقة العربية والإسلامية في السنوات الأخيرة، ظلَّت «مجلة الكلمة» وفِيَّة لكلمتها الأولى في كونها تتعاطى مع الفعل الثقافي بوصفه مبدأ ثابتاً ومسؤولية فكرية، والرهان على وعي القارئ بأن وحدة الأمة ثابت لا مجال للتنازل عنه أو التراجع عن مساراته، وأن كل ما يجري خارج ذلك الثابت هو مرحلة طارئة لا يمكن الاشتراك في إثم تثبيتها داخل الجسد الإسلامي.

ومن الواضح أن مشروع الوحدة كما هو مشروع التعدُّدية والتعايش كبير ومتسع، فهو بمثابة المسؤولية التي تقع على عاتق جميع المؤسسات الفكرية والثقافية والاجتماعية، وهو أحد مهام الأجهزة الإعلامية والتربوية في جميع أنحاء العالم الإسلامي، و«مجلة الكلمة» في هذا السياق تُعدُّ إحدى هذه التجارب التي ثبتت إلى جانب عدد من المؤسسات والمشاريع الفكرية الرائدة في المنطقة، والتي قد لا يجمعها عنوان طائفي أو فئوي أو مناطقي، ولكنها بالتأكيد تلتقي على أهمية تثوير الدور التنويري للكلمة.

غابت الرؤية الإعلامية..!!

أحمد الهلال*

في ظني عشرون عاماً من عمر مجلة الكلمة ليس بالأمر السهل الذي يمر مروراً عابراً دون أن يكون حوله نقاش فعَّال وحقيقي ليقف القائمون على المجلة على مواطن النجاح ليُعزِّزوها ومواطن الإخفاق ليتلافوها.

والحديث عن مشروع فكري وحضاري عمره عقدين من الزمن حديث يجب أن يكون صريحاً وشفافاً، والعصف الذهني والتأمل العميق في التجربة عنوانه الرئيس؛ لهذا آمل من الكُتَّاب الذين سوف يُدلون بشهاداتهم أن يكونوا أمينين على هذه الشهادة، وأن يبتعدوا عن المجاملات والإنشائية والعبارات التي ربما رغب فيها القائمين على المجلة أو استحسنوها.

لهذا ومن خلال تجربتي المتواضعة بالعمل في الصفحات الثقافية في المجلات والصحف اليومية؛ إن تجربة المثقف على أقل تقدير في البيئة الخليجية وربما حتى العربية هي تجربة يوضع ويضع لها المعني وهو المثقف الكثير من الحواجز من حيث لا يدري حيناً، ومن حيث يدري حيناً آخر، من خلال المبالغة بمسألة النخبة وشعلة التنوير التي يجب أن تكون لها محيطها ولغتها الذي يذهب إليها المجتمع، دون أن تذهب هي إليه إلَّا بمقدار وضمن قنوات

* كاتب وإعلامي سعودي.

ولغة محكومة بطقس النخبة.

من هذه المقدمة أحببت أن أطرح وجهة نظري في تجربة مجلة الكلمة، وفي ظني هي لا تختلف عن حال المثقف وحضوره في ساحة الإعلام، فالقائمين على هذه المجلة من رئيس التحرير ومديره هم أصحاب فكر وثقافة، فالأول زكي الميلاد مثقف وباحث في الفكر الإسلامي، والثاني وهو محمد محفوظ يحمل الصفة نفسها، وهو مفكر إسلامي له العديد من الكتب والبحوث المنشورة، من هذه الإشارة ربما لاحظ معي القارئ أي الجانب الذي يغيب أو مغيب أو ضعيف إلى درجة عدم التفعيل الحقيقي والفعَّال، أو هناك عقبات تقف في طريقه تمنعه أن يؤدي دوره الموازي للمحتوى الفكري في مجلة الكلمة، وهو الجانب الإعلامي، ونحن نعرف ما للجانب الإعلامي من تأثير ساحق نجحت في استخدامه وسائل إعلامية سواء كانت قنوات فضائية أو صحف ودوريات، وأخفق غيرها ممن يتعاطى مع القنوات نفسه، بمعنى آخر دون أن ينظر القائمين على المجلة بعين الإعلام وكيفية توظيفه ليكون للمجلة حضورها و تأثيرها وتحقيق الهدف المنوط بها، إضافة يجب أن يعرف القائمون على المجلة أن «نخبوية» المادة المعروضة فيها لا يمنع من تسويقها والبحث عن فضاء جديد لحضورها، فمقولة يكفينا البقاء والاستمرار دون الانفتاح على آفاق جديدة والتعاطي مع لغة الإعلام الجديد لم تعد تُجدي في ساحة إعلام اليوم، فالحضور اليوم لمن يبحث عن فرصة الإعلام ويستثمرها، لا لمن ينطوي على ذاته مكتفياً بمقولة: «يكفينا البقاء» حتى وإن كان ذلك البقاء هو أشبه بالصوري (إذا نظرنا بعين الإعلام الجديد)، قياساً بالبقاء الحقيقي والفعَّال، فبقاؤك يُقاس اليوم بمدى مساحة تأثيرك وليس لمجرد الحضور.

وهنا يجب أن يعرف أصحاب المشروع (مجلة الكلمة) أن مفردة الإعلام الجديد هي الأكثر تحدياً لهم، خصوصاً إذا عرفنا أن مفهوم هذا الإعلام لم يعد حكراً بيد مختصين له أو قادة يقودونه، وإنما أصبحت مشاركة الكثير من عناصر المجتمع في صياغته أمراً حتميًّا وحاضراً بشكل كبير، ومن هذه النقطة يجب أن يُعمل لصياغة الرؤية الإعلامية وتفعيلها من خلال خطة تقرأ الواقع الإعلامي بصورة تتجه وإن بمراحل نحو تحقيق هذه الرؤية، ولكي تتضح للقارئ العزيز ما نعنيه بالرؤية الإعلامية أدعو القائمين على المجلة أن يطرحوا هذا السؤال على أنفسهم:

إلى أي مدى نجحنا في إيصال رسالة المجلة وما تحتويه من مادة إلى الشريحة المستهدفه من المجلة؟ وما هي درجة تأثيرنا في الساحة الإعلامية اليوم؟

ليتضح بعد ذلك إلى أي مدى حققت المجلة نجاحاً، فالمجلة قبل أن تكون محتوى فكريًّا وثقافيًّا هي وسيلة إعلامية، وهذه النقطة التي يجب أن تُوضع موازية للمحتوى

الفكري الذي تقوم عليه المجلة، وهي النقطة التي أزعم بأنها غائبة أو ضعيفة في مشروع المجلة (الإعلامي - الفكري)

ومن هنا يجب أن تُحلِّق المجلة بجناحين: جناح الفكر والمعرفة والحضور المتجدّد للشباب، وجناح الإعلام بقنواته الحاضرة والمتجدّدة. دون هذا -في ظني- سوف تتقلَّص فرص الحضور، وربما في المستقبل تغيب عن الساحة حضوراً (حتى الشكلي منه) وتأثيراً.

وأنا هنا حتى لا أُساءَ فهماً لست متشائماً أو ممن يرسم صورة قاتمة للمجلة، فالمجلة مليئة بالمحتوي الفكري القيِّم والقيِّم جدًّا، ولكنه محصور بعقلية نخبوية تسير بالمجلة دون رؤية إعلامية واضحة أو ملاحظة من المتابع على أقل تقدير، ولدينا أمثلة كثيرة لمجلات تحمل محتوى مجلة الكلمة نفسه غابت فيها الرؤية الإعلامية، أين هي الآن؟!

وهنا أرغب أن أضرب مثالاً للتدليل على قيمة الرؤية الإعلامية المدعومة بخطة العمل في أي مشروع فكري، فهناك مشروع فكري يُشابه إلى حدٍّ كبير مشروع مجلة الكلمة وحقق حضوراً إعلاميًّا كبيراً قياساً بالمجتمع العربي، والمثال قبل أن أطرحه، رغم فارق ما يُلاقيه من دعم مادي كبير وسخي، كون الدعم يأتيه من دولة وهي القائمة عليه، وهذا بالطبع ليس مجالاً للمقارنة، ولكن المقارنة يمكن أن تحدث بجانب الرؤية الإعلامية، فلو اكتفى المنفذون لهذا المشروع بالطباعة فقط دون وضع خطة إعلامية لتسويقه وحضوره إلى القارئ لما حقق له الحضور على طول الوطن العربي وعرضه، وهي مجلة «عالم الفكر» التي يُصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، ومن المعروف أن المجلس يُصدر العديد من الدوريات والكتب التي لها حضور جدير بالإعجاب.

وهنا قد يخرج متابع ويقول: إن الرؤية الإعلامية في مجلة «عالم الفكر» كانت نتاج الدعم المادي السخي، وأنا من جانبي أقول: وهل تتوقعون أن يكون الحديث عن رؤية إعلامية دون مال.

ومع هذا هناك الكثير من القنوات الإعلامية التي نسبة تكلفتها قليلة ويكمن أن تستخدمها المجلة وتوظفها في وضع خطة إعلامية تسويقية، مع التأكيد على أن الرؤية الإعلامية المدعمة بخطة العمل أصبحت أمراً ليس منه مفر، وبقاء أي منشورة ثقافية مرتبط بهذه الخطة.

وفي الختام أود أطرح بعض النقاط التي وجدت أنها من المفيد أن تساهم في تعزيز الرؤية الإعلامية من خلال وضع خطة إعلامية تسويقية تحقق على غراره الهدف الذي قامت من أجله المجلة:

١- وضع زاوية خاصة في المجلة للشباب الجامعي المثقف ليعرض فيها أفكاره مع محاولة استقطابه، مع التذكير بأن ما حدث في العالم العربي من تغيرات سياسية «الربيع العربي» أدى فيه الشباب دور صاحب المبادرة، متقدماً على المنظرين والسياسيين.

٢- تنظيم ملتقى سنوي على الأقل يعرض من خلاله أبرز ما ناقشته المجلة عبر أعدادها، ويُدعى له الإعلاميون والمثقفون.

٣- الاستعانة ببعض الخبرات الإعلامية من كوادر وأفكار.

٤- تأسيس جائزة لأفضل بحث فكري دون تحديد الفئة العمرية.

٥- تنظيم (أو طرح هذه الفكرة على المجلات الفصلية) ملتقي سنوي لدوريات والمجلات العربية الفصلية تناقش فيه واقع هذه الدوريات ومدى حضورها و تأثيرها.

٦- السعي للبحث على شراكات مع الجامعات العربية.

وفي نهاية المطاف إن لم توضع لمجلة الكلمة خطة إعلامية في كيفية تسويقها مواكبة لثورة الإعلام اليوم لتنقل المجلة من حيزها التقليدي الممثل في نقاط البيع التقليدية وبعض الاجتهادات التسويقية المتواضعة البعيدة عن النفس الاحترافي، فالقنوات الإعلامية (المجلات والدوريات الفصلية أحداها) تقوم اليوم على العمل الاحترافي في تسويقها وليس الاجتهادات الفردية المفتقرة للرؤية والتخطيط.

مجلة الكلمة..

رغم تبدل الزمن

علي سعيد*

لا أعرف إذا كانت صدفة أم ماذا، لكن صادف أن أكون طالب إعلام في جامعة دمشق، وأن تتوفر بالقرب مني كل نسخ أعداد مجلة الكلمة الفصلية. والتي بلا شك، كانت تضم العديد من البحوث الفكرية والثقافية الهامة. ولأني كنت معني بالبحث الإعلامي، فقد وجدت في مجلة الكلمة مادة دسمة لتقديم بحث جامعي، ضمن أحد مواد الصحافة في العام ٢٠٠٢. بعد أن توفرت لي مساعدة كريمة من رئيس تحرير المجلة الكاتب زكي ميلاد ومدير تحريرها الكاتب محمد المحفوظ والكاتب المغربي أدريس هاني. وهو ما أُنجز، ولقي أثراً طيِّباً داخل الكلية وخارجها. والحقيقة، كانت مجلة الكلمة لا تُعبِّر عن ذاتها وحسب آنذاك، وإنما عن التطلُّع الذي شغل النخب الثقافية في المجتمعات العربية والإسلامية، نحو المزيد من القربة الحسنة بين مكونات المجتمع العربي والمسلم. إنها إذاً مرحلة التسعينات الميلادية، وصولاً إلى الحدث الزلزالي الأكبر، في أمريكاً بتفجير البرجين في سبتمر (٢٠٠١) حتى حدث غزو العراق. أي ذلك الزمن الذي شهد ربيعاً تسامحيًّا بين المسلمين، وكانت ولادة مجلات وخطابات إسلامية معتدلة تدعو ليس للحوار الحضاري

* صحفي من السعودية.

بين الثقافات داخل العالم العربي والسلامي؛ بل تجتازه إلى حوار كوني يكون للمسلمين دور مرموق فيه. ما يحسب لمجلة الكلمة، بعد مرور عشرين عاماً، أنها لا تزال تصر على النشر بالسياسة الاتصالية والثقافية ذاتها، الداعية نحو التسامح وأهمية التواصل الحضاري.. إلخ، رغم تبدُّل الزمن والمشهد الاجتماعي والثقافي منذ التسعينات وحتى غزو العراق، فضلاً عن دخولنا زمن «الثورات العربية» وما لحق هذا الزمن من مشكلات وأحقاد وتعصبات وانقسامات طائفية وسياسية. الزمن تبدل، حتى إن كثيراً من المجلات الثقافية التي رفعت شعار التسامح والمحبة بين المسلمين، اختفت، في حين بقيت مجلة الكلمة تعمل ضمن النهج التأسيسي لهذا الخطاب، مؤمنة بأن ثمة أملاً كبيراً في الغد، لذا لا بد من الرهان عليه.

مجلة الكلمة وآفاق التفاعل الفكري

عبد الهادي الصالح*

لا شك في أن إعمال الفكر الجاد الذي يبحث في عمق أزمات الإنسان المعاصر في التعامل مع محيطه المتعدد، يُواجه تهديدات على عدة مستويات لا تخفى على المراقب المثقف، لكن أبرزها ما يلاحظ في الآونة الأخيرة من محاولات لتقليص مساحات حرية الرأي والبحث العلمي، وما قد يتمخَّض عنه من نتائج من شأنها أن تُلغي أو تصادم قناعات موروثة ممَّا يثير حفيضة الرأي والفكر الآخر. ولعل ذلك من سمات البحوث العلمية المعتادة.

لكن الملفت أن يتحوَّل ذلك إلى صراع في المحاريب العلمية ويتسرَّب بتعمُّد إلى الشارع العام كأداة للتراشق المذموم وتجريح الذمم، وما يتبع ذلك من إسقاطات تُهدِّد البحث العلمي ذاته، وتُرهب العلماء وتضغط عليهم لمجاراة الواقع بكل زيف لحرف قناعاتهم الذاتية.

ومن ناحية أخرى وسعياً لمعالجة ذلك، فإننا نتطلَّع أن تُولي مجلة (الكلمة) اهتمامها المعهود بصفتها داعمة لأعمال الفكر التفاعلي عبر الرأي والرأي الآخر، بتبني أداة الملتقيات التي تجمع أصحاب الرؤى المختلفة على

* كاتب وباحث – الكويت.

طاولة الحوار المستديرة، مع الالتزام بضوابط حرية الكلمة المسؤولة، لتُوثّق كمادة علمية تنقلها (الكلمة) بوصفها -كذلك- أداة لتسويق لغة الحوار القائمة على التعاطي بواقعية، وبنَفَس الانتصار للرأي الصائب والموقف الرشيد، دون أن يعني ذلك بالضرورة -كما هو واضح- التطابق فيها بين أطراف اللقاء. لكن من المؤكد أن المجلة بهذا تكون قد فتحت آفاق التفاعل الفكري عبر الحوار الرصين الذي طالما -للأسف الشديد- افتقدته أغلب مؤسسات ورموز الفكر الإسلامي المعاصر. إن مثل هذه الملتقيات تقدّم الصورة المشرقة لأصل لغة الحوار القرآني، لمعالجة الصورة المُشوَّهة للحوار التي تقدّمها بعض أدوات التواصل الإعلامي والاجتماعي الإلكتروني واسع الانتشار عالميًّا، والذي يتعاطاه اليوم العلماء وأصحاب الفكر، سواء بالكلمة المكتوبة أوالمسموعة، وإن كان بعضها قد انحدر إلى الانتصار للذات أكثر من الاعتبار للحق المنشود.

إننا نأمل من مجلة (الكلمة) التي استمرت زهاء عشرين عاماً استقطاب العلماء والمفكرين والأدباء والمثقفين بمختلف مشاربهم واتِّجاهاتهم، أن تستمر في منهجية صيانة حرية الكلمة الحرة الرصينة وحمايتها من ضغوطات التوجيه القسري أيًّا كان مصدره، ويبتعد بها عن التعاطي السوقي المؤسف، والذي لا مناص من الإقرار برواجه متسرباً نحو بعض الأوساط العلمية، ممَّا في ذلك من عدم مراعاة أصول البحث العلمي وصون مصالح الأمة العليا.

وفي اعتقادنا، إن كل ذلك لا يمس وقار المجلة ولا ينتقص من رزانتها، بل إن من شأن ذلك أن ينحو بالمجلة إلى المزيد من الواقعية في عالم اليوم الذي يشهد طفرة نوعية في أدوات نشر الثقافة الإنسانية.

□ العدد الجديد من مجلة (إسلامية المعرفة) □